(حرف الباء)

وقال يمدح سيف الدولة وهو يسايره إلى الرقة وقد اشتد المطر بموضع يعرف بالثديين

لِعَيْنِى كُلَّ يَوْمٍ مِنْكَ حَظٌّ ... تَحَيَّرُ مِنْهُ فى أَمْرٍ عُجَابِ (١)

حِمَالَةُ ذَا الْحُسَامِ عَلَى حُسَامٍ ... وَمَوْقِعُ ذَا السَّحَابِ عَلَى سَحَابِ (٢)

وزاد المطر فقال

تَجِفُّ الْأَرْضُ مِنْ هَذَا الرَّبَابِ ... وَيَخْلُقُ مَا كَسَاهَا مِنْ ثِيَابِ (٣)

وَمَا يَنْفَكُّ مِنْكَ الدَّهْرُ رَطْبًا ... وَلَا يَنْفَكُّ غَيْثُكَ فى انْسِكَابِ (٤)

فى صدرى ذلك وهل يليق بمثلى أن يجرب سيفه فى قطع الهباء ؟ وأحسب هذا المعنى ينظر إلى قول القائل

أما الهجاء فدق عرضك دونه ... والمدح فيك كما علمت جليل

فاذهب فأنت طليق عرضك إنه ... عرض عززت به وأنت ذليل

وقول الآخر

قل كيف شئت وانى تشا ... وأبرق يمينا وأرعد شمالا

نجا بك لؤمك منجى الذباب ... حمته مقاذيره أن ينالا

وقول بعضهم

انى لأكرم نفسى أن أكلفها ... هجاء جرم وما يهجوهم أحد

ماذا يقول لهم من كان هاجيهم ... لا يبلغ الناس ما فيهم وان جهدوا

(١) و (٢) يقول : ترى عيناى منك كل يوم شيئا عجيبا تتحير منه وذلك أنى أرى سيفا يحمل سيفا وسحابا يمطره سحاب والحمالة التى يحمل بها السيف والحسام الأول هو السيف والثانى هو سيف الدولة (٣) و (٤) الرباب السحاب الأبيض واخلق الثوب بلى يقول : أنت أفضل من السحاب لأن الأرض تجف من مطر السحاب وثيابها التى كساها بها الغيث وهي نبات الأرض تبلى — وذلك عند هيجه — ولكن ذكرك لا ينفك

تُسَايِرُكَ السَّوَارِى والْغَوَادِى مُسَايَرَةَ الأَحِبَّاءِ الطِّرَابِ (١)
تُفِيدُ الْجُودَ مِنْكَ فَتَحْتَذِيهِ وتَعْجِزُ عَنْ خَلاَئِقِكَ الْعِذَابِ (٢)

وأمره سيف الدولة بأجازة هذا البيت

خَرَجتُ غَدَاةَ النَّفْرِ أعتَرِضُ الدُّمَى فلَمْ أَرَ أَحلَى مِنْكِ فِى الْعَيْنِ والْقلبِ (٣)

فقال

فَدَيْنَاكَ أَهْدَى النَّاسِ سَهْمًا إِلَى قَلْبِى وَأَقْتَلُهُمْ لِلدَّارِعِينَ بِلاَ حَرْبِ (٤)
تَفَرَّدَ بالأَحْكامِ فِى أَهْلِهِ الْهوَى
فَأَنْتَ جَمِيلُ الْخُلْفِ مُسْتَحْسَنُ الْكِذْبِ (٥)

الدهر رطبا به فأنت خالد وجودك دائم الانسكاب لا ينقطع وقال الواحدى : يريد برطوبة الدهر لينه وسهولته والمعنى يطيب عيش أهل الدهر بك فكان الدهر رطب ينقاد ويلين لهم كما قال البحترى

أشرقن حتى كاد يقتبس الدجى وَرَطُبْنَ حتى كاد يجرى الجندل

فجعل الصخر يكاد يجرى لينه برطوبة الزمان (١) و (٢) السوارى السحب السارية ليلا والغوادى السحب المنتشرة نهارا والطراب جمع طروب وهو الذى يطرب ويحركه الشوق وتفيد تستفيد واحتذاه اقتدى به وفعل مثله والخلائق الاخلاق يقول : ان السحب تسير معك كما يسير الحبيب الطروب مع حبيبه وذلك كى تستفيد الجود منك فتأتى بمثله بيد أنها تعجز عن التخلق بأخلاقك العذبة الجميلة (٣) غداة النفر يريد غداة تفرق الحجيج من منى ، واعترض استقبل ، والدمى جمع دمية وهى التماثيل تشبه بها الحسان (٤) قال الواحدى : أهدى من قولهم هديت هدى فلان أى قصدت قصده يقول : ياأقصد الناس سهما الى قلبى يريد أن عينه تصيب قلبه بلحظها ولا تخطئه ، ويا اقتل الناس للابسى الدروع من غير حرب أى أنه يقتلهم بحبه فلا تحصنهم الدروع ولا يحتاج الى النزال وهذا معنى تعاوره الشعراء كثيرا

(٥) يقول : أن للهوى احكاما تخالف سائر الأحكام لأن الخلف فى الوعد غير

وَانِّى لَمَمْنُوعُ المقَاتِلِ فى الْوَغَى وَان كُنْتُ مبذُولَ المقاتِلِ فى الحُبِّ (١)

وَمَنْ خُلِقَتْ عَيْنَاكَ بين جُفُونِهِ
أصابَ الْحُدُورَ السَّهْلَ فى المُرْتَقَى الصَّعْبِ (٢)

وقال يعزيه عن عبده يماك التركى وقد مات بحلب سنة أربعين وثلثمائة

لا يَحْزِنِ اللهُ الأَميرَ فَإِنَّنِي سَآخُذُ من حَالاَتِهِ بِنَصيبِ (٣)

وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ الأَرْضِ ثُمَّ بَكَى أَسًى بَكَى بِعُيُونٍ سَرَّهَا وَقُلُوبِ (٤)

جميل والكذب غير مستحسن وكلاهما جميل مستحسن من الحبيب * وكل ما يفعل المحبوب محبوب * (١) يقول : انى من الشجاعة بحيث لايصاب مقتلى فى الحرب ولكنى مع ذلك يصاب مقتلى فى الحب فلست أستطيع الدفاع عن نفسى فى ميدان الهوى وهذا من قول أبى تمام

كَمْ من دَمٍ يَعْجِزُ الجَيْشُ اللُّهَامُ اذا بانوا تحكَّمَ فيهِ العِرْمِسُ الأَجُدُ

« جيش لهام كثير يلتهم كل شىء والعرمس الناقة الصلبة الشديدة والأجد بضم بضم الهمزة والجيم الناقة القوية الموثقة الخلق : يريد أبو تمام الناقة التى تحمل الحبيب والمراد الحبيب نفسه » (٢) يقول : ومن كان له عين بين جفنيه كعينك فتنة وسحراً ملك قلوب الناس بأهون سعى فقوله أصاب الخ أى وجد المرتقى الصعب حدورا سهلا وهذا تمثيل معناه سهل عليه مايشق على غيره (٣) قوله لايحزن دعاء له يقول : لا أحزن الله الامير فان حزنه يستتبع حزنى فلا أصابه الله بحزن لئلا أحزن والمعنى واضح وجميل ومن ثم كان نقد الصاحب هذا البيت بقوله : لا أدرى لم لا يحزن الله الأمير اذا أخذ أبو الطيب بنصيب من القلق — فى غير موضعه ورواية سآخذ هى رواية ابن جنى وعليها مضينا وفى رواية لآخذ (٤) يقول : لا أبكاك الله لانك اذا بكيت حزنا بكى جميع الناس لبكائك وحزنوا لحزنك لأن من سر جميع الناس ثم بكى لحزن أصابه ساء مصابه الذين سرهم فكأنه يبكى بعيونهم ويحزن بقلوبهم ، قال الواحدى ولك أن تجعل الباء فى بعيون للتعدية أى أبكاها والمعنى أنهم يسعدونه على البكاء جزاء سرورهم * كما قال يزيد المهلبى

أَشْرَكْتُمونا جميعاً فى سرورِكُمُ فَلَهُونا إِذْ حَزِنْتُمْ غَيْرَ أَنْصَافِ

وَإِنِّى وَانْ كانَ الدَّفِينُ حَبِيبَهُ ... حَبِيبٌ الَى قَلْبِى حَبِيبُ حَبِيبِى (١)

وَقَدْ فارَقَ النَّاسُ الاَحِبَّةَ قَبْلَنَا ... وَأَعْيا دَواءُ المَوْتِ كُلَّ طَبِيبِ

سُبِقْنا الَى الدُّنْيا فَلَوْعاشَ أَهْلُها ... مُنِعْنا بِها مِنْ جَيْئَةٍ وذُهُوبِ (٢)

تَمَلَّكَهَا الآتى تَمَلُّكَ سالِبٍ ... وَفارَقَها المَاضِى فِرَاقَ سَلِيبِ (٣)

وَلا فَضْلَ فِيها لِلشَّجاعَةِ وَالنَّدَى ... وَصَبْرِ الفَتَى لَوْلا لِقاءُ شُعُوبِ (٤)

وَأَوْفَى حَياةِ الغابِرِينَ لصاحِبٍ ... حَياةُ امْرِئٍ خانَتْهُ بَعْدَ مَشِيبِ (٥)

لأَبْقَ يَمانٌ فى حشَاىَ صَبابَةً ... الى كلِّ تُرْكِىِّ النِّجارِ جَلِيبِ (٦)

---

(١) حبيب حبيبى مبتدا مؤخر وحبيب الى قلبى خبر مقدم والجملة خبر أنى يقول : أنى أحب كل من يحبه ومن ثم كان المدفون الذى يحبه حبيبا إلى قلبى وان كان غريبا منى

(٢) يقول لقد سبقنا غيرنا الى هذه الدنيا فلو عاش هؤلاء الذين سبقونا ولم يموتوا لغصت بنا الدنيا وضاقت علينا الارض حتى لا نستطيع الذهاب والمجىء لشدة الزحام وانما يستقيم أمر الدنيا بموت المتقدم وحياة المتأخر

(٣) يقول : تنتقل الدنيا من قوم الى قوم فيتملكها الحى تملك السالب ويتخلى عنها الميت تخلى المسلوب ويقول الواحدى : يريد بالآتى الوارث بعد الموت وبالماضى الموروث أى أن الذى تملك الارث كأنه سالب سلب الموروث ماله ، والميت كانه مسلوب سلب ما كان فى يده (٤) شعوب من اسماء المنية غير مصروف وسميت كذلك لانها تشعب اى تفرق يقول : لولا الموت لم يكن لهذه المعانى فضل وذلك أن الناس لو أمنوا الموت لما كان للشجاع فضل على الجبان لأنه قد أيقن الخلود فلا خوف عليه من أقدامه وأذن لا يحمد على شجاعته — وكذلك لا فضل للجواد على البخيل ، والصابر على المكروه لا فضل له على الجازع لأن فى الخلود وتنقل الاحوال فيه من عسر الى يسر ومن شدة الى رخاء ما يسكن النفوس ، و ون البوس (٥) الغابر من الاضداد يكون بمعنى الماضى والباقى والمراد هنا الاول يقول : أن الحياة لابد من أن تغدر بصاحبها فهى لا محالة وان طالت مفارقته ولكن أوفاها له تلك التى تصحبه الى وقت المشيب فلا تزايله حتى يطول استمتاعه وتستوفى لذة العيش (٦) لأبق جواب قسم محذوف أى والله لقد ابقى ويمانك اسم

وَمَا كُلُّ وَجْهٍ أَبْيَضٍ بِمُبَارَكٍ ... وَلَا كُلُّ جَفْنٍ ضَيِّقٍ بِنَجِيبِ (١)

إِنْ ظَهَرَتْ فِينَا عَلَيْهِ كَآبَةٌ ... لَقَدْ ظَهَرَتْ فِي حَدِّ كُلِّ قَضِيبِ (٢)

وَفِي كُلِّ قَوْسٍ كُلَّ يَوْمٍ تَنَاضُلٍ ... وَفِي كُلِّ طِرْفٍ كُلَّ يَوْمٍ رُكُوبِ (٣)

يَعِزُّ عَلَيْهِ أَنْ يُخِلَّ بِعَادَةٍ ... وَتَدْعُوهُ لِأَمْرٍ وَهُوَ غَيْرُ مُجِيبِ (٤)

وَكُنْتُ إِذَا أَبْصَرْتُهُ لَكَ قَائِمًا ... نَظَرْتُ إِلَى ذِي لِبْدَتَيْنِ أَدِيبِ (٥)

فَإِنْ يَكُنِ الْعِلْقَ النَّفِيسَ فَقَدْتَهُ ... فَمِنْ كَفِّ مِتْلَافٍ أَغَرَّ وَهُوبِ (٦)

مملوك سيف الدولة تركى والنجار الاصل وجليب مجلوب من بلد الى آخر يقول : لقد أبقى يماك بموته فى قلبى صبابة وميلا الى كل تركى أى الى كل من هو من جنسه

(١) النجيب الكريم « ضد اللئيم » والفاضل النفيس فى نوعه يقول : ان يماك ترك فى قلبى هذا الميل الى جنسه لذلك الشبه الذى بينه وبينهم وان لم يكن كل من أشبهه فى الصورة يشبهه في اليمن والبركة والنجابة أى أن يماك كان جامعا بين اليمن والنجابة

(٢)و(٣) القضيب السيف القاطع وقيل اللطيف الدقيق والتناضل الترامى بالسهام والطرف الفرس الكريم يقول : انه كان شجاعا من أهل القتال وكان حسن الرمى وقت النزال وكان فارسا حسن الركوب للغارة والطعان ومن ثم حزنت عليه السيوف والقسى والخيل فلا عجب اذ حزنا نحن عليه (٤) وتدعو عطف على يخل وكان الوجه فتح الواو ولكنه سكنها للضرورة يقول : انه يشق على يماك أن يغير عادته في خدمتك وأن تدعوه لامر فلا يجيبك (٥) ذى لبدتين أى أسد واللبدة الشعر المتراكب على كتف الاسد يقول : وكنت اذا رأيته قائما بين يديك رأيت منه أسدا وفتى أديبا أى أنه كان جامعا بين الادب فى الخدمة وقوة الاسد لدى البأس (٦) يقول : فان يكن يماك العلق النفيس — الذى يبخل به ويضن لنفاسته — قد فقدته فانما ذهب من كف رجل يتلف الاموال ويهبها ولا يبالى بما ذهب منه ، ومن روى تكن بالتاء فهو على الخطاب لسيف الدولة ويكون العلق منصوبا بفعل مضمر دل عليه قوله فقدته والتقدير فان تكن فقدت العلق النفيس والعلق هو النفيس من كل شىء والمتلاف الذى يتلف أمواله سخاء والاغر الشريف

كَأَنَّ الرَّدَى عَادٍ عَلَى كلِّ مَاجِدٍ ... إِذَا لَمْ يُعَوِّذْ مَجْدَهُ بِعُيُوبِ (١)

وَلَوْلَا أَيَادِي الدَّهْرِ فِي الجَمْعِ بَيْنَنَا ... غَفَلْنَا فَلَمْ نَشْعُرْ لَهُ بِذُنُوبِ (٢)

وَلِلتَّرْكُ لِلْإِحْسَانِ خَيْرٌ لِمُحْسِنٍ ... إِذَا جَعَلَ الإِحْسَانَ غَيْرَ رَبِيبِ (٣)

وَإِنَّ الَّذِي أَمْسَتْ نِزَارٌ عَبِيدَهُ ... غَنِيٌّ عَنِ اسْتِعْبَادِهِ لِغَرِيبِ (٤)

كَفَى بِصَفَاءِ الْوُدِّ رِقًّا لِمِثْلِهِ ... وَبِالقُرْبِ مِنْهُ مَفْخَرًا لِلنَّبِيبِ (٥)

(١) الردى الموت وعاد ظالم متعد والمراد بالماجد ــ وهو الكامل الشرف ــ سيف الدولة، وعوذه علق عليه العوذة وهي الرقية يتقى بها السوء يقول: ان الشريف لا يسلم من حدثان الدهر ونوائبه حتى يجعل لشرفه رقية من العيوب وأنت لاعيب فيك ومن هنا أصابك الدهر بمن تحب وهذا كقول الشاعر

شَخَصَ الأَنامُ إلى كمالِكَ فاستَعِذْ ... مِن شرِّ أعيُنِهِمْ بِعَيْبٍ واحدِ

وقول الآخر

قَد قلتُ حينَ تكاملَتْ وَغدَت ... أفعالُهُ زَيْناً من الزَّيْنِ

ما كانَ أحْوَجَ ذا الكمالَ إلى ... عيبٍ يُوَقِّيهِ منَ العَيْنِ

« كان زائدة وذا الكمال أى هذا الكمال » (٢) يعتذر عن ذنوب الدهر واساآته بالتنبيه الى سابق احسانه، أى أن من شيمة الدهر أن يحسن تارة ويسىء أخرى يقول: ولولا أن الدهر أحسن الينا بجمعه بيننا ما كنا نعرف اساءته بتفريقه بيننا فبأحسانه عرفنا اساءته، والايادى النعم (٣) بعد أن اعتذر عن الدهر عاد الى ذمه يقول: واذ أن الدهر شاب احسانه بالاساءة فلم يتم احسانه بتربيته وتعهده واتمامه فترك المحسن احسانه أجمل به من ذلك وأفضل أى أن كل محسن لم يتم احسانه فتركه خير وأمثل وهذا كقول القائل

أبداً تسْتَرِدُّ ما تهَبُ الدنيـــا فيالَيت جودَها كان بُخْلاً

وربيب تام من رب عمله أصلحه ونماه وأتمه (٤) يقول: ان سيف الدولة ملك العرب باحسانه اليهم فلاحاجة به معهم الى مملوك تركى، وخص نزارا لانه أبو القبائل الاشراف كقريش وغير قريش فالمراد بنزار سائر العرب (٥) الباء فى قوله بصفاء وبالقرب زائدة وصفاء والقرب فى محل رفع بكفى يقول: أن سيف الدولة استعبد

فَعُوِّضَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْأَجْرَ إِنَّهُ ... أَجَلُّ مُثَابٍ مِنْ أَجَلَّ مُثِيبِ (١)

فَتَى الْخَيْلِ قَدْ بَلَّ النَّجِيعُ نُحُورَهَا ... يُطَاعِنُ فِي ضَنْكِ الْمُقَامِ عَصِيبِ (٢)

يُعَافُ خِيَامَ الرَّيْطِ فِي غَزَوَاتِهِ ... فَمَا خَيْمُهُ إِلَّا غُبَارُ حُرُوبِ (٣)

عَلَيْنَا لَكَ الْإِسْعَادُ إِنْ كَانَ نَافِعًا ... بِشَقِّ قُلُوبٍ لَا بِشَقِّ جُيُوبِ (٤)

فَرُبَّ كَئِيبٍ لَيْسَ تَنْدَى جُفُونُهُ ... وَرُبَّ كَثِيرِ الدَّمْعِ غَيْرُ كَئِيبِ (٥)

تَسَلَّ بِفِكْرٍ فِي أَبِيكَ فَإِنَّمَا ... بَكَيْتَ فَكَانَ الضَّحْكُ بَعْدَ قَرِيبِ (٦)

العرب بمصافاته اياهم واقباله عليهم بالود ومثله اذا صافى انسانا استرقه بكثرة الاحسان اليه وان لم يبتعه كما يبتاع العبد وهذا هو الرق والاستعباد (١) يدعو له بأن يعوضه الله الاجر من يمناك فان الاجر أجل ثواب من أجل مثيب وهو الله سبحانه وتعالى أو تقول فان سيف الدولة أجل عبد يثاب من الله فضمير انه اما عائد على الاجر ومثاب مصدر بمثابة الثواب أو عائد على سيف الدولة ويكون مثاب مفعولا من الاثابة

(٢) فتى الخيل أى هو « سيف الدولة » فتى الخيل وجملة قد بل النجيع نحورها حال من الخيل والنجيع الدم وضنك صفة موصوف محذوف أى في يوم ضيق المقام عصيب أى شديد يقول : ان سيف الدولة أجل مثاب لانه اذا بلت الدماء نحور الخيل فهو فتاها الثابت على الطعان فى المأزق المتضايق المعصوب

(٣) الريط جمع ريطة وهى الملاءة اذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين وقيل كل ثوب لين رقيق ، ويعاف يكره والخيم جمع خيمة يقول : أنه يكره الاستظلال بالخيام وانما يستظل بغبار الحروب (٤) يقول : ان كانت اعانتنا اياك على هذه الرزية نافعة مجدية أعناك بشق القلوب لابشق الجيوب وهذا من قول حبيب

شق جيوباً من رجال لو اسطا ... عوا لشقوا ما وراء الجيوب

وجيب القميص ما انفتح منه على النحر (٥) يقول : ليس بالبكاء يعلم الحزن فرب محزون عصى الدمع فلا يبكى ورب باك تنسكب دموعه وليس بمحزون قال العكبرى : وأخذ هذا البيت مما أنشده أبو على فى آخر تكملة ايضاحه

وما كل ذى لب بمؤتيك نصحه ... وما كل مؤت نصحه بلبيب

(٦) فى أبيك بفتح الباء كما رواها ابن جنى يريد فى أبويك وهى لغة للعرب يقول : تسل عن هذا المفقود بالتفكر فى مصابك بأبويك فقد بكيت لفقدهما ثم ضحكت بعد

إِذَا اسْتَقْبَلَتْ نَفْسُ الْكَرِيمِ مُصَابَهَا ... بِخُبْثٍ ثَنَتْ فَاسْتَدْبَرَتْهُ بِطِيبِ (١)

وَلِلْوَاجِدِ الْمَكْرُوبِ مِنْ زَفَرَاتِهِ ... سُكُونُ عَزَاءٍ أَوْ سُكُونُ لُغُوبِ (٢)

وَكَمْ لَكَ جَدًّا لَمْ تَرَ الْعَيْنُ وَجْهَهُ ... فَلَمْ تَجْرِ فِي آثَارِهِ بِغُرُوبِ (٣)

فَدَتْكَ نُفُوسُ الْحَاسِدِينَ فَإِنَّهَا ... مُعَذَّبَةٌ فِي حَضْرَةٍ وَمَغِيبِ

وَفِي تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ الشَّمْسَ نُورَهَا ... وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِي لَهَا بِضَرِيبِ (٤)

ذلك بمديدة وكذلك حزنك لاجل هذا المصاب سيذهب عن قريب (١) المصاب ههنا مصدر كالاصابة والمراد بالخبث الجزع وبالطيب الصبر وفاعل ثنت يعود على النفس أى صرفت الخبث أو تقول ثنت أى انثنت يقول : اذا استقبل الكريم اصابة الدهر اياه بالجزع راجع عقله بعد ذلك فاعتصم بالصبر لعلمه أن الجزع لايفيد قال العكبرى وهذا من قول الحكيم : من علم أن الكون والفساد يتعاقبان الاشياء لم يحزن لورود الفجائع لعلمه أنه من كونها فهان عليه ذلك لعجز الكل عن دفع ذلك

(٢) الواجد المحزون والزفرة تصعيد النفس بعد مده واللغوب الاعياء يقول : لابد للمحزون من سكون فاما أن يسكن عزاء وإلا سكن اعياء فالعاقل من يتعزى ، وفى هذا المعنى يقول أبو تمام

أتصبر للبلوى عزاءً وحسبةً ... فتؤجرَ أم تسلو سلُوَّ البهائم

ويقول محمود الوراق

إذا أنت لم تسلُ اصطباراً وحسبةً ... سلوتَ على الايّام مثلَ البهائم

(٣) كم ههنا خبرية بمعنى كثير والواجب خفض تمييزها ولكنه نصب جدا هنا لوجود فاصل بينها وبين معمولها فبطل الجر وغروب جمع غرب وهو الدمع يقول : كم لك من جد لم تره عينك فلم تبك عليه فهب هذا مثلهم لأنه قد غاب عنك والغائب عن قرب كالغائب الذى طال عليه العهد قال الخطيب : وهذا المعنى مدخول لأن أجداده لم يرهم ولم يعرفهم ويمالك قد رآه وعرفه ورثاه . أقول ونقد الخطيب واضح وفى محله كما ترى

(٤) من يحسد مبتدا مؤخر وفى تعب خبر مقدم ونورها بدل من الشمس والضريب النظير يقول : مثل حسادك معك مثل من يريد أن يأتى للشمس بنظير وهذا فى تعب لازب لأنه يعالج المحال وكذلك حسادك لأنه لا نظير لك كالشمس

وقال يمدحه ويذكر بناء مرعش سنة احدى وأربعين وثلثمائة

فَدَيْنَاكَ مِنْ رَبْعٍ وَانْ زِدْتَنَا كَرْبَا ... فَانَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالْغَرْبَا (١)

وَكَيْفَ عَرَفْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدَعْ لَنَا ... فُؤَادًا لِعِرْفَانِ الرُّسُومِ وَلَا لُبَّا (٢)

نَزَلْنَا عَنِ الْأَكْوَارِ نَمْشِي كَرَامَةً ... لِأَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُلِمَّ بِهِ رَكْبَا (٣)

نَذُمُّ السَّحَابَ الْغُرَّ فِي فِعْلِهَا بِهِ ... وَنُعْرِضُ عَنْهَا كُلَّمَا طَلَعَتْ عَتْبَا (٤)

وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا طَوِيلًا تَقَلَّبَتْ ... عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كِذْبَا (٥)

وَكَيْفَ التِّذَاذِي بِالْأَصَائِلِ وَالضُّحَى ... اذَا لَمْ يَعُدْ ذَاكَ النَّسِيمُ الَّذِي هَبَّا (٦)

---

(١) يخاطب ربع الحبيب ويدعوله وقوله من ربع تمييز ومن زائدة والربع المنزل يقول : فديناك أيها الربع من أحداث الدهر ونوائبه برغم أنك زدتنا وجدا بما هجت من ذكرى الحبيب الذى كان فيك كالشمس وكنت له كالمشرق حين يظهر وكالمغرب حين يحتجب

(٢) يتعجب من معرفته آثار ديار الحبيب بعد أن سلبه قلبه وعقله ولم يدع له سبيلا الى ادراك الأشياء (٣) الأكوار جمع كور وهو رحل البعير يقول : لما أتينا هذا الربع نزلنا عن رواحلنا وترجلنا كرامة للحبيب — الذى كان فيه ثم زايله — وتقديسا له أن ننزل بربعه راكبين وقد أوضح هذا المعنى السرى الرفاء بقوله

حُيِّيتَ من طَلَلٍ أجابَ دُثُورُهُ ... يومَ العقيق سؤالَ دَمْعٍ سائلِ

نَحفَى وننزل وهو أعظم حرمة ... مِن أن يُذالَ براكبٍ أو ناعلِ

(٤) السحاب جمع ومن ثم جاز وصفه بالغر أى البيض يقول : نذم السحاب لانها عفت الربع وغيرت معالمه بما ينهل منها من المطر واذا طلعت عليه اعرضنا عنها واشحنا بوجوهنا عتبا عليها لتعفيتها الرسوم وفعلها بها ما فعلت (٥) هذا البيت متصل بالذى قبله يقول : نحن نذم السحاب لما تفعل بالربع ولا حق لنا فى هذا الذم لأن من صحب الدنيا وطال امتراسه بها تقلبت أحوالها عليه حتى يرى ما اطمأن اليه من صفائها ونعيمها قد تغير وحال عما كان عليه كأن لم يغن بالأمس وهذا المعنى ينظر الى قول الحكمى

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو فى ثياب صديق

(٦) يقول : كيف ألتذ بالعشايا والغدايا اذا لم استنشق ذلك النسيم الذى كنت أجده

ذَكَرْتُ بِهِ وَصْلاً كَأَنْ لَمْ أَفُزْ بِهِ ... وَعَيْشاً كَأَنِّي كُنْتُ أَقْطَعُهُ وَثْبَا (١)

وَفَتَّانَةَ العَيْنَيْنِ قَتَّالَةَ الهَوَى ... اذَا نَفَحَتْ شَيْخاً رَوَائِحُهَا شَبَّا (٢)

لَهَا بَشَرُ الدُّرِّ الَّذِي قُلِّدَتْ بِهِ ... وَلَمْ أَرَ بَدْراً قَبْلَهَا قَلَّدَ الشُّهْبَا (٣)

من قبل يعنى نسيم الحبيب ونسيم أيام الشباب والوصال . والاصائل جمع أصيل على غير قياس وهو ما بين العصر الى المغرب والضحى جمع ضحوة كقرية وقرى وهو حين تشرق الشمس (١) يقول : تذكرت بهذا الربع وصلا قصرت ايامه حتى كأنه لم يكن لسرعة انقضائه ، وعيشا وشيك الانقطاع كأنى قطعته بالوثوب . ووثب قفز وطفر ومن قولهم وثب الى الشرف وثبا أى وصل اليه دفعة واحدة « هذا » ومن بديع ماقيل فى قصر أوقات السرور قول الوليد بن يزيد

لا أسأل الله تغييراً لما صنعت ... نامت وقد أسهرت عينى عيناها

فالليل أطول شىء حين أفقدها ... والليل أقصر شىء حين القاها

والشعراء أبدا يذكرون قصر أوقات السرور وأيام اللهو وسرعة زوالها وانقضائها كما قال بعضهم

ظَلِلنا عند دار أبى نعيم ... بيوم مثل سالفة الذباب

شبه فى القصر بعنق الذباب ومثله لجرير

ويوم كأبهام القطاة مُزَيَّنٍ ... الىَّ صِباهُ غالِبٍ لىَ باطِلُهُ

وما أحسن قول ابراهيم بن العباس

ليلة كاد يلتقى طرفاها ... قصرا وهى ليلة الميلاد

ويقول متمم بن نويرة

فلما تفرقنا كأنى ومالكا ... لِطول اجتماع لم نَبِت ليلة معا

(٢) النفح تضوع رائحة الطيب يقال نفح الطيب ونفحت رائحة الطيب وعدى النفح على المعنى كأنه قال اذا أصابت روائحها شيخا شب يقول : وذكرت امرأة تفتن عيناها ويقتل هواها اذا فغمت روائحها شيخا تصابى وعاد شابا وهذا مثل قول الصنوبرى

بلفظ لو بدا لحليف شيب ... لفارقه وعاد الى شبابه

(٣) البشر جمع بشرة وهى ظاهر الجلد والدر اللآلئ العظام والشهب الدرارى من النجوم يقول : ان لونها مثل لون الدر الذى تقلدته ، وهى كالبدر حسنا وجمالا ، وقلائدها كدرارى النجوم ولم أر قبلها بدرا قلد النجوم .

فَيَاشَوْقِ مَا أَبْقَى وَيَالِي مِنَ النَّوَى ... وَيَادَمْعِ مَا أَجْرَى وَيَاقَلْبِ مَا أَصْبَى (١)

لَقَدْ لَعِبَ البَيْنُ المُشِتُّ بِهَاوبِي ... وَزَوَّدَنِي فِي السَّيْرِ مَا زَوَّدَ الضَّبَّا (٢)

وَمَنْ تَكُنِ الأُسْدُ الضَّوَارِي جُدُودَهُ ... يَكُنْ لَيْلُهُ صُبْحًا وَمَطْعَمُهُ غَصْبًا (٣)

وَلَسْتُ أُبَالِي بَعْدَ إِدْرَاكِيَ العُلَا ... أَكَانَ تُرَاثًا مَا تَنَاوَلْتُ أَمْ كَسْبًا (٤)

فَرُبَّ غُلَامٍ عَلَّمَ المَجْدَ نَفْسَهُ ... كَتَعْلِيمِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنَ وَالضَّرْبَا (٥)

---

(١) يقول : فياشوقى ما أبقاك فلست تنفد و يامن لى يمنعنى من ظلم الفراق و يادمعى ما أجراك و ياقلبى ما أصباك واشوقك،وقد حذف كما ترى يا آت الاضافةمن شوق ودمع وقلب تخفيفا لان الكسرة تدل عليهاوحذف الكاف المنصوبة من أبقى وأجرى وأصبى للمخاطبة التى قبلها بالنداء وقوله ويالى استغاثة (٢) البين البعد والمشت المفرق والضب حيوان من الزحافات معروف يضرب به المثل فى الحيرة يقال أحير من ضب لانه اذا خرج من جحره لا يهتدى اليه عند أوبته يقول : لعب الفراق بشملنا وزودنى الضلال والحيرة فلا اهتدى الى وجه وليس الى لقاء الحبيب من سبيل ، وقيل ان المراد كما أن الضب لا يتزود فى المفازة لانه لا يحتاج الى الماء أبدا فكذا لم يزودنى الفراق شيأ أى أنه لم يودع حبيبته وفارقها من غير وداع ولا التقاء فيكون التوديع زادا كما قال بعضهم

زَوَّدَ الاحبابُ للأُحـ ... ـبابِ ضمًّا والتزاما

وسُلَيْمَى زَوَّدَتْنِي ... يَوْمَ تَوْدِيعِي السَّقاما

(٣) الضوارى المضراة والمولعة بالصيد يقول : من كان من نسل الشجعان وكان اباؤه كالاسود يكون الليل له نهارا فلا تعوقه الظلمة عن بلوغه مآربه وكان مطعمه مما يأخذه من اعدائه قهرا قال ابن جنى قوله : يكن ليله صبحا من قول الآخر

فبَادِرِ الليْلَ ولذَّاتِه ... فانما الليْلُ نَهارُ الاريبْ

(٤) كانه يعتذر من الغضب الذى ذكر فى البيت السابق يقول : اذا أدركت معالى الامور فلست أبالى بعد أدراكها أكان مايحصل فى يدى ارثا أم كسبا . فالتراث المال الموروث (٥) يقول : ان المرء يمكنه أن يعلم نفسه المجد وان لم يكن له من يعلمه كما علم سيف الدولة نفسه الطعن والضرب ومجالدة الابطال ، ويروى

إِذَا الدَّوْلَةُ اسْتَكْفَتْ بِهِ فِي مُلِمَّةٍ كَفَاهَا فَكَانَ السَّيْفَ وَالْكَفَّ وَالْقَلْبَا (١)

تُهَابُ سُيُوفُ الْهِنْدِ وَهْيَ حَدَائِدٌ فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ نِزَارِيَّةً عُرْبَا (٢)

وَيُرْهَبُ نَابُ اللَّيْثِ وَاللَّيْثُ وَحْدَهُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ اللُّيُوثُ لَهُ صَحْبَا (٣)

وَيُخْشَى عُبَابُ الْبَحْرِ وَهْوَ مَكَانُهُ فَكَيْفَ بِمَنْ يَغْشَى الْبِلَادَ إِذَا عَبَّا (٤)

عَلِيمٌ بِأَسْرَارِ الدِّيَانَاتِ وَاللُّغَى لَهُ خَطَرَاتٌ تَفْضَحُ النَّاسَ وَالْكُتْبَا (٥)

فَبُورِكْتَ مِنْ غَيْثٍ كَأَنَّ جُلُودَنَا بِهِ تُنْبِتُ الدِّيبَاجَ وَالْوَشْيَ وَالْعَصْبَا (٦)

وَمِنْ وَاهِبٍ جَزْلًا وَمِنْ زَاجِرٍ هَلًا وَمِنْ هَاتِكٍ دِرْعًا وَمِنْ نَاثِرٍ قُضْبَا (٧)

* كتعليم سيف الدولة الدولة الضربا * أى كما علم أهل دولته الطعان والنزال والرواية الاولى أظهر وقال الواحدي قوله فرب غلام يعنى نفسه (١) يقال : كفيته الأمر اعنته عليه وقمت به دونه وقد استكفانى أمره فكفيته وعداه هنا بالباء على تضمينه معنى استعانت به يقول : ان الدولة اذا استعانت به فى أية مهمة أو نازلة كفاها وبلغت به وحده ما تريد فكان سيفا لها على أعدائها وكفا تضرب بها وقلبا تقتحم به الأهوال

(٢) يقول : ان السيوف تهاب مع أنها حديد لا عقل لها ولا قوة الا بالضارب بها فكيف يكون حالها فى الخوف منها اذا كانت عربية نزارية أى تقطع بنفسها دون استعانة بغيرها وسيف الدولة عربى نزارى فيكون أحق بالخوف منه

(٣) يقول : ان الليث يرهب اذا كان وحده فلا يجترىء أحد على مواجهته فكيف اذا كان معه ليوث آخرون ؟ يريد سيف الدولة وأصحابه (٤) عباب البحر تراكم أمواجه وشدتها ويغشى يغطى وعب زخر وتدفق يقول : والبحر تخاف أمواجه وهو مكانه فكيف الظن بمن اذا زخر وماج عم البلاد (٥) اللغى جمع لغة يقول : هو عليم بخفيات الديانات واللغات، يعلم منهما مالا يصل اليه غيره ، وله فى ذلك خطرات تفضح العلماء وكتبهم لانهم لم يبلغوا فى العلم ما يجرى على خاطره (٦) يقال بوركت وبورك لك وبورك فيك وبورك عليك يدعو له بالبركة والنماء، والديباج فارسى معرب وهو الثوب الذى سداه ولحمته حرير والوشى الثوب فيه ألوان شتى والعصب ضرب من برود اليمن يقول : انك تخلع علينا هذه الثياب فكأنك غيث تمطر علينا فتنبت جلودنا هذه الثياب فبارك الله عليك غيثا (٧) الجزل الكثير وهلا اسم صوت تزجر به الخيل

هَنِيئاً لِأَهْلِ الثَّغْرِ رَأْيُكَ فِيهِمِ ... وَأَنَّكَ حِزْبَ اللهِ صِرْتَ لَهُمْ حِزْبَا (١)

وَأَنَّكَ رُعْتَ الدَّهْرَ فِيهَا وَرَيْبَهُ ... فَإِنْ شَكَّ فَلْيُحْدِثْ بِسَاحَتِهَا خَطْبَا (٢)

فَيَوْماً بِخَيْلٍ تَطْرُدُ الرُّومَ عَنْهُمُ ... وَيَوْماً بِجُودٍ يَطْرُدُ الْفَقْرَ وَالْجَدْبَا (٣)

سَرَايَاكَ تَتْرَى وَالدِّمُسْتُقُ هَارِبٌ ... وَأَصْحَابُهُ قَتْلَى وَأَمْوَالُهُ نُهْبَى (٤)

أَتَى مَرْعَشاً يَسْتَقْرِبُ الْبُعْدَ مُقْبِلاً ... وَأَدْبَرَ إِذْ أَقْبَلْتَ يَسْتَبْعِدُ الْقُرْبَا (٥)

كَذَا يَتْرُكُ الْأَعْدَاءَ مَنْ يَكْرَهُ الْقَنَا ... وَيَقْفُلُ مَنْ كَانَتْ غَنِيمَتُهُ رُعْبَا (٦)

ينون ولا ينون والقصب المعى يقول : وبوركت من رجل يهب العطاء جزلا ويزجر الخيل يستحثها ويهتك الدروع بسيفه وسنانه ويشق الامعاء فينثرها (١) رأيك مرفوع بفعله وفعله هنيأ وأصله ثبت رأيك هنيأ لهم فحذف الفعل وأقيم الحال « هنيأ » مقامه فصارت تعمل عمله ، وحزب الله منادى أو منصوب على الاختصاص يقول : ليهنهم حسن رأيك فيهم وانك صرت لهم حزبا أى أعوانا وأنصاراً فى حال أنك حزب الله

(٢) وانك عطف على وانك حزب الله فى البيت السابق والضمير فى فيها وفى بساحتها للارض وأرجعه الى غير مذكور على حدقوله تعالى كل من عليها فان ، ورعت أفزعت وريب الدهر صروفه وحوادثه يقول : وهنيأ لاهل الثغر أنك ضرت لهم حزبا وانك فعلت في الارض أفعالا أفزعت الدهر وصروفه فان شك الدهر فى قولى فليحدث فى الارض خطبا يعنى أن الناس آمنون من تصاريف الدهر فليس فى استطاعته أن يمسهم بسوء هيبة لك (٣) عنهم أى عن أهل الثغر والجدب القحط

(٤) السرايا جمع سرية وهي الجماعة من الجيش وتترى متواترة متتابعة ونهبى أى منهوبة والدمستق اسم ملك الروم (٥) مرعش حصن من أعمال ملطية يقول : أن الدمستق هذا الثغر مهزوزا نشيطا مبتهجا يجد البعيد قريبا فلما أقبلت عليه ولى مدبراً وهو يرى القريب بعيداً خوفا وذعراً أن تدركه قال العكبرى . ولقد أحسن القائل الناظر الى هذا المعنى

والله ما جئتكم زائراً ... إلا رأيت الارض تطوى لى

ولا انثنى عزمى عن بابكم ... الا تعثرت بأذيالى

(٦) يقول : كذا من أقدم على الحرب وهو يكره الجلاد جبنا يترك أعداءه ويحيم

وَهَلْ رَدَّعَنْهُ بِاللِّقَانِ وُقُوفُهُ صُدُورَ العَوَالِي وَالمُطَهَّمَةَ القُبَّا(١)

مَضَى بَعْدَمَا التَفَّ الرِّمَاحَانِ سَاعَةً كَمَا يَتَلَقَّى الهُدْبُ فِي الرَّقْدَةِ الهُدْبَا(٢)

وَلَكِنَّهُ وَلَّى وَلِلطَّعْنِ سَوْرَةٌ إِذَا ذُكِّرَتْهَا نَفْسُهُ مَسَّ الجَنْبَا(٣)

وَخَلَّى العَذَارَى وَالبَطَارِيقَ وَالقُرَى

وَشُعْثَ النَّصَارَى وَالقَرَابِينَ وَالصُّلْبَا(٤)

أَرَى كُلَّنَا يَبْغِي الحَيَاةَ لِنَفْسِهِ حَرِيصاً عَلَيْهَا مُسْتَهَاماً بِهَا صَبَّا(٥)

عن اللقاء وينكص على عقبيه وكذا يرجع عن الحرب من لم يغنم سوى الرعب أى أن الدمستق عاد مرعوبا فكان الرعب له بمنزلة الغنيمة لغيره (١) اللقان ثغر ببلادالروم «الاناضول» والعوالى من الرماح مادخل فى السنان الى ثلثه والخيل المطهمة التامة الخلق والقب جمع أقب وهو الضامر البطن ووقوفه فاعل رد قال الواحدى : كان الدمستق قد أقام باللقان فلما أقبل سيف الدولة انهزم يقول : فهل أغنى عنه وقوفه وهل ردعته الرماح والخيل الحسان الضامرة (٢) يريد بالرماحين رماح الفريقين فتنى الجمع كما قال أبو النجم ☆ بين رماحى مالك ونهشل ☆ والهدب أشفار العين يقول : انهزم الجمع بعد أن تشاجرت الرماح ساعة كما تختلط الاهداب الاعالى والاسافل عند الرقاد وهذا مثل قول بعضهم

ما التقينا بمحمد ربى الا مثل ما تلتقى جفون السليم

(٣) السورة الحدة يقول : ولكنه انهزم وللطعن فى أصحابه حدة اذا تذكرها لمس جنبه قائلا هل أصابه شىء منه أى انه انهزم مدهوشا مرعوبا لايدرى ما حاله وهل أصابته طعنة نافذة ؟ وهذا من قول أبى نواس

اذا تفكرت فى هواى له مسست رأسى هل طارعن بدنى

(٤) العذارى جمع عذراء وهي البكر من النساء والبطاريق جمع بطريق وهم قواد الروم والشعث جمع أشعث وهو المغبر الرأس والمراد بهم هنا الرهبان والقرابين جمع قربان وهو مايتقرب به الى الله والمراد هنا خاصة الملك والصلب جمع صليب وسكن اللام على لغة تميم يقول : انه انهزم وترك هؤلاء ولم يلتفت اليهم لهول ما رأى

(٥) المستهام الذى ملك عليه العشق أمره فهام على وجهه والصبابة رقة الشوق : يقول:

حُبُّ الْجَبَانِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ التُّقَى وَحبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ الْحَرْبَا (١)
وَيَخْتَلِفُ الرِّزْقَانِ وَالْفِعْلُ وَاحِدٌ إِلَى أَنْ يُرَى إِحْسَانُ هَذَا ذَنْبَا (٢)
فَأَضْحَتْ كَأَنَّ السُّورَ مِنْ فَوْقِ بَدْئِهِ
إِلَى الأَرْضِ قَدْ شَقَّ الكَوَاكِبَ وَالتُّرْبَا (٣)

كل منا يطلب الحياة عاشقا لها محبا حريصا عليها (١) يقول كل من الجبان والشجاع سواء فى حب النفس وان اختلف فعلهما فالجبان حباً لنفسه وابقاء على حياته اتقى الحرب وترك القتال والشجاع انما أقدم على الحرب دفاعا عن نفسه وذودا عن مهجته لانه يخاف على نفسه العدو ان هو قعد عن الحرب او لانه اذا أرى من نفسه الشجاعة تحاماه الناس واتقوه فكان فى ذلك بقاؤه كما قال الحماسى

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن اتقدما

وتقول الخنساء

تُهين النفوس وهون النفـ ـوس يوم الكريهة أبقى لها

وروى أن الصديق رضى الله عنه قال لخالد بن الوليد ـــ وقد ودعه لحرب أهل الردة ـــ احرص على الموت توهب لك الحياة ، ومعناه إما أن الشجاع مهيب مرهوب لا يحام حوله وإما أن ذكره يبقى بعده فيكون كانه حى كما قال حبيب

سلفوا يعدون الذكر عقبى صالحا ومضوا يعدون الثناء خلودا

وأما أنه اذا استشهد صار حيا كما قال تعالى : ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون قال العكبرى : وهذا البيت من الحكمة ، قال الحكيم : النفس المتجوهرة تأبى مقارنة الذل كل الاباء وترى فناءها فى طلب العز حياتها ، والنفس الدنيئة على الضد من ذلك (٢) قال الواحدى : يقول : أن الرجلين ليفعلان فعلا واحدا فيرزق أحدهما بذلك الفعل ويحرم الثانى حتى كأن احسان المرزوق ذنب للمحروم ومثال ذلك أن يحضر الحرب اثنان يغنم أحدهما ويحرم الثانى فحضور الحرب احسان من الغانم ذنب للمحروم وكلاهما فعل فعلا واحدا وهذا كما أنشده ابن الاعرابى

يخيب الفتى من حيث يرزق غيره ويعطى المنى من حيث يحرم صاحبه

والاشارة فى قول المتنبى هذا ولذا المرزوق والمحروم المفهومين من قوله ويختلف الرزقان (٣) فأضحت أى قلعة مرعش يقول ـــ كما ذهب إلى ذلك الخطيب

تَصُدُّ الرِّيَاحُ الْهُوجُ عَنْهَا مَخَافَةً وَتَفْزَعُ مِنْهَا الطَّيْرُ أَنْ تَلْقُطَ الْحَبَّا (١)

وَتَرْدِي الْجِيَادُ الْجُرْدُ فَوْقَ جِبَالِهَا وَقَدْ نَدَفَ الصِّنَّبْرُ فِي طُرُقِهَا الْعُطُبَا (٢)

كَفَى عَجَبًا أَنْ يَعْجَبَ النَّاسُ أَنَّهُ بَنَى مَرْعَشًا تَبًّا لِآرَائِهِمْ تَبَّا (٣)

وَمَا الْفَرْقُ مَا بَيْنَ الأَنَامِ وَبَيْنَهُ

إِذَا حَذِرَ الْمَحْذُورَ وَاسْتَصْعَبَ الصَّعْبَا (٤)

وتابعه جماعة من الشراح — : ان هذه القلعة لعلوها فى الجو كأنما ابتدئ بها من الجو فأسست هناك فشقت الكواكب والترب يعنى الذى ارتفع منها الى الجو حواليها فكأنها مقلوبة اسها فى السماء وأعلى حائطها إلى الارض وهذا أوجه المعانى (١) الهوج جمع هوجاء وهى الرياح الحمقاء التى تارة تأتى من هنا وتارة تأتى من هنا يقول : ان الرياح الهوج تعرض عنها مخافة أن تعجز عن الوصول الى أعلاها وكذلك الطير تحس من نفسها العجز عن الارتقاء اليها والتقاط الحب من ذراها وقال القاضى أبو الحسن الجرجانى : يريد أن الرياح لا تدنو منها خوفا من تثقيف سياسته والطير لا تقع عليها خشية أن يجرى عليها أذا هى التقطت الحب ما توجبه حال المتناول من دون اذن وهذا المعنى منقول من قول حبيب

فقد بث عبد الله خوف انتقامه على الليل حتى ما تدب عقاربه

وهو كقول الآخر

وكانت لا تطير الطير فيها ولا يسرى بها للجن سارى

(٢) تردى من الرديان وهو ضرب من العدو ترجم فيه الارض بحوافرها والجرد القصار الشعر وهو من آيات العتق والكرم والصنبر السحاب البارد الريح فى غيم وايضا اسم اليوم الثانى من أيام العجوز والعطب القطن يقول : خيلك تعدو فوق جبال هذه القلعة وقد امتلأت طرقها بالثلج الذى كأنه قطن ندفه فيها برد الشتاء وصقيعه

(٣) أن يعجب فاعل كفى وعجبا تمييز وتبا أى خسرا وهلاكا يقول : من العجب أن يعجب الناس ممن بنى هذه القلعة وتبا لآرائهم حين لم يدركوا أنه يقدر على كل ما يقصد اليه فكيف يتعجبون من قادر يبلغ ما يريد (٤) يقول : وأى فرق بينه وبين غيره وأية مزية يمتاز بها عما سواه انما كان يخشى ما يخشاه غيره او كان ممن يستصعب الصعب انما ينفصل عن الأغيار ويفضلهم لأنه لا يخشى شيأ ولا يتصعب عليه أمر مهما كان

لأَمْرٍ أَعَدَّتْهُ الْخِلَافَةُ لِلْعِدَا وَسَمَّتْهُ دُونَ الْعَالَمِ الصَّارِمَ الْعَضْبَا (١)

وَلَمْ تَفْتَرِقْ عَنْهُ الأَسِنَّةُ رَحْمَةً وَلَمْ يَتْرُكِ الشَّامَ الأَعَادِي لَهُ حُبًّا (٢)

وَلَكِنْ نَفَاهَا عَنْهُ غَيْرَ كَرِيمَةٍ كَرِيمُ الثَّنَا مَاسُبَّ قَطُّ وَلَا سَبَّا (٣)

وَجَيْشٌ يُثَنِّي كُلَّ طَوْدٍ كَأَنَّهُ خَرِيقُ رِيَاحٍ وَاجَهَتْ غُصُنًا رَطْبَا (٤)

كَأَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ خَافَتْ مُغَارَهُ فَمَدَّتْ عَلَيْهَا مِنْ عَجَاجَتِهِ حُجْبَا (٥)

---

(١) الصارم العضب السيف القاطع يقول : ان الخلافة ما أعدته لأعدائها وسمته سيف الدولة دون غيره إلا لأمر عظيم وذلك أنه بلغ من الشجاعة والحزم والسياسة مبلغا لم يبلغه أحد (٢) يقول : ان أعداءه لم يخيموا عن لقائه وينهزموا أمامه رحمة له ولم يجلوا عن الشام محبة له ورعبا ولكنهم فعلوا ذلك فرقا وفزعا وهذا المعنى كقول مروان ابن أبي حفصة

وما أحجم الأعداء عنك بقية عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا

(٣) قوله غير كريمة حال أي نفى هذه الأسنة عنه في حال كونها غير كريمة كريم الثنا الخ والمراد نفى أصحابها يقول : لم تتفرق عنه أعداؤه ولا تركوا الشام حبا له وانما نفاهم عن الشام أذلاء صاغرين لاجل انه كريم الثناء ماسبه أحد لانه لا يفعل مايسب عليه ولا سب أحدا لأدبه وكرمه . والثنا ممدود ولكنه قصره هنا ضرورة اسم من أثنى عليه إذا وصفه بخير أو شر ولكنه غلب فى المدح ويروى الثنا وهو قريب من الثنا وقوله كريم الثنا تجريد على اضمار محذوف أي نفاها منه رجل كريم الثنا الخ (٤) قوله وجيش عطف على كريم الثنا . والطود الجبل العظيم والخريق الريح الشديدة كانها الاعصار يقول : ونفاها عنه جيش اذا مر بجبل شقه ـ أو كاد ـ نصفين لكثرته ، له صلصلة تسمع كالريح الخريق اذا مرت بغصن رطب قال الشاعر

كان هبوبها خفقان ريح خريق بين أعلام طوال

(٥) مغاره أي اغارته والعجاجة الغبار يقول : إن غبار هذا الجيش حجب السماء حتى لم تبد النجوم فكأن النجوم خافت اغارته عليها فاحتجبت عنه بذلك الغبار حتى لا يراها وقد أخذ هذا المعنى الجميل الحيص بيص فقال

نفى واضح التشريق عن أرض ربعه دخان قدور أو عجاجة مصدم

فَمَنْ كَانَ يُرْضِي اللُّؤْمَ وَالْكُفْرَ مُلْكُهُ

فَهَذَا الَّذِي يُرْضِي الْمَكَارِمَ وَالرَّبَّا (١)

وقال فيما كان يجرى بينهما من معاتبة مستعتباً *

(١) يقول : إذا كان هناك من الملوك من يرضى اللؤم والكفر بأن ينزل على حكمهما ويعمل مايقتضيانه فهذا يرضى المكارم بجوده وسخائه ويرضى الله بجهاده فى سبيله ☆ مستعتبا مسترضيا : جاء فى الصبح المنبى ما يأتى : قال أبو فراس الحمدانى يوما لسيف الدولة : ان هذا المتشدق — يعنى المتنبى — كثير الادلال عليك وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ويمكن أن تفرق مائتى دينار على عشرين شاعرا يأتون بما هو خير من شعره، فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام وعمل فيه وكان المتنبى غائبا وبلغته القصة ولما حضر دخل على سيف الدولة وأنشده

ألا مالسيف الدولة اليوم عاتبا فداه الورى أمضى السيوف مضاربا

الابيات — قال : فأطرق سيف الدولة ولم ينظر إليه كعادته — فخرج المتنبى : من عنده متغيرا وحضر أبو فراس وجماعة من الشعراء فبالغوا فى الوقيعة فى حق المتنبى وانقطع أبو الطيب بعد ذلك ونظم القصيدة التي أولها ☆ واحر قلباه ممن قلبه شبم ☆ ثم جاء وأنشدها وجعل يتظلم فيها من التقصير فى حقه بقوله

مالى أكتم حبا قد برى جسدى وتدعى حب سيف الدولة الامم

الى أن قال

قد زرته وسيوف الهند مغمدة وقد نظرت اليه والسيوف دم

فهم جماعة بقتله فى حضرة سيف الدولة لشدة أدلاله واعراض سيف الدولة عنه فلما وصل فى انشاده الى قوله

يا أعدل الناس الا فى معاملتى فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

قال أبو فراس قد مسخت قول دعبل وادعيته وهو

ولست أرجو انتصافا منك ماذرفت عينى دموعا وأنت الخصم والحكم

فقال المتنبى

أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

فعلم أبو فراس انه يعنيه فقال ومن أنت يادعى كندة حتى تأخذ أعراض أهل الامير فى مجلسه فاستمر المتنبى فى انشاده ولم يرد عليه الى أن قال

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بأننى خير من تسعى به قدم

أنا الذى نظر الاعمى إلى أدبى وأسمعت كلماتى من به صمم

فزاد ذلك أبا فراس غيظا وقال قد سرقت هذا من عمرو بن عروة بن العبد حيث يقول :

أوضحت من طرق الآداب ما اشتكلت ذعرا وأظهرت أغرابا وأبداعا

حتى فتحت باعجاز خصصت به للعمى والصم أبصارا وأسماعا

ولما انتهى الى قوله

الخيل والليل والبيداء تعرفنى والسيف والرمح والقرطاس والقلم

قال أبو فراس وماذا أبقيت للامير اذا وصفت نفسك بكل هذا ؟ تمدح الامير بما سرقته من كلام غيرك وتأخذ جوائز الامير ؟ أما سرقت هذا من قول الهيثم بن الاسود النخعى الكوفى المعروف بابن العريان العثمانى

أعاذلتى كم مهمه قد قطعته اليف وحوش ساكنا غير هائب

أنا ابن الفلا والطعن والضرب والسُرَى وجرد المذاكى والقنا والقواضب

حليم وقور فى البلاد وهيبتى لها فى قلوب الناس بطش الكتائب

فقال المتنبى

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره اذا استوت عنده الانوار والظلم

فقال أبو فراس وهذا سرقته من قول معقل العجلى

اذا لم أميز بين نور وظلمة بعينى فالعينان زور وباطل

ومثله قول محمد بن أحمد بن أبى مرة المكى

اذا المرء لم يدرك بعينيه مايرى فما الفرق بين العمى والبصراء

وضجر سيف الدولة من كثرة مناقشته فى هذه القصيدة وكثرة دعاويه فيها فضربه بالدواة التى بين يديه فقال المتنبى فى الحال

ان كان سركم ماقال حاسدنا فما لجرح اذا أرضاكم ألم

قال أبو فراس وهذا أخذته من قول بشار

اذا رضيتم بأن نجفى وسركم قول الوشاة فلا شكوى ولاضجر

ومثله قول ابن الرومى

اذ ما الفجائع اكسبنى رضاك فما الدهر بالفاجع

فلم يلتفت سيف الدولة الى ماقال أبو فراس وأعجبه بيت المتنبى ورضى عنه فى الحال وادناه اليه وقبل رأسه وأجازه بألف دينار ثم أردفها بألف أخرى فقال المتنبى

جاءت دنانيرك مختومة عاجلة ألفا على ألف

أشبهها فعلك فى فيلق قلبته صفا على صف

من القصيدة الميمية

أَلاَ مَا لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ عَاتِبَا
فَدَاهُ الْوَرَى أَمْضَى السُّيُوفِ مَضَارِبَا (١)
ومَالِى اذَاما اشْتَقْتُ أَبْصَرْتُ دُونَهُ تَنَائِفَ لا أَشْتَاقُهَا وَسَبَاسِبَا (٢)
وقَدْ كَانَ يُدْنِى مَجْلِسِى مِنْ سَمَائِهِ أُحَادِثُ فِيهَا بَدْرَهَا وَالْكَوَاكِبَا (٣)
حَنَانَيْكَ مَسْئُولاً وَلَبَّيْكَ دَاعِيًا وَحَسْبِىَ مَوْهُوبًا وَحَسْبُكَ وَاهِبَا (٤)
أَهَذَا جَزَاءُ الصِّدْقِ إِنْ كُنْتُ صَادِقًا
أَهَذَا جَزَاءُ الْكِذْبِ إِنْ كُنْتُ كَاذِبَا (٥)

---

(١) فداه الورى دعاء، وامضى السيوف خبر مبتدا محذوف أى هو أمضى السيوف مضاربا أو تقول انه منصوب على المدح ومضاربا تمييز يقول : مالسيف الدولة غضبان أى لم غضب وما سبب غضبه فلست أعرف لى ذنبا يوجب ذلك ثم دعا له ثم قال لاسيف أمضى منه مضربا (٢) التنائف جمع تنوفة وهي المفازة والسباسب جمع سبسب وهى الفلاة القفر يقول : مالى اذا اشتقت اليه أبصرت بينى وبينه فلوات بعيدة مترامية الاطراف من عتبه وتجافيه واستيحاشه (٣) أراد بالسماء مجلسه، جعله كالسماء رفعة له وجعله كالبدر ومن حوله من ندمائه وأهل مجلسه كالكواكب (٤) حنانيك كلمة موضوعة موضع المصدر استعملت مثناة كأنه حنان بعد حنان أى تحننا بعد تحنن ومثلها لبيك من لب به اذا لزمه وحسبى وحسبك خبران مبتدأهما محذوف أى وأنت حسبى وأنا حسبك والمنصوبات كلها على الحال وقيل على التمييز يقول : تحنن على تحننا بعد تحنن اذا كنت مسئولا ولك الاجابة اذا كنت داعيا وكفى بى موهوبا أى إننى أشكر من يهبنى وأشيد بذكره وكفى بك واهبا أى انك أشرف الواهبين ولست أحتاج الى واهب آخر بعد هباتك

(٥) قال الواحدى : أى ان كنت صادقا فى مديحك فليس ما تعاملنى به جزاء

وإنْ كانَ ذَنْبي كُلَّ ذَنْبٍ فإنهُ محَا الذَّنْبَ كُلَّ الْمَحْوِ مَنْ جَاءَ تَائِبًا (١)

وقال وقد عرض على سيف الدولة سيوف مُذْهَبة وفيها

سَيفٌ غير مُذْهَب فأمر بإذهابهِ

أَحْسَنُ ما يُخْضَبُ الحَدِيدُ بِهِ وخَاضِبَيْهِ النَّجِيعُ والغَضَبُ (٢)

فَلَا تَشِينَنَّهُ بالنُّضَارِ فَمَا يَجْتَمِعُ الماءُ فِيهِ والذَّهَبُ (٣)

وتشكى سيف الدولة من دُمّل فقال فيه

أَيَدْرِي ما أَرَابَكَ مَنْ يُرِيبُ وهَلْ تَرْقَى الَى الفَلَكِ الخُطُوبُ (٤)

وجِسْمُكَ فَوْقَ هِمَّةِ كُلِّ دَاءٍ فَقُرْبُ أَقَلِّهَا مِنْهُ عَجِيبُ (٥)

لصدقى وان كنت كاذبا فليس هذا جزاء الكاذبين لأنى ان كذبت فقد تجملت لك فى القول فتجمل لى أنت أيضا فى المعاملة (١) يقول : ان كان ذنبى ذنبا ليس بعده ذنب فالتوبة من الذنب محو ليس بعده محو وهذا المعنى مأخوذ من الحديث الشريف : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » (٢) الذى صح عن المتنبى وخاضبيه على التثنية وهوعطف على ما أى وأحسن خاضبيه.والنجيع الدم.يقول : انهناك خضابين الذهب والدم وأحسنهما الدم وهناك خاضبان الصناعة والغضب — لان خضبه بالذهب لا يكون إلا بصناعة الصيقل وخضبه بالدم انما يكون بسبب الغضب الباعث على الجلاد بالسيف — وأحسن الخاضبين الغضب . وروى : وخاضبيه بكسر الباء على أنه جمع خاضب وأنى لأميل فى هذه الحالة إلى أن تكون الواو للقسم أى وحق خاضبيه ويكون التقدير : وأحسن ما يخضب به الحديد النجيع والغضب وحق خاضبيه وجعل الغضب خضابا للحديد لأنه يخضبه بالدم فهو يريد الدم وحده ويكون الغضب تأكيدا أتى به للقافية وقد صار المعنى ظاهرا على الروايتين (٣) شانه عابه والنضار الذهب يقول : لا تشنه بالاذهاب فانه اذا أذهب — ولا يكون ذلك إلا بعد إحمائه — ذهبت سقايته أى ماؤه (٤) أرابه أفزعه وأوقع به شيأ يشك فى عاقبته أخيرا يكون أم شرا يقول : هل يدرى هذا الدمل أى الناس قد أقلق؟وهذا استفهام تعجب واستعظام ثم قال متعجبا وهل ترقى خطوب الدهر وأحداثه إلى الفلك جعله كالفلك لعلو قدره ورفعة شأنه (٥) الضمير فى أقلها يعود إلى كل داء كما فى قوله تعالى « وكل فى فلك يسبحون » يقول : ان جسمك

يُجَمِّشُكَ الزَّمانُ هَوًى وحُبًّا ... وقَدْ يُؤْذَى مِنَ المِقَةِ الحَبِيبُ (١)

وكَيْفَ تُعِلُّكَ الدُّنْيا بِشَيْءٍ ... وأَنْتَ بِعِلَّةِ الدُّنْيا طَبِيبُ (٢)

وكَيْفَ تَنُوبُكَ الشَّكْوَى بِداءٍ ... وَأَنْتَ المُسْتَغاثُ لِمَا يَنُوبُ (٣)

مَلِلْتَ مُقامَ يَوْمٍ لَيْسَ فِيهِ ... طِعانٌ صادِقٌ ودَمٌ صَبِيبُ (٤)

وأَنْتَ المَلْكُ تُمْرِضُهُ الحَشايا ... لِهِمَّتِهِ وتَشْفِيهِ الحُرُوبُ (٥)

ومابِكَ غَيْرُ حُبِّكَ أَنْ تَراها ... وعِثْيَرُها لأَرْجُلِها جَنِيبُ (٦)

مُجَلَّحَةً لَها أَرْضُ الأَعادِي ... وِللسُّمْرِ المَناحِرُ وَالجُنُوبُ (٧)

لا ينبغى أن تنال منه الادواء فمن العجب أن يقربك أقل الادواء،وجعل للأدواء همة مجازا (١) التجميش شبه المغازلة وهو الملاعبة بين الحبيبين والمقة المحبة وأصلها ومق يقول : ان الذى ألم بك انما هو تجميش من الزمان لحبه اياك وتعلقه بك لأنك جماله وأمثل اهله وقد يكون الحب سببا لأيذاء المحبوب

(٢) يقول : أنت طبيب الدنيا الذى تشفى أدواءها فتقوم المعوج وتطرد الظلم والعيث والفساد فكيف تعلك وأنت طبيبها (٣) يقول : وكيف تلم بك الشكوى وبك يستغاث مما ينوب من نوائب الدهر فتغيث وترفع الشكوى (٤) و (٥) مقام مصدر ميمى بمعنى الاقامة يفتح ويضم وصبيب مصبوب والحشايا جمع حشية معدولة عن المحشوة وهى الفرش المحشوة يقول : لقد اعتدت الطعان والجلاد وسفك دم الأعداء ولبعد همتك لا ترى شفاء لك إلا فى ممارسة الحروب ولا آلم ولا أجلب للأدواء من الجلوس على الفرش المحشوة أو النوم عليها ومن أجل ذلك تمل الأقامة يوما واحدا لا تخرج فيه للغزو ولا يكون فيه طعن صادق ودم مصبوب (٦) الضمير في تراها للخيل وان لم يجر لها ذكر لتقدم مايدل عليها والعثير مثال درهم الغبار والجنيب الذى تقوده إلى جنبك يقول : مابك مرض غير نزاعك إلى ملاقاة العدو بخيل يتبع الغبار قوائمها كأنه جنيب تقوده أى انك انقطعت عن ذلك فنال منك حبه كما ينال الحب من العاشق اذا انقطع عن رؤية معشوقه (٧) مجلحة حال ثانية للخيل والحال الأولى جملة وعثيرها لأرجلها جنيب ومجلحة مصممة ماضية. وروى الخوارزمى محللة أى قد أحلت لها أرض العدو فهى تطؤها

فَقَرِّطْها الأَعِنَّةَ رَاجِعاتٍ فانَّ بَعيدَ ماطَلَبَتْ قَرِيبُ (١)

أَذَا دَاءٌ هفَا بُقْراطُ عَنْهُ فَلَمْ يُعْرَفْ لِصاحِبِهِ ضَرِيبُ (٢)

بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الوُضَّاءِ تُمْسِي جُفُونِي تَحتَ شَمْسٍ ماتَغِيبُ (٣)

فَأَغْزُو مَنْ غَزَا وبِهِ اقْتِدارِي وأَرْمِي مَنْ رَمَى وبِهِ أُصِيبُ

وَلِلْحُسَّادِ عُذْرٌ أَنْ يَشِحُّوا عَلَى نَظَرِي إِلَيْهِ وَأَنْ يَذُوبُوا (٤)

فانِّي قَدْ وَصَلتُ إِلَى مَكانٍ عَلَيْهِ تَحْسُدُ الحَدَقَ القُلُوبُ (٥)

والسمر الرماح والمناحر جمع منحر وهو موضع النحر من الحلق والجنوب جمع جنب وهو مما يلى الابط إلى الكشح يقول : وما بك مرض غير أن ترى الخيل على تلك الحال وأن تراها مصممة ماضية أحلت لها أرض الاعادى تطؤها وتجتاحها وأحات للرماح حناجرهم وجنوبهم تنفذ فيها (١) قرط الفارس عنان فرسه أرخاه حتى يجعله فى قذاله للحضر* فيصير لأذنه بمنزلة القرط يقول : أرخ لها الاعنة لترجع إلى بلاد الاعادى فانها لاتبعد عليها اذا طلبتها لسرعتها

(٢) الهمزة للاستفهام المحض أو للتقرير وذا اسم اشارة وهفا زل والضريب النظير وبقراط الطبيب اليونانى المشهور يقول : أهذا الداء — داء ولوعه بالحرب الى حد أن فيها شفاءه وأنه لو قعد عنها يوما ضجر ومرض — أهذا داء معضل لم يهتد اليه بقراط وليس لصاحبه نظير لأنه لايعرف أحد بمرض لترك الحرب والمعنى على هذا واضح لا غبار عليه واذن لاحاجة إلى ذكر سائر الروايات وتعسف الشراح

(٣) الوضاء بضم الواو وتشديد الضاد المبالغ فى الوضاءة وهى الحسن يقول : انه ينظر منه الى شمس لا تغيب لأنه موجود ليل نهار بخلاف الشمس

(٤) أن يشحوا أى فى أن يشحوا أى أنى أعذر الحساد فى شحهم أى بخلهم بالنظر اليه

(٥) يقول : ان القلوب تحسد العيون على نظر الممدوح فاذا حسده على ذلك أحد فهو معذور

---

* القذال مابين الاذنين من مؤخر الرأس. والحضر الجرى

وأحدث بنو كلاب حدثا بنواحى بالس وسار سيف الدولة خلفهم وابو الطيب معه فأدركهم بعد ليلة بين ماءين يعرفان بالغبارات والخرارات فأوقع بهم وملك الحريم فأبق عليه فقال أبو الطيب بعد رجوعه من هذه الغزوة — وأنشده اياها فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة

بِغَيْرِكَ راعِياً عَبَثَ الذِّئَابُ ... وَغَيْرَكَ صارِماً ثَلَمَ الضِّرَابُ (١)

وَتَمْلِكُ أَنْفُسَ الثَّقَلَيْنِ طُرًّا ... فَكَيْفَ تَحُوزُ أَنْفُسَهَا كِلَابُ (٢)

وماتَرَكُوكَ مَعْصِيَةً ولَكِنْ ... يُعافُ الوِرْدُ والمَوْتُ الشَّرابُ (٣)

طَلَبْتَهُمُ عَلَى الأَمْواهِ حَتَّى ... تَخَوَّفَ أَنْ تُفَتِّشَهُ السَّحَابُ (٤)

فَبِتَّ لَيالِياً لانَوْمَ فِيها ... تَخُبُّ بِكَ المُسَوَّمَةُ العِرابُ (٥)

يَهُزُّ الجَيْشُ حَوْلَكَ جانِبَيْهِ ... كَما نَفَضَتْ جَناحَيْها العُقابُ (٦)

(١) راعيا وصارما منصوبان على التمييز يقول : ان الذئاب تعبث بغيرك فى حال رعيه وسياسته ويثلم الضراب غيرك فى حال قطعه أى اذا كنت أنت الراعى لم تعبث الذئاب بسوامك واذا كنت أنت الصارم لم يثلمك الضرب والمعنى اذا كنت أنت الحافظ لرعيتك لم يحم حولهم أحد بما يضرهم خوفا منك (٢) طرا أى جميعا نصب على الحال يقول : أنت تملك أنفس الانس والجن جميعا فكيف يكون لهذه القبيلة — قبيلة بنى كلاب — أن تملك أنفسها (٣) معصية نصب على أنه حال أو مفعول لاجله ويعاف يمقت ويتحاشى والورد ورود الماء والواو فى قوله والموت الشراب للحال . يعتذر لهم يقول : انما تركوك وانهزموا حين طلبتهم خوفا منك لاعصيانا وتمردا عليك لانهم اذا ثبتوا أوردوا أنفسهم موارد التلف والهلاك (٤) يقول : تتبعت أمواه البادية فى طلبهم حتى خشى السحاب أن تفتشه تطلبهم لديه لما فيه من الماء (٥) تخب أى تعدو بك الخيل العربية المعلمة أى ذوات الشيات فى طلبهم (٦) العقاب طائر من الجوارح يطلق على الذكر والانثى قوى المخالب له منقار أعقف . شبهه — وهو فى قلب الجيش والجيش حوله يضطرب للسير — بعقاب تهز جناحيها

وَتَسْأَلُ عَنْهُمُ الفَلَوَاتِ حَتَّى ... أَجَابَكَ بَعْضُهَا وَهُمُ الجَوَابُ (١)

فَقَاتَلَ عَنْ حَرِيمِهِمِ وَفَرُّوا ... نَدَى كَفَّيْكَ وَالنَّسَبُ القُرَابُ (٢)

وَحِفْظُكَ فِيهِمِ سَلَفَيْ مَعَدٍّ ... وَأَنَّهُمُ العَشَائِرُ وَالصِّحَابُ (٣)

تُكَفْكِفُ عَنْهُمُ صُمَّ العَوَالِي ... وَقَدْ شَرِقَتْ بِظُعْنِهِمِ الشِّعَابُ (٤)

وَأُسْقِطَتِ الأَجِنَّةُ فِي الوَلَايَا ... وَأُجْهِضَتِ الحَوَائِلُ وَالسِّقَابُ (٥)

وَعَمْرٌو فِي مَيَامِنِهِمْ عُمُورٌ ... وَكَعْبٌ فِي مَيَاسِرِهِمْ كِعَابُ (٦)

---

(١) الفلوات الصحارى . جعل طلبه اياهم فى الفلوات كالسؤال عنهم وجعل الظفر بهم كالجواب وليس ثم سؤال ولا جواب وانهالاستعارة رائعة

(٢) ندى كفيك فاعل قاتل والواو من وفروا للحال أى والحال انهم قد فروا والمراد بالحريم النساء يقول : إنهم فروا أمامك وهربوا وظفرت بحريمهم فما كان منك الا أن أحسنت الى الحريم وحلت دون سبيه وصنته فكأن جود كفيك والنسب القريب الذى بينك وبينهم قاتلا دون حريمهم (٣) يقول : وقاتل عنهم حفظك فيهم سلفى معد ــ يريد ربيعة ومضر لان سيف الدولة ينتهى إلى ربيعة لانه من تغلب وبنو كلاب ينتهون إلى مضر لانهم من قيس وربيعة ومضر ابنا نزار بن معد بن عدنان ــ وأنهم عشائرك وأنهم أصحابك (٤) تكفكف تكف والصم الصلاب والعوالى صدور الرماح وشرقت غصت والظعن جمع ظعينة وهى المرأة مادامت فى الهودج ثم كثر حتى قيل للمرأة ظعينة وان لم تكن فى هودج والشعاب جمع شعب وهو الطريق فى الجبل يقول : انك تكف عنهم الرماح اشفاقا عليهم وقد فروا وغصت بظعائنهم شعاب الجبال

(٥) الاجنة جمع جنين وهو الولد فى بطن أمه والولايا جمع ولية وهى شبه البرذعة تحمل على سنام البعير أو كساء يجعل تحت البرذعة وأجهضت أسقطت والحوائل جمع حائل. الانثى من أولاد الابل والسقاب جمع سقب الذكر منها يقول: لشدة فزعهم والهول الذى الم بهم اجهضت النساء فى البراذع أى على ظهور الابل وأسقطت نوقهم أولادها ذكورا واناثا.

(٦) قال الواحدى : عمرو قبيلة ذهبت ذات اليمين وتفرقت فصارت عمورا وكعب ذهبت ذات اليسار وتفرقت فصارت كعابا كما قال معاوية بن مالك

رأيت الصدع من كعب وكانوا ... من الشنآن قد صاروا كعابا

وَقَدْ خَذَلَتْ أَبُو بَكْرٍ بَنِيهَا ... وَخَاذَلَهَا قُرَيْظٌ وَالضِّبَابُ (١)

إِذَا مَا سِرْتَ فِي آثَارِ قَوْمٍ ... تَخَاذَلَتِ الْجَمَاجِمُ وَالرِّقَابُ (٢)

فَعُدْنَ كَمَا أُخِذْنَ مُكَرَّمَاتٍ ... عَلَيْهِنَّ الْقَلَائِدُ وَالْمَلَابُ (٣)

يُثِيبُكَ بِالَّذِي أَوْلَيْتَ شُكْرًا ... وَأَيْنَ مِنَ الَّذِي تُولِي الثَّوَابُ (٤)

وَلَيْسَ مَصِيرُهُنَّ إِلَيْكَ شَيْئًا ... وَلَا فِي صَوْنِهِنَّ لَدَيْكَ عَابُ (٥)

وَلَا فِي فَقْدِهِنَّ بَنِي كِلَابٍ ... إِذَا أَبْصَرْنَ غُرَّتَكَ اغْتِرَابُ (٦)

وَكَيْفَ يَتِمُّ بَأْسُكَ فِي أُنَاسٍ ... تُصِيبُهُمُ فَيُؤْلِمُكَ الْمُصَابُ (٧)

---

(١) هؤلاء بطون بنى كلاب وأنث أبا بكر على معنى القبيلة أو العشيرة يقول : انهم لما انهزموا خذل بعضهم بعضا لتشاغلهم بأرواحهم (٢) قال ابن جنى : التخاذل التأخر واذا تأخرت الجمجمة والرقبة تأخر الانسان أى لما سرت وراءهم تأخرت رؤسهم لادراكك اياهم وان كانت فى الواقع قد أسرعت. واستبعد العروضى هذا المعنى قال : تخاذل الجماجم والرقاب هو أن يضربها بالسيف فيقطعها ويفصل بينهما فتتساقط فكأن كل واحد منهما خذل صاحبه وقال الواحدى الذى أراه غير هذا يقول : ان الرؤس تتبرأ من الأعناق والأعناق تتبرأ منها خوفا منك فلا يبقى بينهما تعاون وهذا المعنى أراده الخوارزمى فقال

وكنت اذا نهدت لغزو قوم ... وأوجبت السياسة أن يبيدوا

تبرأت الحياة اليك منهم ... وجاء اليك يعتذر الحديد

وطلقت الجماجم كل فخذ ... وأنكر صحبة العنق الوريد

(٣) الملاب ضرب من الطيب يقول: لما ظفرت ببنى كلاب أخذت نساءهم فرجعن مكرمات، عليهن قلائدهن وطيبهن لم يضع منهن شىء

(٤) أثابه كافأه وأوليت أنعمت يقول: انهن يشكرن لك ما أوليتهن من الاحسان ولكن احسانك أعظم وأجل من أن يكافأ (٥) يقول : ليس فى مصيرهن اليك وصونهن لديك أى عيب لأنهن بأكرامك اياهن كأنهن عند أهليهن وأزواجهن

(٦) الغرة الوجه يقول : لا غربة عليهن اذا رأينك إذ لا فرق بينك وبين أزواجهن وأقاربهن

(٧) يقول: لا يتم فيهم بأسك وشدتك لأنك حين تصيبهم بمكروه ينال ذلك منك

تَرَفَّقْ أَيُّها المَوْلَى عَلَيْهِمْ ... فإنَّ الرِّفْقَ بالجانى عِتابُ (١)

وَإِنَّهُمُ عَبيدُكَ حَيْثُ كانُوا ... إِذَا تَدْعُو لِحادِثَةٍ أَجابُوا (٢)

وَعَيْنُ المُخْطِئِينَ هُمُ وَلَيْسُوا ... بِأَوَّلِ مَعْشَرٍ خَطِئُوا فَتابُوا (٣)

وَأَنْتَ حَياتُهُمْ غَضِبَتْ عَلَيْهِمْ ... وَهَجْرُ حَياتِهِمْ لَهُمُ عِقابُ (٤)

وما جَهِلَتْ أَيادِيكَ البَوادِى ... وَلَكِنْ رُبَّما خَفِيَ الصَّوابُ (٥)

فبأصابتك اياهم كأنك تصيب نفسك وهذا المعنى قديم تعاوره الشعراء كثيرا قال قيس ابن زهير العبسى

فان أك قد بردت بهم غليلى ... فلم أقطع بهم الا بنانى

وقال الحماسى

قومى هم قتلوا أميم * أخى ... فاذا رميت يصيبنى سهمى

ولئن عفوت لأعفون جللا ... ولئن سطوت لأوهنن عظمى

وقال العديل

وإنى وإن عاديتهم أو جفوتهم ... لتألم مما عل أكبادهم كبدى

وقال النميرى

فانك حين تبلغهم أذاة ــ وان ظلموا ــ لمحترق الضمير

(١) يقول : ارفق بهم وإن جنوا فان من رفق بمن جنى عليه كان ذلك الرفق عتابا لأن الصفح عن الجانى يجعله عبدا لك ☆ وما قتل الاحرار كالعفو عنهم ☆

(٢) و (٣) الخطأ والخطاء ضد الصواب تقول أخطأ يخطىء اذا سلك سبيل الخطأ أما الخطأ بكسر الخاء فهو الذنب تقول خطىء يخطأ خطأ وخطأة كفعلة والاسم الخطيئة ولم يفرق أبو عبيدة بينهما وقال الأموى المخطىء من أراد الصواب فصار إلى غيره والخاطىء من تعمد لما لاينبغى يقول : ان كانوا مخطئين فليسوا أول من أذنب وقد تابوا والتوبة تجب « تقطع » ماقبلها وهم عبيدك حيث كانوا اذا دعوتهم للموت أجابوك يعتذر عنهم إلى سيف الدولة (٤) يقول : أنت الذى بك بقاؤهم فاذا غضبت عليهم وهجرتهم فقد هجرتهم الحياة ولاعقاب أكثر من هجر الحياة (٥) أياديك نعمك والبوادى

---

* أميم أى ياأميم وأخى مفعول قتلوا

وَكَمْ ذَنْبٍ مُوَلِّدُهُ دَلالٌ وَكَمْ بُعْدٍ مُوَلِّدُهُ اقْتِرَابُ (١)

وَجُرْمٍ جَرَّهُ سُفَهَاءُ قَوْمٍ وَحَلَّ بِغَيرِ جَارِمِهِ العَذَابُ (٢)

فَإِنْ هَابُوا بِجُرْمِهِمِ عَلِيًّا فَقَدْ يَرْجُو عَلِيًّا مَنْ يَهَابُ (٣)

وَإِنْ يَكُ سَيْفَ دَوْلَةِ غَيْرِ قَيْسٍ فَمِنْهُ جُلُودُ قَيْسٍ والثِّيَابُ (٤)

وَتَحْتَ رِبَابِهِ نَبَتُوا وَأَثُّوا وفى أَيَّامِهِ كَثُرُوا وطَابُوا (٥)

خلاف المدن يريد أهل البوادى والبوادى فاعل جهلت وأياديك مفعوله يقول : انهم لم يجهلوا بعصيانك سوابق نعمك ولكن قد يخفى الصواب على المرء فيأتى غيره

(١) يقول : قد يتولد الذنب من الدلال فيأتى المدل بالذنب يظنه دلالا وقد يكون البعد سببه القرب . يعتذر عنهم أى أنهم أدلوا عليك لفرط احسانك اليهم فأتوا فى ذلك بما صار ذنبا وجناية منهم (٢) الجرم الذنب والسفه خفة الحلم أو نقيضه يقول : وكم جرم جناه سفيه فنزل العذاب بغيره وهذا المعنى قد طرقه الكثير قال

رأيت الحرب يجنيها رجال ويصلى حرَّها قوم بَرَاء

وقال

جنى ابن عمك ذنبا فابتليت به إن الفتى بابن عم السوء مأخوذ

وقال النابغة

وحملتنى ذنب امرىء وتركته كذى العر يكوى غيره وهو راتع

وقال البحترى

تصد حياء أن تراك بأعين جنى الذنب عاصيها فليم مطيعها

وأروع الجميع ـ ولله المثل الأعلى ـ قوله جل شأنه : واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة :

(٣) على اسم سيف الدولة يقول : ان خافوه بسبب جرمهم فانه يرجى العفو عنده كما يهاب لأنه جواد مهيب (٤) يقول : ان يك سيف الدولة من تغلب لا من قيس فهو ولى نعمتهم لأن جلودهم نبتت باحسانه اليهم واكتست بما خلع عليهم من ثياب (٥) الرباب غيم يضرب إلى السواد يرى كأنه دون السحاب قال عبد الرحمن بن حسان

كأن الرباب دون السحاب نعام تعلق بالأرجل

وَتَحْتَ لِوَائِهِ ضَرَبُوا الأَعَادِى ... وَذَلَّ لَهُمْ مِنَ العَرَبِ الصِّعَابُ (١)

وَلَوْ غَيْرُ الأَمِيرِ غَزَا كِلاَباً ... ثَنَاهُ عَنْ شُمُوسِهِمِ ضَبَابُ (٢)

وَلاَقَى دُونَ ثَايِهِمِ طِعَاناً ... يُلاَقِى عِنْدَهُ الذِّئْبَ الغُرَابُ (٣)

وَخَيْلاً تَغْتَدِى رِيحَ المَوَامِى ... وَيَكْفِيهَا مِنَ المَاءِ السَّرَابُ (٤)

وَلَكِنْ رَبُّهُمْ أَسْرَى إِلَيْهِمْ ... فَمَا نَفَعَ الوُقُوفُ وَلاَ الذَّهَابُ (٥)

وَلاَ لَيْلٌ أَجَنَّ وَلا نَهَارٌ ... وَلا خَيْلٌ حَمَلْنَ وَلا رِكَابُ (٦)

وأث النبات كثر والتف يقول : أنهم نشأوا فى نعمته وقووا وعزوا باحسانه كالنبات الذى نما بماء السحاب فاستعار السحاب للاحسان والنبات للمحسن اليه (١) يقول : بانتسابهم إليه والى خدمته تمكنوا من أعدائهم وانقاد لهم من العرب من لا ينقاد لأحد

(٢) قال الواحدى : يذكر قوتهم وشوكتهم وان غير سيف الدولة لو أتاهم لما ظفر بهم وكنى بالشموس عن النساء وبالضباب عن المحامة دونهم لأن الضباب يستر الشمس ويحول دون النظر اليها قال : ويجوز أن يكون هذا مثلا معناه لو غزاهم غيره لكان له ما يشغله بما يلقى قبل الوصول اليهم واباحة حريمهم أى أنه كان يستقبله من قليلهم ما يمنعه من الوصول إلى الذين هم أكثر منهم فجعل الضباب مثلا للرعاع والشموس مثلا للسادة (٣) ولاقى عطف على ثناه والثاى جمع ثاية كآى وآية وهى حجارة تجعل حول البيت يأوى اليها الراعى ليلا وفيها مبارك الابل ومرابض الغنم يقول: لو غزاهم غيره لثناه ضباب عن شموسهم وللاقى دون وصوله الى هذه الحجارة حربا يكثر فيها القتلى حتى يجتمع عليهم الذئب والغراب طلبا للحوم القتلى

(٤) وخيلا عطف على طعانا والموامى جمع موماة وهى المفازة يقول : وكان يلاقى خيلا تعودت قطع المفاوز على غير علف وماء حتى كأن غذاءها الريح وماءها السراب لأنها عراب مضمرة معودة قلة العلف والماء (٥) رب كل شىء مالكه ويقال أسرى اذا سار ليلا وسرى اذا سار نهارا وقيل هما لغتان تستعملان بمعنى واحد يقول : انك سرت اليهم فما نفعهم الوقوف فى ديارهم للذود والدفاع ولا الذهاب للهرب لأنهم ان وقفوا قتلوا وان هربوا أدركوا (٦) يقول: ولم ينفعهم ليل يسترون تحته ولا نهار يكاشفونك فيه ولا خيل وابل تحملهم للهرب، فهم لهيبتك تلددوا حائرين حين طلبتهم فلم ينج بهم شىء من ذلك.

رَمَيْتَهُمُ بِبَحْرٍ مِنْ حَدِيدٍ لَهُ فِي البَرِّ خَلْفَهُمُ عُبابُ (١)

فَمَسَّاهُمْ وَبُسْطُهُمُ حَرِيرٌ وَصَبَّحَهُمْ وَبُسْطُهُمُ تُرابُ (٢)

وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاةٌ كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابُ (٣)

بَنُو قَتْلَى أَبِيكَ بِأَرْضِ نَجْدٍ وَمَنْ أَبْقَى وَأَبْقَتْهُ الحِرابُ (٤)

عَفَا عَنْهُمْ وَأَعْتَقَهُمْ صِغَارًا وَفِي أَعْنَاقِ أَكْثَرِهِمْ سِخَابُ (٥)

وَكُلُّكُمُ أَتَى مَأْتَى أَبِيهِ فَكُلُّ فَعَالِ كُلِّكُمُ عُجَابُ (٦)

كَذَا فَلْيَسْرِ مَنْ طَلَبَ الأَعَادِي وَمِثْلَ سُرَاكَ فَلْيَكُنِ الطِّلَابُ (٧)

---

(١) جعل جيشه بحرا من حديد لكثرة لابسى الحديد فيه ثم جعلهم يموجون خلفهم فى سيرهم فكأنهم بحر يمد عبابه وراءهم (٢) يقول: طرقهم ليلا وهم يفترشون الحرير آمنون فبيتهم وقتلهم حتى جدلوا على الأرض وأصبحوا وفرشهم التراب بعد الحرير وقال المعرى : يريد نهبهم فلم يترك لهم شيأ يقعدون عليه سوى التراب

(٣) يقول : وصار الرجال كالنساء ذلا واستخذاء وانقيادا (٤) بنو خبر مبتدا محذوف أى هم بنو قتلى أبيك ومن أبقى عطف عليه وفاعل أبقى ضمير يعود على أبيك يشير الى ما كان من أبى الهيجاء والد سيف الدولة مع بنى كلاب وذلك أنه لما هم بالحج كان أوقع بهم فى أرض نجد وفتك بهم فهؤلاء هم أبناء أولئك وبقيتهم

(٥) السخاب قلادة من قرنفل ونحوه ليس فيها من الجوهر شيء يلبسها الصبيان وجمعها سخب يقول : ان أباك قتل آباءهم وعفا عن الابناء فأعتقهم وهم صغار يلبسون السخاب (٦) يقول : كلا كما فعل فعل أبيه فهم تقيلوا آباءهم فى التمرد والعصيان وأنت أخذت أخذ أبيك فى العفو والغفران ففعلهم حين عصوك عجيب إذ لم يعتبروا بآبائهم وفعلك أيضا عجيب إذ صفحت عنهم وأبقيت على باقيهم؛ والفعال بفتح الفاء فعل الواحد خاصة فى الخير والشر يقال فلان لريم الفعال وفلان لئيم الفعال ولك أن تكسر الفاء على انه جمع فعل (٧) يقول: مثل هذا الفعل فليفعل من يطلب الأعادى وليكن طلابه مثل هذا السرى الذى سرت حتى بلغت مرادك

وقال يرثى أخت سيف الدولة وقد توفيت بميافارقين سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة

يا أُخْتَ خَيْرِ أَخٍ يا بِنْتَ خَيْرِ أَبٍ ... كِنايَةً بِهِما عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ (١)

أُجِلُّ قَدْرَكِ أَنْ تُسْمَيْ مُؤَبَّنَةً ... وَمَنْ يَصِفُكِ فَقَدْ سَمَّاكِ لِلعَرَبِ (٢)

لا يَمْلِكُ الطَّرَبُ المَحْزونُ مَنْطِقَهُ ... وَدْمعَهُ وَهُما فِي قَبْضَةِ الطَّرَبِ (٣)

غَدَرْتَ يا مَوْتُ كَمْ أَفْنَيْتَ مِنْ عَدَدٍ ... بِمَنْ أَصَبْتَ وَكَمْ أَسْكَتَّ مِنْ لَجَبِ (٤)

---

(١) يقول : يا أخت سيف الدولة ويا بنت أبى الهيجاء وهو المراد بأشرف النسب فكنى عن ذلك ونصب كناية على المصدر كانه قال كنيت كناية (٢) مؤبنة حال من الياء فى تسمى أى حال كونك مؤبنة أى مرثية من التأبين وهو الثناء على الميت يقول: انت أجل من ان أعرفك باسمك بل وصفك يعرفك بما فيك من المحاسن والمحامد التى ليست فى غيرك وهذا يغنى عن تسميتك كما قال أبو نواس

فهى اذا سُمِّيَتْ لَقَدْ وُصِفَتْ ... فَيَجْمَعُ الاسمُ مَعْنَيَيْنِ مَعاً

(٣) الطرب صفة من الطرب وهو خفة تعترى عند شدة الفرح أو الحزن والهم قال النابغة الجعدى فى الهم

سألَتْنى أَمَتى عن جارَتى ... وإذَا ما عَيَّى ذوا اللُّبِّ سَأَلْ

سألتْنى عَنْ أُناسٍ هَلَكُوا ... شَرِبَ الدَّهْرُ عليهم وأَكَلْ

وأرانى طرِباً فِى إثْرِهم ... طَرَبَ الواله أو كالمُخْتَبَلْ

« الواله الثاكل والمختبل الذى اختبل عقله أى جن » يقول المتنبى : من استخفه الحزن غلبه على لسانه ودمعه فلا يملكهما لانهما إذ ذاك يكونان فى قبضة الطرب أى الحزن يصرفهما كما يشاء

(٤) اللجب الضجيج واختلاط الاصوات يقول : غدرت ياموت بسيف الدولة إذ أخذت أخته وأنت تفنى به العدد الكثير وتسكت ضجيجهم واذا كان عونك على الافناء

وكَمْ صَحِبْتَ أَخاها فى مُنازَلَةٍ وكَمْ سَأَلْتَ فَلَمْ يَبْخَلْ ولمْ تَخِبِ (١)

طَوَى الجَزِيرَةَ حَتَّى جاءَنِى خَبَرٌ فَزِعْتُ فِيهِ بآمالِى إلَى الكَذِبِ (٢)

حَتَّى اذَا لَمْ يَدَعْ لِىْ صِدْقُهُ أَمَلاً

شَرِقْتُ بِالدَّمْعِ حَتَّى كادَ يَشْرَقُ بِى (٣)

تَعَثَّرَتْ بِهِ فى الأَفْوَاهِ أَلْسُنُها

وَالبُرْدُ فى الطُّرُقِ والأَقْلامُ فى الكُتُبِ (٤)

كَأَنَّ فَعْلَةَ لَمْ تَمْلَأْ مَوَاكِبُها دِيارَ بَكْرٍ وَلَمْ تَخْلَعْ ولَمْ تَهِبِ (٥)

كان من حقك أن ترعى ذمته ولا تفجعه بأخته وقيل معنى البيت : أنه مات بموتها خلق كثير وسكت لجبهم وترددهم فى خدمتها أو أنهم سقطوا عن برها وصلاتها فكأنهم ماتوا وهذا كقول القائل

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

(١) يقول : وكم صحبت أخاها ياموت فى غزواته وطلبت اليه أن يمكنك من اهلاك من أردت فأجابك إلى ذلك ومكنك بسيفه ممن أردت وهذا كقوله الآتى فى قافية اللام

شريك المنايا والنفوس غنيمة فكل ممات لم يمته غلول

(٢) الجزيرة ما بين دجلة والفرات وخبر تنازعه كل من طوى وجاءنى يقول : لما جاءنى هذا النعى وطوى الجزيرة حتى ورد على فى الكوفة رجوت أن يكون كذبا وتعللت بهذا الرجاء (٣) يقول : حتى اذا صح الخبر ولم يبق رجاء فى أن يكون كذبا غصصت بالدمع لغلبة البكاء وكثرة الدموع حتى كاد الدمع يشرق بى أى حتى صرت بالقياس إلى الدموع كالشىء الذى يغص به فى القلة. والشرق بالدمع أن يقطع الانتحاب نفسه ومحصل المعنى : كاد الدمع لاحاطته بى أن يكون كانه غص بى (٤) لم يلحق الباء فى به بالهاء واكتفى بالكسرة ضرورة والبرد جمع بريد والبريد كلمة فارسية أصلها بريده دم أى محذوف الذنب لان بغال البريد كانت محذوفة الاذناب كالعلامة لها ثم سمى الرسول الذى يركب دواب البريد بريدا يقول : لهول هذا الخبر تلجلجت به الالسنة فى الافواه وتعثرت الرسل الحاملة له فى الطرق ورجفت أيدى الكتاب فى كتابته

(٥) فعلة كناية عن اسم المرثية وهو خولة يقول: مضت فكأنها لم تكن تلك التى ملأت جيوشها ديار بكر والتى كانت تهب وكانت تخلع فانطوى ذلك بموتها

وَلَمْ تَرُدَّ حَيَاةً بَعْدَ تَوْلِيَةٍ وَلَمْ تُغِثْ دَاعِيًا بِالْوَيْلِ وَالْحَرَبِ (١)

أَرَى الْعِرَاقَ طَوِيلَ اللَّيْلِ مُذْ نُعِيَتْ

فَكَيْفَ لَيْلُ فَتَى الْفِتْيَانِ فِي حَلَبِ (٢)

يَظُنُّ أَنِّ فُؤَادِي غَيْرُ مُلْتَهِبٍ وَأَنَّ دَمْعَ جُفُونِي غَيْرُ مُنْسَكِبِ (٣)

بَلَى وَحُرْمَةِ مَنْ كَانَتْ مُرَاعَيَةً لِحُرْمَةِ الْمَجْدِ وَالْقُصَّادِ وَالْأَدَبِ (٤)

وَمَنْ مَضَتْ غَيْرَ مَوْرُوثٍ خَلَائِقُهَا وَإِنْ مَضَتْ يَدُهَا مَوْرُوثَةَ النَّشَبِ (٥)

وَهَمُّهَا فِي الْعُلَا وَالْمَجْدِ نَاشِئَةً وَهَمُّ أَتْرَابِهَا فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ (٦)

يَعْلَمْنَ حِينَ يُحَيِّينَ حُسْنَ مَبْسِمِهَا وَلَيْسَ يَعْلَمُ إِلَّا اللَّهُ بِالشَّنَبِ (٧)

---

(١) بالويل متعلق بداعيا وتولية أى ذهاب وادبار مصدر ولى والويل الهلاك والحرب ذهاب المال حرب الرجل سلب ماله والداعى بالويل والحرب الذى يصيح واويلاه واحرباه يقول : ولقد كانت ترد حياة الملهوف بالاغاثة والاجارة والبذل وتغيث من يدعوها اذا دعاها بالويل والحرب (٢) يقول : طال ليل أهل العراق مذ أتاهم نعيها حزنا عليها فكيف ليل أخيها سيف الدولة فى حلب قال العكبرى : ليس لهذا البيت معنى طائل وفيه سماجة ... (٣) أراد أيظن فحذف حرف الاستفهام والضمير لسيف الدولة ويروى بالتاء على الخطاب يقول : أتظن أنى غير حزين (٤) بلى حرف جواب تختص بالنفى وتفيد ابطاله سواء كان مجردا أم مقرونا بالاستفهام يقول : بلى فؤادى ملتهب ودمعى منسكب بحق حرمة من كانت تراعى حرمة هذه الامور فقوله وحرمة الخ قسم

(٥) ومن مضت عطف على من كانت فى البيت السابق والخلائق جمع خليقة بمعنى الخلق والنشب المال يقول : وبحرمة من ماتت ولم تورث أخلاقها لانه لا يوجد بعدها من يشبهها فيها وان كان مالها موروثا (٦) أترابها لداتها ونظيراتها فى العمر جمع ترب بكسر التاء للمذكر والمؤنث يقول : همها منذ صباها منصب فى العلا وتدبير الملك بينما أقرانها همهن فى اللهو واللعب وهذا من قول حمزة بن بيض

فهمُّكُ فيها جسام الأمور وهمّ لداتك أن يلعبوا

(٧) الشنب قيل هو تحزيز أطراف الاسنان وقيل صفاؤها ونقاؤها وقيل تفليجها وقيل طيب نكهتها يقول : ان أترابها اذا جئن اليها رأين حسن مبسمها ولا يعلم ما وراء

مَسَرَّةٌ فِى قُلُوبِ الطِّيبِ مَفْرِقُهَا وَحَسْرَةٌ فِى قُلُوبِ البَيْضِ واليَلَبِ (١)

إِذَا رَأَى وَرَآهَا رَأْسَ لابِسِهِ رَأَى المَقَانِعَ أَعْلَى مِنْهُ فِى الرُّتَبِ (٢)

وَإِنْ تَكُنْ خُلِقَتْ أُنْثَى لَقَدْ خُلِقَتْ

كَرِيمَةً غَيْرَ أُنْثَى العَقْلِ والحَسَبِ (٣)

وَإِنْ تَكُنْ تَغْلِبُ الغَلْبَاءُ عُنْصُرَهَا فَإِنَّ فِى الخَمْرِ مَعْنًى لَيْسَ فِى العِنَبِ (٤)

فَلَيْتَ طَالِعَةَ الشَّمْسَيْنِ غَائِبَةٌ وَلَيْتَ غَائِبَةَ الشَّمْسَيْنِ لَمْ تَغِبِ (٥)

شفتيها من الشنب إلا الله لانه لم يذقه أحد قال الواحدى : وأساء فى ذكر حسن مبسم أخت ملك وليس من العادة ذكر جمال النساء فى مراثيهن. قال ابن جنى : كان المتنبى يتجاسر فى ألفاظه جدا

(١) مفرقها موضع افتراق الشعر من الرأس، واليلب الدروع اليمانية تتخذ من الجلود أو جلود يخرز بعضها إلى بعض تلبس على الرؤس خاصة تحت البيض واحدتها يلبة والبيض جمع بيضة وهي الخوذه من حديد يقول : ان الطيب يسر باستعمالها اياه والبيض واليلب يتحسران بتركها لبسهما ، لأنهما من ملابس الرجال (٢) المقانع جمع مقنع ومقنعة وهو ما تقنع به المرأة رأسها وتقدير الشطر الأول : إذا رأى البيض أو اليلب رأس لابسه ورآها، فضمير رأى للبيض واليلب وأفرد الضمير لانهما مترادفان فكانهما شيء واحد يقول : اذا رأى البيض رأس لابسه ورأى هذه المرأة وهى تلبس المقانع رأى المقانع أعلى رتبة منه فازداد حسرة على تركها اياه وحرمانه من ذلك

(٣) الحسب شرف الآباء أو الفعال الصالح أى شرف الفعل . يقول : ان لها عقل الرجال وحسبهم وان خلقت أنثى (٤) تغلب قبيلة سيف الدولة والغلباء فى الأصل الغليظة الرقبة والمراد العزيزة الأبية الممتنعة يقول : هى وإن كانت من تغلب ـ تلك القبيلة المعروفة بالعز والمنعة ـ بيد أن لها مع ذلك من الفضائل ما تمتاز به عنهم وتفضلهم كالخمر أصلها العنب ولكن فى الخمر من المزايا ما ليس فى العنب ومن ثم تفضله وهذا مثل قوله فان المسك بعض دم الغزال (٥) جعلها وشمس النهار شمسين ثم قال ليت طالعتهما وهى شمس

ولَيْتَ عَيْنَ الَّتِي آبَ النَّهارُ بِها ... فِداءُ عَيْنِ الَّتِي زالَتْ ولَمْ تَؤُبِ (١)

فَما تَقَلَّدَ بالياقُوتِ مُشْبِهُها ... ولا تَقَلَّدَ بالهِنْدِيَّةِ القُضُبِ (٢)

ولا ذَكَرْتُ جَمِيلاً مِنْ صَنائِعِها ... إلَّا بَكَيْتُ ولا وُدٌّ بلا سَبَبِ (٣)

قَدْ كانَ كُلُّ حِجابٍ دُونَ رُؤْيَتِها ... فَاقَنِعَتْ لَهَا يا أَرْضُ بالحُجُبِ (٤)

ولا رَأَيْتِ عُيُونَ الإِنْسِ تُدْرِكُها ... فَهَلْ حَسَدْتِ عَلَيْهَا أَعْيُنَ الشُّهُبِ (٥)

وَهَلْ سَمِعْتِ سَلاماً لِي أَلَمَّ بِهَا
فَقَدْ أَطَلْتُ وماسَلَّمْتُ مِنْ كَثَبِ (٦)

وَكَيْفَ يَبْلُغُ مَوْتانا الَّتِي دُفِنَتْ ... وَقَدْ يُقَصِّرُ عَنْ أَحْيائِنا الغَيَبِ (٧)

النهار غائبة وليست غائبتهما وهى المرثية لم تغب يقول : ان فى حياتها منافع جمة فليتها بقيت وفقدنا الشمس (٢) آب رجع يقول : وليت عين الشمس فداء عين المرثية التى غابت ولم ترجع (٣) الهندية السيوف والقضب جمع قضيب وهو اللطيف الدقيق من السيوف يقول : ليس لها شبيه لامن النساء ولا من الرجال (٤) يقول: اذا ذكرت صنائعها بكيت لمحبتى اياها ، وسبب محبتى هو صنائعها لدى واحسانها إلى وروى ابن جنى بلا ود ولا سبب أى ليس بكائى لود أو سبب سوى صنائعها

(٥) يقول : كانت محجوبة عن الأعين بكل حجاب فأحبت الأرض أن تكون من حجبها فانضمت عليها فكأن الارض لم تقنع بماحولها من الحجاب حتى حجبتها بنفسها (٦) يقول : لم تكن عيون الناس تصل إليها فهل حسدت الكواكب يا أرض على النظر إليها فواريتها عنهن (٧) قال الواحدى : يقول للارض : هل سمعت سلاما لى أتاها ؟ يريد أنه يجهز اليها السلام والدعاء وسأل الارض عن بلوغ سلامه اليها ثم قال : وقد أطلت التأبين والمرثية وتجهيز السلام عليها ولم أسلم عليها من قرب ، لانها ماتت على بعد منه (٨) الغيب جمع غائب مثل خدم وخادم يقول : كيف يبلغ السلام أمواتنا المدفونين وهو قد يقصر عن بلوغ أحيائنا الغائبين وكأن هذا مبنى على معنى البيت السابق ، أى أن سلامه لم يكن يبلغها فى حياتها للبعد الذى بينهما فكيف يبلغها بعد موتها

يا أَحْسَنَ الصَّبْرِ زُرْ أَوْلَى القُلُوبِ بِهَا ... وَقُلْ لِصاحِبِهِ يا أَنْفَعَ السُّحُبِ (١)

وَأَكْرَمَ النَّاسِ لا مُسْتَثْنِياً أَحَدًا ... مِنَ الكِرامِ سِوى آبائِكَ النُّجُبِ (٢)

قَدْ كانَ قاسَمَكَ الشَّخْصَيْنِ دَهْرُهُما ... وعاشَ دُرُّهُما المَفْدِيُّ بِالذَّهَبِ (٣)

وَعادَ فِي طَلَبِ المَتْرُوكِ تارِكُهُ ... إِنَّا لَنَغْفُلُ وَالأَيَّامُ فِي الطَّلَبِ (٤)

ما كانَ أَقْصَرَ وَقْتاً كانَ بَيْنَهُما ... كَأَنَّهُ الوَقْتُ بَيْنَ الوِرْدِ والقَرَبِ (٥)

جَزَاكَ رَبُّكَ بِالأَحْزانِ مَغْفِرَةً ... فَحُزْنُ كُلِّ أَخِي حُزْنٍ أَخُو الغَضَبِ (٦)

---

(١) أولى القلوب بها هو قلب أخيها أى سيف الدولة والضمير فى لصاحبه يعود على أولى القلوب وصاحبه هو سيف الدولة يقول : يا أحسن الصبر زر قلب سيف الدولة الذى هو أولى القلوب بمودتها والجزع عليها وقل لصاحب هذا القلب يا أنفع السحب أى أن عطاءه اهنأ لانه بغير أذى والسحاب قد يؤذى سيله وتهلك صواعقه

(٢) وأكرم الناس عطف على أنفع السحب والنجب جمع نجيب وهو الكريم من كل شىء « والكريم ضد اللئيم » يقول : وقل له يا أكرم الناس غير مستثن احدا سوى آبائك الكرام قال العكبرى : وهذا لفظ منكر يدخل فيه الأنبياء ومن دونهم .. أقول وهى احدى مبالغات المتنبي القبيحة (٣) يريد بالشخصين اختيه مات احداهما وهى الصغرى وبقيت الكبرى فكانت كدر فدى بذهب ، جعل الكبرى كالدر والصغرى كالذهب

(٤) المتروك هو الدر والتارك الدهر يقول : وبعد ذلك عاد الدهر يطلب الكبرى وأخذها لأن الايام لا تغفل عن طلب ما تركته وهذا البيت والذى قبله كأنهما من قول الاعرابى

وقاسَمَنِي دَهرِى بَنِيَّ مشاطراً ... فلما تَقَضَّى شَطْرُهُ عاد فى شَطْرِى

(٥) الورد اتيان الابل الماء والقرب سير الليل لورد الغد وذلك أن القوم يرعون الابل وهم فى ذلك يسيرون نحو الماء فاذا بقيت بينهم وبين الماء عشية عجلوا نحوه فتلك الليلة ليلة القرب يقول : أن أجليهما كانا متقاربين جدا حتى أن المدة التى بينهما كانت لقصرها كأنها المدة التى بين الورد والقرب وهى ليلة (٦) يقول : غفر الله لك احزانك

وَأَنْتُمُ نَفَرٌ تَسْخُو نُفُوسُكُمُ ... بِمَا يَهَبْنَ وَلَا يَسْخُونَ بِالسَّلَبِ (١)

حَلَلْتُمُ مِنْ مُلُوكِ النَّاسِ كُلِّهِمِ ... مَحَلَّ سُمْرِ الْقَنَا مِنْ سَائِرِ الْقَصَبِ (٢)

فَلَا تَنَالَكَ اللَّيَالِي إِنَّ أَيْدِيَهَا ... إِذَا ضَرَبْنَ كَسَرْنَ النَّبْعَ بِالْغَرَبِ (٣)

وَلَا يُعِنَّ عَدُوًّا أَنْتَ قَاهِرُهُ ... فَإِنَّهُنَّ يَصِدْنَ الصَّقْرَ بِالْخَرَبِ (٤)

وَإِنْ سَرَرْنَ بِمَحْبُوبٍ فَجَعْنَ بِهِ ... وَقَدْ أَتَيْنَكَ فِي الْحَالَيْنِ بِالْعَجَبِ (٥)

وَرُبَّمَا احْتَسَبَ الْإِنْسَانُ غَايَتَهَا ... وَفَاجَأَتْهُ بِأَمْرٍ غَيْرِ مُحْتَسَبِ (٦)

لان الحزن للمصيبة اخو الغضب على القدر حيث لم يجر بمراد الانسان والغضب على القدر مما يستغفر منه (١) يسخون أى النفوس ووزنه يفعلن فالواو لام الفعل والنون علامة الاضمار وجمع التأنيث وهو مثل إلا أن يعفون أى النساء ويروى تسخون بلفظ خطاب الذكور والسلب مايؤخذ من القتيل من ثياب وسلاح يقول : انما تحزن لأن الدهر سلبك المرثية وانتم قوم أهل عزة وأنفة تجودون بالذى تعطونه عن طيب نفس ولا تجودون بما يؤخذ منكم قهرا وهذا المعنى كقول القائل

لا جزعا بل أنفا شابه ... أن يقدر الدهر على غصبه

(٢) القنا عيدان الرماح يقول : أنتم بين الملوك كالقنا بين سائر القصب والقنا يفضل سائر أنواع القصب وكذلك أنتم تفضلون سائر الملوك (٣) النبع شجر صلب ينبت فى رؤس الجبال تتخذ منه القسى والغرب نبت ضعيف ينبت على الانهار. يدعوله يقول : لا أصابتك الليالى بسوء فانها تغلب القوى بالضعيف (٤) الخرب ذكر الحبارى ☆ وجمعه خربان، يدعو له أن لا تعين الليالى من عاداه فانهن يصدن القوى بالضعيف وهو بسبب من معنى البيت السابق (٥) يقول : ان سرتك الأيام بوجود ما تحبه فجعتك بفقده اذا استردته وقد أريتك العجب حيث سررتك بها ثم فجعتك بفقدها فكانت سببا للسرور والفجيعة وهذا عجب أن يكون شىء واحد سببا للمسرة والمساءة

(٦) يقول : قد يحسب الانسان أن المحن قد تناهت فيلم به شىء لم يكن فى حسبانه واذن لاتؤمن فجعات الدهر

☆ الحبارى طائر أكبر من الدجاج الأهلى وأطول عنقا وهو أنواع كثيرة ويضرب به المثل فى البلاهة فيقال أبله من الحبارى قيل لأنه اذا غير عشه ذهل وحضن بيض غيره

وَمَا قَضَى أَحَدٌ مِنهَا لُبَانَتَهُ وَلَا انْتَهَى أَرَبٌ إِلَّا إِلَى أَرَبِ (١)

تَخَالَفَ النَّاسُ حتّى لَا اتِّفَاقَ لَهُمْ

إِلَّا عَلَى شَجَبٍ وَالْخُلْفُ فِي الشَّجَبِ (٢)

فَقِيلَ تَخْلُصُ نَفْسُ الْمَرْءِ سَالِمَةً وَقِيلَ تَشْرَكُ جِسْمَ الْمَرْءِ فِي الْعَطَبِ (٣)

وَمَنْ تَفَكَّرَ فِي الدُّنْيَا وَمُهْجَتِهِ أَقَامَهُ الْفِكْرُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالتَّعَبِ (٤)

وأنفذ اليه سيف الدولة كتاباً بخطه إلى الكوفة يسأله المسير اليه ، فأجابه بهذه الابيات وأنفذها اليه فى ميّافارقين وكان ذلك فى شهر ذى الحجّة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة (٥)

---

(١) اللبانة الحاجة والأرب الغرض فهما متقاربان يقول : لم يقض أحد حاجته من الدنيا لأن حاجات الانسان لاتنقضى فاذا فرغ من أرب انتهى إلى أرب آخر وذلك كما يقول أمية بن أبى الصلب

تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقى

(٢) و (٣) الشجب الهلاك والخلف الاختلاف والمراد بالنفس الروح يقول : جرى خلف الناس فى كل شىء ولم يتفقوا إلا على الهلاك أى أن منتهى كل حيوان أن يموت فيهلك ثم اختلفوا فى حقيقة الهلاك ففريق يقول أن الروح تسلم من الهلاك ولا تفنى بفناء الاجسام — وهؤلاء هم المقرون بالبعث — وفريق يذهب إلى أن الروح يفنى كالجسم — وهؤلاء هم الدهريون ومن يقول بقدم العالم

(٤) المهجة الروح يقول : من أفكر فى الدنيا وأنه مفارقها ألبتة اتعبه هذا الفكر لما يجد فى ذلك من الأسف على الدنيا والخوف على روحه ثم رأى فى الوقت نفسه أن ذلك قضاء حتم لايستطيع الفرار منه فيرى نفسه بين حالين من التعب والعجز

(٥) هذه القصيدة من المتقارب وتقطيعها فعولن أربع مرات دخله القصر فصار فعولن فعولن فعولن فعل وقد ارتكب أبو الطيب فيها سناد التوجيه وهو المخالفة فى حركة ما قبل الروى المقيد ومن الناس من لايعده سناداً اكتفاء باتفاق الروى

فَهِمْتُ الْكِتَابَ أَبَرَّ الْكُتُبْ ... فَسَمْعًا لِأَمْرِ أَمِيرِ الْعَرَبْ (١)

وَطَوْعًا لَهُ وَابْتِهَاجًا بِهِ ... وَإِنْ قَصَّرَ الْفِعْلُ عَمَّا وَجَبْ (٢)

وَمَا عَاقَنِي غَيْرُ خَوْفِ الْوُشَاةِ ... وَإِنَّ الْوِشَايَاتِ طُرْقُ الْكَذِبْ (٣)

وَتَكْثِيرِ قَوْمٍ وَتَقْلِيلِهِمْ ... وَتَقْرِيبِهِمْ بَيْنَنَا وَالْخَبَبْ (٤)

وَقَدْ كَانَ يَنْصُرُهُمْ سَمْعُهُ ... وَيَنْصُرُنِي قَلْبُهُ وَالْحَسَبْ (٥)

وَمَا قُلْتُ لِلْبَدْرِ أَنْتَ اللُّجَيْـ ... ـنُ وَلَا قُلْتُ لِلشَّمْسِ أَنْتِ الذَّهَبْ (٦)

فَيَقْلَقَ مِنْهُ الْبَعِيدُ الْأَنَاةِ ... وَيَغْضَبَ مِنْهُ الْبَطِيءُ الْغَضَبْ (٧)

وَمَا لَاقَنِي بَلَدٌ بَعْدَكُمْ ... وَلَا اعْتَضْتُ مِنْ رَبِّ نُعْمَايَ رَبْ (٨)

---

(١) و (٢) سمعا وطوعا وابتهاجاً ثلاثتها مصادر دلت على أفعالها أى سمعت أمرك سمعا ، وطعت طاعة ، وابتهجت بكتابك ابتهاجا ، والابتهاج الفرح يقول : إنى سامع لأمرك مطيع له مبتهج بكتابك بيد أن فعلى فى طاعتك لايبلغ ما يجب إذ أننى قصرت بتخلفى عن المجيء إليك (٣) الوشاة جمع واش وهو النمام ، يقول : لم يمنعنى من النهوض إليك غير خوفى الوشاة ، فان الوشايات من طرق الكذب فلا يأمنها البرىء

(٤) التقريب والخبب ضربان من العدو يقول : وعاقنى أيضاً خوف تكثير قوم معائبي وتقليلهم مناقبى وسعيهم بيننا بالفساد .

(٥) يقول إنه كان يصغى إليهم ويسمع منهم بيد أن قلبه كان على أية حال معى يعضده في ذلك شرفه ، فعد أصغاءه إليهم نصرا لهم ونزاعه إليه نصرا له .

(٦) و(٧) اللجين الفضة والأناة الحلم والرفق والتثبت،وبعد الأناة كناية عن كونه لايستحف من أول وهلة وقوله فيقلق جواب النفى فى البيت الاول والضمير فى منه يعود على المصدر المفهوم من قوله قلت أى فيقلق من قولى هذا يقول : إننى لم انقصك مما تستحق من المدح شيأ كما ينقص البدر بتشبيهه باللجين والشمس بتشبيهها بالذهب أى لم ات فى حقك ما يوجب أن ينزعج له مثلك فى بعد أناته وبطء غضبه

(٨) لاقنى امسكنى وحبسنى يقال منه فلان لايليق ببلد أى ما يمتسك ولا يليقه بلد أى لايمسكه . قال الاصمعى للرشيد : ما ألاقتنى أرض حتى أتيتك يا أمير المؤمنين أى

وَمَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعْدَ الْجَوَا دِ أَنْكَرَ أَظْلَافَهُ وَالْغَبَبْ (١)

وَمَا قِسْتُ كُلَّ مُلُوكِ الْبِلَادِ فَدَعْ ذِكْرَ بَعْضٍ بِمَنْ فِي حَلَبْ (٢)

وَلَوْ كُنْتُ سَمَّيْتُهُمْ بِاسْمِهِ لَكَانَ الْحَدِيدُ وَكَانُوا الْخَشَبْ (٣)

أَفِي الرَّأْيِ يُشْبِهُهُ أَمْ فِي السَّخَا ءِ أَمْ فِي الشَّجَاعَةِ أَمْ فِي الْأَدَبْ (٤)

مُبَارَكُ الِاسْمِ أَغَرُّ اللَّقَبْ كَرِيمُ الْجِرِشَّى شَرِيفُ النَّسَبْ (٥)

ما ثبت بها ويقال فلان ما يليق بكفه درهم أى ما يحتبس وما يليق درهما أى ما يحبسه ولا يلصق به قال الشاعر

كَفَاكَ كَفٌّ ما تُليق درهما جوداً وأخرى تعط بالسيف الدما

ورب نعماى صاحب نعمتى ووقف على الباء من قوله رب — وهى موضع نصب — ضرورة للقافية ، وخففها — وحكمها التشديد — لوقوعها رويا يقول : لم أقم ببلد بعدكم ولا اعتضت من رب نعمتى عوضا وهذا مثل قوله :

ومن اعتاض منك إذا افترقنا وكل الناس زور ما خلاكا

(١) الاظلاف جمع ظلف وهو من البقرة والشاة والظبى بمنزلة القدم للانسان والخف للبعير والحافر للفرس والبغل والحمار ، والغبب والغبغب للبقر والديك ما تدلى تحت حنكيهما ، جعل الجواد مثلا لسيف الدولة والثور مثلا لمن لقى بعده من الملوك وهذا كقول خراش بن زهير

ولا أكون كمن ألقى رحالته على الحمار وخلّى صهوة الفرس

قال الخطيب . ذكر الركوب هنا فيه جفاء ولا تخاطب الملوك بمثل هذا

(٢)و(٣) بمن فى حلب متعلق بقست وقوله فدع ذكر بعض معترضة بينهما يقول : لم أقس كل الملوك به فضلا أن أقيس به بعضهم ولو أنا شبهتهم به وسميتهم سيوفا كما يسمى هو سيف الدولة لكانوا سيوفا من خشب وكان هو سيفا من حديد يعنى أن مدحه إياه حقيقة ومدحه إياهم مجاز اذ لاشبه بينهم وبينه

(٤) هذا استفهام انكار يقول : ليس يشبهه أحد من الملوك فى شىء من ذلك

(٥) مبارك الاسم لأن اسمه على وهو مشتق من العلو والعلو محبوب مطلوب ولانه سمى على بن أبى طالب وهو من هو ، واغر اللقب لأنه سيف الدولة وقد اشتهر هذا

أَخُو الحَرْبِ يُنْدِمُ مِمَّا سَبَى قَنَاهُ وَيَخْلَعُ مِمَّا سَلَبْ (١)
إِذَا حَازَ مَالاً فَقَدْ حَازَهُ فَتَى لاَ يُسَرُّ بِمَا لاَ يَهَبْ (٢)
وَإِنِّى لَأُتْبِعُ تَذْكَارَهُ صَلاَةَ الإِلَهِ وَسَقْىَ السُّحُبْ (٣)
وَأُثْنِي عَلَيْهِ بِآلاَئِهِ وَأَقْرُبُ مِنْهُ نَأَى أَوْ قَرُبْ (٤)
وَإِنْ فَارَقَتْنِيَ أَمْطَارُهُ فَأَكْثَرُ غُدْرَانِهَا مَا نَضَبْ (٥)
أَيَا سَيْفَ رَبِّكَ لاَ خَلْقِهِ وَيَاذَا المَكَارِمِ لاَذَا الشُّطَبْ (٦)

اللقب فهو أغرای متعالم مشهور أبلج وكريم الجرشى أى النفس وشريف النسب لانه من ربيعة وهم كرام أشراف ، وكلمة الجرشى من قبيح ألفاظ المتنبى

(١) أخو الحرب أى عرفت به وعرف بها فصار لها أخا وقناه فاعل سبى أى رماحه يقول : هو أخو الحرب وصاحبها فاذا أعطى أحدا خادما فهو مما سباه بنفسه لامما اشتراه لان مماليكه جميعا من سباياه وإذا خلع على إنسان ثوبا فهو مما سلبه من أعدائه يريد كثرة نكايته فى الاعداء (٢) فتى فاعل حازه من باب النجريد يقول: إذا جمع مالا لايسر منه بما يدخر ولكن بما يهب وهذا كقول البحترى :

لايتمطى كما احتج البخيل ولا يحب من ماله إلا الذى يهب

(٣) يقول : كلما ذكرته دعوت له بهذين فقلت له صلى الله عليه وسقاه الله والصلاة من الله الرحمة وقدجرى العرف بقصر الصلاة على الأنبياء ، ولكن الشعراء دينهم المبالغة وتعظيم الممدوح ما وجدوا إلى ذلك سبيلا . وقد قال ابن الرقاع

صلى الاله على امرىء ودعته وأتم نعمته عليه وزادها

وقال الراعى :

صلّى على عَزّةَ الرحمنُ وابنتِها ليلْى وصلّى على جاراتها الأُخَرِ

(٤) يقول أثنى عليه بما وصل إلى وإلى غيرى من نعمه ، وأقرب منه بالموالاة والمحبة أقربت محلته أم بعدت (٥) الغدران جمع غدير وهو البقية من الماء تبقى بعد السيل من غادره تركه ونضب الماء غار فى الارض وبعد وما من قوله ما نضب نافية يقول : إذا كان بره قد انقطع عنى فان ما سبق إلى منه باق كالغدران تبقى بعد المطر

(٦) الشطب بضم الشين والطاء وبفتح الطاء جمع شطبة وهى الطرائق التى فى متن

وَأَبْعَدَ ذِي هِمَّةٍ هِمَّةً ... وَأَعْرَفَ ذِي رُتْبَةٍ بِالرُّتَبْ (١)

وَأَطْعَنَ مَنْ مَسَّ خَطِّيَّةً ... وَأَضْرَبَ مَنْ بِحُسَامٍ ضَرَبْ (٢)

بِذَا اللَّفْظِ نَادَاكَ أَهْلُ الثُّغُورِ ... فَلَبَّيْتَ وَالْهَامُ تَحْتَ الْقُضُبْ (٣)

وَقَدْ يَئِسُوا مِنْ لَذِيذِ الْحَيَاةِ ... فَعَيْنٌ تَغُورُ وَقَلْبٌ يَجِبْ (٤)

وَغَرَّ الدُّمُسْتُقَ قَوْلُ الْعُدَا ... ةِ أَنَّ عَلِيًّا ثَقِيلٌ وَصِبْ (٥)

وَقَدْ عَلِمَتْ خَيْلُهُ أَنَّهُ ... إِذَا هَمَّ وَهْوَ عَلِيلٌ رَكِبْ (٦)

أَتَاهُمْ بِأَوْسَعَ مِنْ أَرْضِهِمْ ... طِوَالَ السَّبِيبِ قِصَارَ الْعُسُبْ (٧)

السيف وسيف مشطب ومشطوب فيه طرائق وكذلك ثوب مشطب يقول : لست سيفا كسائر السيوف فأنت سيف الله لا سيف الناس وأنت صاحب المكارم لا سيف فيه طرائق من سيوف الحديد

(١)و(٢) أبعد وأعرف وأطعن وأضرب نصب على النداء المضاف والخطية الرماح يقول : يا أبعد الناس همة ويا أعرف الناس برتب الرجال وطبقاتهم أو تعطى كلا منهم المنزلة التى يستحقها ويا أطعن من مس رمحا وأضرب من ضرب بسيف

(٣) قوله بذا أى بأطعن وأضرب، والثغور مواضع المخافة من فروج البلدان. والهام الرؤوس. والقضب السيوف القواطع يقول : ان أهل الثغور نادوك بقولهم يا أطعن من طعن بخطية ويا أضرب من ضرب بحسام فأجبتهم ورؤسهم تحت سيوف الروم تكاد تطيرها (٤) غارت العين دخلت فى الرأس أى من شدة الرعب والوجيب خفقان القلب يقول: إنك أجبتهم حين نادوك وقد يئسوا من الحياة فهم فى خوف ورعب واضطراب حتى أنقذتهم (٥) الدمستق قائد الروم والعداة جمع عاد بمعنى عدو والثقيل الشديد المرض والوصب المريض يقول : إنما اجترأ الدمستق على أهل الثغور لانه اغتر بما أرجف به الاعداء من أنك مريض لا نستطيع أغاثتهم (٦) يقول وما كان ينبغى للدمستق أن يغتر لأن سيف الدولة إذا هم بالغارة وهو عليل ركب إلى أعدائه كما تعلم خيله من عادته

(٧) أتاهم أى الدمستق وبأوسع أى بخيل أوسع وطوال وقصار منصوبان على الحال والسبيب شعر الناصية والعرف والذنب . والعسب جمع عسيب وهو منبت الذنب يقول

تَغِيبُ الشَّوَاهِقُ فِى جَيْشِهِ ... وَتَبْدُو صِغَارًا إِذَا لَمْ تَغِبْ (١)

وَلَا تَعْبُرُ الرِّيحُ فِى جَوِّهِ ... إِذَا لَمْ تَخُطَّ الْقَنَا أَوْ تَثِبْ (٢)

فَغَرَّقَ مُدْنَهُمُ بِالْجُيُوشِ ... وَأَخْفَتَ أَصْوَاتَهُمْ بِاللَّجَبْ (٣)

فَأَخْبِثْ بِهِ طَالِبًا قَهْرَهُمْ ... وَأَخْبِثْ بِهِ تَارِكًا مَا طَلَبْ (٤)

نَأَيْتَ فَقَاتَلَهُمْ بِاللِّقَاءِ ... وَجِئْتَ فَقَاتَلَهُمْ بِالْهَرَبْ (٥)

وَكَانُوا لَهُ الْفَخْرَ لَمَّا أَتَى ... وَكُنْتَ لَهُ الْعُذْرَ لَمَّا ذَهَبْ (٦)

سَبَقْتَ إِلَيْهِمْ مَنَايَاهُمُ ... وَمَنْفَعَةُ الْغَوْثِ قَبْلَ الْعَطَبْ (٧)

أتاهم الدمستق بخيل مونعها من الارض أوسع من أرض الروم ، يصف عسكر الروم بالكثرة ثم وصف خيلهم بأنها من جياد الخيل لان طول شعر الذنب وقصر عظمه مما يستحب فى الخيل (١) يقول : إذا علا جيشه الشواهق أى الجبال العالية غطاها لكثرته فغابت فيه ، واذا تخلل جوانبها ظهرت صغاراً بالاضافة اليه

(٢) تخط بحذف إحدى التاءين أى تتخطى والقنا الرماح يقول : لكثرة رماح هذا الجيش وتضايق ما بينها غص الهواء بها فلا تجد الريح منفذاً إلاأن تتخطى الرماح أى تكون أعلى طريقا منها أو تثب من فوقها (٣) اللجب كثرة الاصوات واختلاطها يقول : أتاهم من الجيوش بما عم بلادهم فكأنها أغرقتها وأخفى أصواتهم بأصوات جيوشه لكثرتها وارتفاعها (٤) أخبث به صيغة تعجب أى ما أخبثه فى الحالين ويروى الثانى وأخيب به تاركا ، من الخيبة ، وطالبا وتاركا حالان يقول : ما أخبثه حين يحاول قتلهم لانه استدبر فى ذلك سيف الدولة خشة منه وجبنا ، وما أخيبه إذ ترك هذه المحاولة وولى هاربا يطلب النجاة (٥) يقول : لما كنت بعيدا عن أهل الثغور أتاهم فقاتلهم بالمبارزة فلما جئت جعل الهرب موضع القتال أى حمى نفسه بالهرب فكأنما قاتلهم به كى ينجو (٦) يقول : إنه كان يفتخر بأن قصدهم وصمد لقتالهم فلما ارتد عنهم هاربا كنت عذرا له فى ارتداده لأنه لايقوم لك، ومثلك من يفر منه يعذر (٧) يقول : إنك أدركتهم قبل أن يعصف بهم فأغثتهم قبل أن يعطبوا وانما ينفع الغوث إذا كان قبل العطب والهلاك أما بعد ذلك فلا قيمة للغوث وهذا المعنى ينظر إلى قول أ تمام

فَخَرُّوا لِخَالِقِهِمْ سُجَّدًا وَلَوْ لَمْ تُغِثْ سَجَدُوا لِلصُّلُبْ (١)

وَكَمْ ذُدْتَ عَنْهُمْ رَدَى بِالرَّدَى وَكَشَّفْتَ مِنْ كُرَبٍ بِالْكُرَبْ (٢)

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُ إِنْ يَعُدْ يَعُدْ مَعَهُ الْمَلِكُ الْمُعْتَصِبْ (٣)

وَيَسْتَنْصِرَانِ الَّذِي يَعْبُدَانِ وَعِنْدَهُمَا أَنَّهُ قَدْ صُلِبْ (٤)

لِيَدْفَعَ مَا نَالَهُ عَنْهُمَا فَيَا لِلرِّجَالِ لِهَذَا الْعَجَبْ (٥)

أَرَى الْمُسْلِمِينَ مَعَ الْمُشْرِكِيـــنَ إِمَّا لِعَجْزٍ وَإِمَّا رَهَبْ (٦)

وَمَا نَفْعُ مَنْ قَدْ مَاتَ بِالْأَمْسِ طَاوِيًا إِذَا مَا سَمَاءُ الْيَوْمِ طَالَ انْهِمَارُهَا

وقول البحترى :

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْغَيْثَ لَيْسَ بِنَافِعٍ لِلنَّاسِ مَالَمْ يَأْتِ فِى إِبَّانِهِ

(١) الصلب جمع صليب وهو ذلك الذى يتخذه المسيحيون فى بيوتهم وبيعهم على شكل المصلوب يقول : لما أنقذتهم وفر الدمستق سجدوا لله شكرا ، ولو لم تنقذهم لسجدوا للصلبان الاعداء خوفا منهم (٢) يقول : كم دفعت عنهم الهلاك بأهلاكك من بغى هلاكهم وكم كشفت عنهم الكرب بالكرب التى أنزلتها بأعدائهم (٣) المعتصب أى المتوج الذى يعتصب التاج برأسه يقول : وقد زعم الروم أن الدمستق سيعود ومعه الملك الأعظم ، وعبر عن مجىء الملك بالعود مع أنه لم يكن قبل ذلك قصدهم للمشاكلة بين الفعلين على أن عاد قد يراد بها الاتيان لأول مرة كما قال :

فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ أَحْسَنَّ مَرَّةً إِلَىَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهُنَّ ذُنُوبُ

أى أتين (٤) يقول : إن الدمستق والملك يستنصران السيد المسيح ويسألانه النصرة على المسلمين وهما يعتقدان أن المسيح صلبته اليهود وقتلته (٥) يقول : ويطلبان أن يدفع السيد المسيح عنهما ما ناله من القتل فى اعتقادهم ثم تعجب من هذا وقال : وكيف يستطيع أن يدفع عنهما الهلاك وهو لم يستطع الدفاع عن نفسه ، ولام فيا للرجال مفتوحة لأنها للمستغاث به ولام لهذا لام التعجب وهى مكسورة أنشد سيبويه لقيس بن ذريح

تَكَنَّفَنِى الْوُشَاةُ فَأَزْعَجُونِى فَيَا لِلنَّاسِ لِلْوَاشِى الْمُطَاعِ

(٦) يقول : أرى المسلمين قد هادنوا المشركين وتركوا قتالهم وذلك إما عجزا عنهم أو خوفا منهم

وَأَنْتَ مَعَ اللهِ فى جَانِبٍ قَلِيلُ الرُّقَادِ كَثِيرُ التَّعب (١)

كَأَنَّكَ وَحْدَكَ وَحَّدْتَهُ وَدَانَ الْبَرِيَّةُ بِابْنٍ وَأَب (٢)

فَلَيْتَ سُيُوفَكَ فى حَاسِدٍ إِذَا مَاظَهَرْتَ عَلَيْهِمْ كَئِب (٣)

وَلَيْتَ شَكَاتَكَ فى جِسْمِهِ وَلَيْتَكَ تَجْزِى بِبُغْضٍ وَحُب (٤)

فَلَوْ كُنْتَ تَجْزِى بِهِ نِلْتُ مِنْـــكَ أَضْعَفَ حَظٍّ بِأَقْوَى سَبَب (٥)

وقال فى صباه ارتجالاً وقد عذله أبو سعيد المُجَيْمِرى على تركه لقاءَ الملوك

أَبَا سَعِيدٍ جَنِّبِ الْعِتَابَا فَرُبَّ رَائٍ خَطَأً صَوَابَا (٦)

فَإِنَّهُمْ قَدْ أَكْثَرُوا الْحِجَّابَا وَاسْتَوْقَفُوا لِرَدِّنَا الْبَوَّابَا (٧)

---

(١) مع الله أى مع أمر الله بالجهاد والقتال أى أنت الذى تطيعه فى جهاد الروم. وقد جانبت غيرك من المهادنين والموادعين (٢) يقول: كأنك وحدك الموحد لله تعالى وسائر الناس يدينون بدين النصارى الذين يقولون بالابن والأب

(٣) ظهرت عليهم ظفرت بهم وغلبتهم، وكئب كآبة حزن وظهر فيه الانكسار. يقول: ليت الحاسد الذى يكتئب لظفرك بالروم يقتل بسيوفك

(٤)و(٥) أراد بالشكاة المرض الذى يشكوه وقوله تجزى به أى بالحب أو البغض. والسبب الوسيلة يقول: ليت المرض الذى تشكوه فى جسم الحاسد وليتك تجزى من أبغضك ببغضه ومن أحبك بحبه كى أنال نصيبا من الحب إذ لو جزيتنى على حبى لك — وهو أقوى سبب لأن حبى إياك أكثر من حب غيرى — لنلت منك القليل: يشكو أعراضه عنه وأنه لايصيب منه حظا مع أنه أشد الناس حبا له

(٦) رائى خطأ يروى راه خطأ وذلك على حد قولهم ضارب عمرو وضارب عمرا ويروى بدل هذين * فرب رأى أخطأ الصوابا * يقول: ابعدنى يا أبا سعيد عتابك. فلا تعاتبنى لأنك ترى الخطأ فى زيارة الملوك صوابا ولست على رأيك

(٧) فانهم أى الملوك

وَإِنَّ حَدَّ الصَّارِمِ الْقِرْضَابَا وَالذَّابِلَاتِ السُّمْرَ وَالْعِرَابَا
يَرْفَعُ فِيمَا بَيْنَنَا الْحِجَابَا (١)

وقال فى صباه ارتجالا لبعض الكلابيين وهم على شراب

لِأَحِبَّتِي أَنْ يَمْلَأُوا بِالصَّافِيَاتِ الْأَكْوُبَا (٢)
وَعَلَيْهِمِ أَنْ يَبْذُلُوا (٣) وَعَلَيَّ أَنْ لَا أَشْرَبَا
حَتَّى تَكُونَ الْبَاتِرَا تُ الْمُسْمِعَاتِ فَأَطْرَبَا (٤)

وقال يرثى محمد بن اسحق التنوخى وينفى الشماتة عن بنى عمه (٥)

لِأَيِّ صُرُوفِ الدَّهْرِ فِيهِ نُعَاتِبُ وَأَيَّ رَزَايَاهُ بِوِتْرٍ نُطَالِبُ (٦)

(١) القرضاب السيف القاطع والذابلات الرماح اللينة والعراب الخيل العربية يقول : إنما يتوصل إلى الملوك وهتك الحجاب الذى أقاموه على أبوابهم بالسلاح والخروج عليهم لابغير ذلك ، وهذا بعض ما يشف عن طموح المتنبى وآماله الكبار

(٢) الصافيات جمع صافية وهى الخمر ، والاكوب جمع كوب وهو القدح لاعروة له

(٣) أى يجودوا بالشراب (٤) الباترات السيوف القواطع يريد : أنه لايطرب الا على صليل السيوف ، وهذا أيضا إحدى هنواته التى تدل على بعد همته ولا سيما اذا لوحظ أنه مما قاله فى صباه مثل الأبيات التى قبلها (٥) لما مات محمد بن اسحاق هذا رثاه المتنبى بأبيات مطلعها * انى لاعلم واللبيب خبير * وستأتى ثم استزاده بنو عم الميت فقال هذه الأبيات * غاضت أنامله وهن بحور * وستمر بك ثم سألوه أن ينفى الشماتة عنهم فقال :

الآل ابراهيم بعد محمد الا حنين دائم وزفير

وتراها فى قافية الراء ثم سألوه زيادة فى نفى الشماتة عنهم فقال هذه الأبيات التى نحن بصددها (٦) اللام فى قوله لاى حشو ورفو لتقوية العامل على حد قوله تعالى « إن كنتم للرؤيا تعبرون » أى أى صروف الدهر نعاتب والوتر الثأر. يشكو الدهر ويقول : إن صروف الدهر ورزاياه كثيرة متوافرة فلا يمكن معاتبتها ولا طلب الثأر منها

مَضَى مَنْ فَقَدْنَا صَبْرَنَا عِنْدَ فَقْدِهِ

وَقَدْ كَانَ يُعْطِي الصَّبْرَ وَالصَّبْرُ عازِبُ (١)

يَزُورُ الأَعادِي فِي سَماءِ عَجَاجَةٍ أَسِنَّتُهُ فِي جَانِبَيْهَا الْكَوَاكِبُ (٢)

فَتَسْفِرُ عَنْهُ وَالسُّيُوفُ كَأَنَّمَا مَضَارِبُهَا مِمَّا انْفَلَلْنَ ضَرَائِبُ (٣)

طَلَعْنَ شُمُوساً وَالْغُمُودُ مَشَارِقٌ لَهُنَّ وَهَامَاتُ الرِّجَالِ مَغَارِبُ (٤)

---

(١) العازب البعيد يقول : إنه كان فى حياته إذا فقد الناس الصبر فى الشدائد يعينهم ويحسن اليهم حتى يصبروا على ما ينوبهم بما ينالون منه وقد روى يعطى بفتح الطاء فيكون معناه أنه كان يصبر فى المواطن التى كان يصعب فيها الصبر (٢) العجاجة الغبار والاسنة أطراف الرماح . جعل الغبار المرتفع فى الهواء سماء وجعل الاسنة لامعة فيها كالكواكب وهذا من قول بشار

كأنَّ مُثارَ النَّقْعِ فوق رؤوسنا وأسيافَنَا لَيلٌ تَهاوَى كواكبُه

وقال أيضا

خَلَقْنَا سماءً فوقنا بنُجومها سُيوفاً ونقعاً يَقْبِضُ الطَّرْفَ أقْتَما

وقال آخر :

نَسَجتْ حوافرُها سماءً فوقَها جَعَلت أسنَّتَنَا نجومَ سمائها

(٣) تسفر تنجلى ومضارب جمع مضرب وهو حد السيف وظبته وانفللن انثلمن والضرائب جمع ضريبة وهى الشىء المضروب بالسيف يقول : ان هذه العجاجة تنجلى عنه وقد تثلمت سيوفه من كثرة الضرب حتى صارت كأنها مضروبة لاضاربة،والعرب من عادتهم الفخر بفل سيوفها قال النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

وفى هذا البيت — بيت النابغة — من البديع تأكيد المدح بمايشبه الذم

(٤) الهامات الرؤس يقول : ان سيوفه طلعت من أغمادها كالشموس فى بريقها ثم غربت فى رؤس المضروبين فصارت رؤسهم مغارب لها وهذا من قول أبى نواس فى الخمر :

مَصَائِبُ شَتَّى جُمِّعَتْ فِي مُصِيبَةٍ ... وَلَمْ يَكْفِهَا حَتَّى قَفَتْهَا مَصَائِبُ (١)

رَنَى ابْنَ أَبِينَا غَيْرُ ذِي رَحِمٍ لَهُ ... فَبَاعَدَنَا مِنْهُ وَنَحْنُ الأَقَارِبُ (٢)

وَعَرَّضَ أَنَّا شَامِتُونَ بِمَوْتِهِ ... وَإِلَّا فَزَارَتْ عَارِضَيْهِ القَوَاضِبُ (٣)

أَلَيْسَ عَجِيباً أَنَّ بَيْنَ بَنِي أَبٍ ... لِنَجْلِ يَهُودِيٍّ تَدِبُّ العَقَارِبُ (٤)

أَلَا إِنَّمَا كَانَتْ وَفَاةُ مُحَمَّدٍ ... دَلِيلاً عَلَى أَنْ لَيْسَ لِلَّهِ غَالِبُ (٥)

طالعات مع السُّقَاةِ علينا ... فإذا ما غربن يغرُبْنَ فينا

(١) شتى متفرقة وقفتها تبعتها يقول : إن مصيبتنا به ليست واحدة وانما هى لعظمها كأنها مصائب شتى ولم يكفنا ذلك حتى تبعتها مصائب أخرى وهى اتهام المفسدين إيانا بأنا شامتون بموته (٢) قوله غير ذى رحم له يروى غير ذى رحم لنا يقول : إن هناك أجنبيا لايمت اليه أو الينا بأصرة قرابة يظهر الأسف على فقد ابن أبينا — يريد ابن عمنا — فأبعدنا عنه باتهامه إيانا بالشماتة ونحن أقرباؤه فموته إنما يحزننا نحن لاغيرنا

(٤) عرض أنا شامتون أى عرض فى مرثيته بأنا شامتون والتعريض الاشارة إلى الغرض من غير تصريح والعارضان جانبا اللحية والقواضب السيوف القاطعة وقال الواحدى:قوله : والا فزارت يجوز أن يكون من كلام المعرض حكى عنه ما قال كأنه قال هم شامتون بموته والا فزارتنى السيوف أى قتلتها ان لم يكن الأمر على ما أقول فيكون هذا تأكيدا لما ذكر من شماتتهم،ويجوز أن يكون من كلام الذين ينفون الشماتة عن أنفسهم يقول : ان لم يكن الأمر على ما ذكر فرمى الله عارضيه بالسيوف فيكون هذا تأكيداً لنفى الشماتة وأن الأمر ليس على ما ذكر (٤) ان بين بنى أب أى أنه بين بنى أب فاسم ان هو ضمير الشأن والنجل الولد ودبيب العقارب كناية عن النميمة يقول : أليس عجيبا أن تدب عقارب يهودى بين بنى أب أى أخوة فيوقع بينهم العداوة يريد هذا الذى كان يمشى بينهم بالنميمة ويريد بوصفه بيهودى أنه خبيث دساس

(٥) يقول برغم أنه كان يغلب جميع الناس لم يقدر على الامتناع من الموت فدل ذلك على أنه ليس لله غالب وهذا من قول أبى تمام

كُفِّى فَقَتْلُ محمد لىَ شاهِدٌ ... أن العزيز مع القضاء ذليل

وقال يمدح المغيث بن علىّ بن بشر العجلى

دَمْعٌ جَرَى فَقَضَى فِى الرَّبْعِ مَا وَجَبَا ... لِأَهْلِهِ وَشَفَى أَنًّى وَلَا كَرَبَا[1]

عُجْنَا فَأَذْهَبَ مَا أَبْقَى الْفِرَاقُ لَنَا ... مِنَ الْعُقُولِ وَمَا رَدَّ الَّذِى ذَهَبَا[2]

سَقَيْتُهُ عَبَرَاتٍ ظَنَّهَا مَطَرًا ... سَوَائِلًا مِنْ جُفُونٍ ظَنَّهَا سُحُبَا[3]

دَارُ الْمُلِمِّ لَهَا طَيْفٌ تَهَدَّدَنِى ... لَيْلًا فَمَا صَدَقَتْ عَيْنِى وَلَا كَذَبَا[4]

نَاءَيْتُهُ فَدَنَا أَدْنَيْتُهُ فَنَأَى ... جَمَشْتُهُ فَنَبَا قَبَّلْتُهُ فَأَبَى[5]

---

(١) أنى أى كيف وكرب من أفعال المقاربة تقول كرب أن يفعل كذا أى كاد وقارب يقول : أنه بكى فى أطلال الأحبة بدمع قضى ما وجب لهم وشفاه مما ألم به من وجد ثم رجع عن ذلك وقال : وكيف أظن أن بكائى قضى ما يجب وشفى مافى نفسى من لوعة وهو لم يقض الحق ولم يشف الوجد ولاقارب أن يقضى يريد أنه قاصر عن ذلك وفى هذا البيت من البديع ما يسمونه الرجوع وهو العود الى الكلام السابق بالنقض والابطال وهو كثير فى كلام الشعراء ومنه قول زهير

قِفْ بِالدِّيَارِ التى لم يعفُها القِدَمُ ... بَلَى وغيَّرها الأرواحُ والدِيَمُ

(٢) عاج بالمكان وقف به يقول : عطفنا على هذا الربع لنزوره فأذهب ما كان بقى من عقولنا بتجديده ذكرى الاحبة ولم يرد ما كان قد ذهب من عقولنا لدى الفراق

(٣) يقول : سقيت هذا الربع دموعا سوائل ظنها مطراً من جفون ظنها سحبا

(٤) دار الملم لها طيف أي هذا الربع هو دار التى ألم طيف لها فدار خبر مبتدأ محذوف والالف واللام فى الملم بمعنى التى وطيف فاعل ملم يقول : ان هذا الربع هو دار المرأة التى زارنى لها طيف أوعدنى ليلا أى هددنى بالهجر فما صدقت عينى لانها رأت خيالا لان ذلك كان رؤيا ولا كذب الطيف فى تهديده لانه هجرنى بعد ذلك اذ لم أنم بعدها (٥) ناأيته باعدته ودنا قرب وجمشته غازلته وداعبته ونبا تجافى وتباعد وأبى امتنع يقول : كلما أردت من هذا الطيف شيأ قابلنى بضده وهذا قريب من قوله

☆ صدت وعلمت الصدود خيالها ☆

هَامَ الفُؤَادُ بِأَعْرَابِيَّةٍ سَكَنَتْ ... بَيْتًا مِنَ القَلْبِ لَمْ تَمْدُدْ لَهُ طُنُبَا (١)

مَظْلُومَةُ القَدِّ فِى تَشْبِيهِهِ غُصُنًا ... مَظْلُومَةُ الرِّيقِ فِى تَشْبِيهِهِ ضَرَبَا (٢)

بَيْضَاءُ تُطْمِعُ فِيمَا تَحْتَ حُلَّتِهَا ... وَعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوبًا إِذَا طُلِبَا (٣)

كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يُعْيِى كَفَّ قَابِضِهِ ... شُعَاعُهَا وَيَرَاهُ الطَّرْفُ مُقْتَرِبَا (٤)

---

(١) الهيام : أن يذهب الرجل على وجهه لغلبة الهوى عليه ، والطنب : حبل الخباء والسرادق ونحوهما . قال ابن جنى ، يقول : ملكت قلبى بلا كلفة ومشقة ، فكانت كمن سكن بيتا لم يتعب فى إقامته ولا مد أطنابه . وقال الواحدى : وأحسن من هذا أن يقال : اتخذت بيتا من قلبى فنزلته ، والقلب بيت بلا أطناب ولا أوتاد

(٢) يقول : هى مظلومة القد إذا شبه بالغصن لانه أحسن منه ، وهى مظلومة الريق إذا شبه بالعسل لانه أحلى منه (٣) الحلة الثوب ومطلوبا منصوب على الحال أو التمييز : يقول : أنها لأنسها ولين حديثها تطمع فيما تحت ثوبها فاذا حاول ذلك محاول عز عليه مطلبه لعفتها وصيانتها ومثل هذا قول بعضهم :

يُحْسَبْنَ من لين الحديث دوانيًا ... وبهنّ عنْ رفث الرجال نفارُ

(٤) يعيى : يعجز والضمير فى قابضه للشعاع وشعاعها فاعل يعيى ، والطرف النظر ومقتربا حال ، شبهها بشعاع الشمس فى قربه من الطرف وبعده عن القبض عليه وهذا كما يقول ابن عينة :

وَقُلْتُ لِأَصْحَابِى هِىَ الشَّمْسُ ضَوْؤُهَا ... قَرِيبٌ وَلَكِنْ فى تَنَاوُلِهَا بُعْدُ

ويقول الطرماح :

هِىَ الشَّمْسُ لَمَّا أَنْ تَغَيَّبَ لَيْلُهَا ... وَغَارَتْ فما تبدُو لعينٍ نُجُومُهَا

تراهاعُيُونُ النَّاظِرِينَ إِذا بدَتْ ... قريبا ولا يسطيعُها مَنْ يرُومها

وأجمل من هذا قول العباس بن الاحنف :

هى الشَّمْسُ مَسكَنُهَا فى السَّماء ... فعزِّ الفُؤَادَ عَزاءا جَمِيلا

فَلَن تستطيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ ... ولن تستطيعَ إليك النُّزُولا

مَرَّتْ بِنَا بَيْنَ تِرْبَيْهَا فَقُلْتُ لَهَا ... مِنْ أَيْنَ جَانَسَ هَذَا الشَّادِنُ الْعَرَبَا(١)

فَاسْتَضْحَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ كَالْمُغِيثِ يُرَى

لَيْثَ الشَّرَى وَهْوَ مِنْ عِجْلٍ إِذَا انْتَسَبَا(٢)

جَاءَتْ بِأَشْجَعَ مَنْ يُسْمَى وَأَسْمَحَ مَنْ ... أَعْطَى وَأَبْلَغَ مَنْ أَمْلَى وَمَنْ كَتَبَا(٣)

لَوْ حَلَّ خَاطِرُهُ فِي مُقْعَدٍ لَمَشَى ... أَوْ جَاهِلٍ لَصَحَا أَوْ أَخْرَسٍ خَطَبَا(٤)

إِذَا بَدَا حَجَبَتْ عَيْنَيْكَ هَيْبَتُهُ ... وَلَيْسَ يَحْجُبُهُ سِتْرٌ إِذَا احْتَجَبَا(٥)

---

(١)و(٢) الترب المساوى لغيره فى العمر ، ويقال اللدة ،والشادن من الظباء الذى قوى وترعرع واستغنى عن أمه، يريد به المحبوبة ، واستضحك بمعنى ضحك،والمغيث اسم الممدوح وكالمغيث أى أنا كالمغيث ، والليث الاسد ، والشرى موضع تكثر فيه الاسود ، وعجل قبيلة الممدوح يقول : مرت بنا بين تربيها فقلت لها : أنت من الظباء وتربالك من العرب فكيف اتفقت هذه المجانسة بينك وبينهما ؟ فضحكت ثم قالت : لاتعجب من ذلك فانى كالمغيث تراه من الاسود ، وهو مع ذلك من عجل ، وكذلك أنا ترانى من الظباء وأنا عربية . وفى هذين البيتين من البديع ما يسمونه حسن التخلص وهو الخروج مما ابتدىء به الكلام من نسيب أو غيره إلى المقصود مع رعاية الملاءمة بينهما

(٣) أى جاءت هذه المحبوبة بذكر رجل هذه أوصافه (٤) يقول : ان خاطره لتوقده لو كان فى زمن لمشى ،أو فى جاهل لصحا من جهله وصار عالما ، أو فى أخرس لقدر على النطق (٥) يقول فى الشطر الاول : إذا ظهر للناس حجبت هيبته عيونهم عن النظر اليه لشدة هيبته وهذا كقول الفرزدق :

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ ... فَمَا يُكَلَّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

وقوله أيضا :

وَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ ... خُضُعَ الرِّقَابِ نَوَاكِسَ الْأَبْصَارِ

ويقول أبو نواس:

إِنَّ الْعُيُونَ حُجِبْنَ عَنْكَ لِهَيْبَةٍ ... فَإِذَا بَدَوْتَ لَهُنَّ نُكِّسَ نَاظِرُ

ويقول فى الشطر الثانى : اذا احتجب وراء الستور ظهر نور وجهه من ورائها فلم تستطع حجبه وهذا كقول القائل :

بَيَاضُ وَجْهٍ يُرِيكَ الشَّمْسَ حَالِكَةً ... وَدُرَّ لَفْظٍ يُرِيكَ الدُّرَّ مَخْشَلَبَا (١)

وَسَيْفُ عَزْمٍ تَرُدُّ السَّيْفَ هَيْبَتُهُ ... رَطْبَ الْغِرَارِ مِنَ التَّأْمُورِ مُخْتَضِبَا (٢)

عُمْرُ الْعَدُوِّ إِذَا لَاقَاهُ فِي رَهَجٍ ... أَقَلُّ مِنْ عُمْرِ مَا يَحْوِي إِذَا وَهَبَا (٣)

تَوَقَّهُ ثَمَّتَ مَا شِئْتَ تَبْلُوهُ ... فَكُنْ مُعَادِيَهُ أَوْ كُنْ لَهُ نَشَبَا (٤)

تَحْلُو مُذَاقَتُهُ حَتَّى إِذَا غَضِبَا ... حَالَتْ فَلَوْ قَطَرَتْ فِي الْمَاءِ مَا شَرِبَا (٥)

أَصْبَحْتَ تَأْمُرُ بِالْحِجَابِ لِخَلْوَةٍ ... هَيْهَاتَ لَسْتَ عَلَى الْحِجَابِ بِقَادِرِ

وقال ابن جنى : هذا يحتمل تأويلين : أحدهما أن حجابه قريب لما فيه من التواضع فليس يقصر أحد أراده دونه وإن كان محتجبا والآخر أنه وإن احتجب فهو كلا محتجب لشدة يقظته ومراعاته الامور (١) الحندك : الشديد السواد ، والمخشلب : خرز أبيض يشبه الدر ، والعرب تسميه الحضض ، أما المخشلب فهى كلمة نبطية يقول : أن نور وجهه يغلب نور الشمس حتى ترى إذا قابلها كأنها سوداء ، وأن لفظه أحسن من الدر حتى يرى الدر إذا نطق كأنه خرز (٢) هيبته : مضاؤه ، والغرار الحد ، والتأمور دم القلب . قال أوس بن حجر :

أُنْبِئْتُ أَنَّ بَنِي سُحَيْمٍ أَوْلَجُوا ... أَبْيَاتَهُمْ تَأْمُورَ نَفْسِ الْمُنْذِرِ

« أى مهجة نفسه وكانوا قتلوه » يقول المتنبى : إن مضاء عزمه يصير السيف رطب الحد من دم الاعداء (٣) الرهج الغبار يقول : إذا لقى عدوه فى غبار الحرب قصر عمره حتى يكون أقصر من عمر المال عنده إذا أخذ فى العطاء (٤) تبلوه : أراد أن تبلوه فحذف أن وبقى عملها ، والنشب المال يقول : احذره ولا تحم حوله بالعداء فان أردت اختباره فكن عدوه أو مالا فى يده حتى ترى ما يحل بك من الابادة والافناء ، وفى معنى هذا البيت قول مسلم بن الوليد :

تَظَلَّمَ الْمَالُ وَالْأَعْدَاءُ مِنْ يَدِهِ ... لَا زَالَ لِلْمَالِ وَالْأَعْدَاءِ ظَلَّامَا

وما أحلى قول أبى نواس :

لَيْتَ مَنْ كَانَ عَدُوِّى ... كَانَ لِأَبْرَاهِيمَ مَالَا

(٥) حالت تغيرت وجعل المذاقة مما يقطر انسانا يقول : هو عذب الاخلاق ، فاذا

وَتَغْبِطُ الأَرْضُ مِنْهَا حَيْثُ حَلَّ بِهِ ... وَتَحْسُدُ الخَيْلُ مِنْهَا أَيَّهَا رَكِبَا (١)

وَلاَ يَرُدُّ بِفِيهِ كَفَّ سَائِلِهِ ... عَنْ نَفْسِهِ وَيَرُدُّ الجَحْفَلَ اللَّجِبَا (٢)

وَكُلَّمَا لَقِيَ الدِّينَارُ صَاحِبَهُ ... فِي مُلْكِهِ افْتَرَقَا مِنْ قَبْلِ يَصْطَحِبَا (٣)

مَالٌ كَأَنَّ غُرَابَ البَيْنِ يَرْقُبُهُ ... فَكُلَّمَا قِيلَ هَذَا مُجْتَدٍ نَعَبَا (٤)

غضب تغيرت فاضت مرة ، فلو أمكن أن يمزج الماء بها لم يطق أحد شربه ، يعنى أن فيه حلاوة لاوليائه ومرارة لاعدائه (١) الغبطة والحسد كلاهما بمعنى التمنى بيد أن الغبطة أن تتمنى مثل حال المغبوط من غير أن تريد زوالها ولا أن تتحول عنه ، والحسد أن تتمنى نعمته على أن تتحول عنه فالغبطة أخف وضمير منها للارض وضمير به لحيث حل الذى يقع مفعولا به لتغبط وضمير منها الثانية للخيل وايها مفعول تحسد يقول : ان الارض يغبط بعضها البعض الذى يحل فيه والخيل يحسد بعضها البعض الذى يركبه قال ابن جنى : وجعل الغبطة للأرض لأنها وان كثرت بقاعها فهى كالمكان الواحد لاتصال بعضها ببعض والخيل ليست كذلك لانها متفرقة فاستعمل لها الحسد والبيت مأخوذ من قول أبى تمام :

مَضَى طَاهِرَ الأَثْوَابِ لَمْ تَبْقَ بُقْعَةٌ ... غَدَاةَ ثَوَى إِلاَّ اشْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرُ

(٢) الجحفل : الجيش العظيم واللجب المختلط الاصوات يقول : إنه جواد شجاع لايستطيع أن يرد سائله ولكنه يرد وحده الجيش العظيم (٣) قوله من قبل يصطحبا أراد من قبل أن يصطحبا فحذف أن وأبقى عملها يقول : إذا التقى الدينارات لديه تفرقا قبل اصطحابهما فهما يلتقيان مجتازين لامصطحبين ؟ وما أجمل مايقول النضر بن جؤية ابن النضر فى هذا المعنى .

قالت طَرِيفَةُ مَا تُبْقِي دَرَاهِمُنَا ... وما بِنَا سَرَفٌ فيها ولا خُرُقُ

إِنَّا إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْمًا دَرَاهِمُنَا ... ظَلَّتْ إِلَى طُرُقِ المعروف تَسْتَبِقُ

لايأْلَفُ الدِّرْهَمُ المضروبُ صُرَّتَنَا ... لَكِن يَمُرُّ عَلَيها وهْوَ مُنْطَلِقُ

حَتَّى يَصِيرَ إِلَى نَذْلٍ يُخَلِّدُهُ ... يَكَادُ مِنْ صَرِّهِ إِيَّاهُ يَنْمَزِقُ

(٤) المجتدى السائل ونعيب الغراب صياحه والبين الفراق يقول : هذا المال كأن

بَحْرٌ عَجَائِبُهُ لَمْ تُبْقِ فِى سَمَرٍ ... وَلاَ عَجَائِبَ بَحْرٍ بَعْدَهَا عَجَبَا (١)

لاَ يُقْنِعُ ابْنَ عَلِىٍّ نَيْلُ مَنْزِلَةٍ ... يَشْكُو مُحَاوِلُهَا التَّقْصِيرَ وَالتَّعَبَا (٢)

هَزَّ اللِّوَاءَ بَنُو عِجْلٍ بِهِ فَغَدَا ... رَأْسًا لَهُمْ وَغَدَا كُلٌّ لَهُمْ ذَنَبَا (٣)

التَّارِكِينَ مِنَ الأَشْيَاءِ أَهْوَنَهَا ... وَالرَّاكِبِينَ مِنَ الأَشْيَاءِ مَا صَعُبَا (٤)

مُبْرِقِعِى خَيْلِهِمْ بِالْبِيضِ مُتَّخِذِى ... هَامِ الْكُمَاةِ عَلَى أَرْمَاحِهِمْ عَذَبَا (٥)

غراب البين يرقبه فكلما جاء مجتد صاح فيه فتفرق شمله (١) السمر المسامرة وهو حديث الليل يقول : هو بحر له عجائب في باب الفضل والشجاعة لا تحاكيها عجائب البحار ولا ما يتحدث به السمار إذ هى بالقياس اليها كالشىء المألوف لغرابة ما يبدو منه ويتحدث عنه

(٢) محاولها أى طالبها وأصله طلب الشىء بالحيلة يقول : لا يقنع الممدوح أن ينال المنزلة العظيمة التى يشكو طالبها قصوره عنها وتعبه فى تحصيلها إذ هو دائما يطمح إلى ما يعجز عنه الطالبون (٣) اللواء الراية وبنو عجل قبيلة الممدوح . يقول : حركوا اللواء باسمه أى جعلوه سيدهم وقائدهم فاذا حركوا رايتهم حركوها باسمه فصار سيدهم وصاروا هم به سادة الناس (٤) نصب التاركين على المدح باضمار أعنى او أمدح يقول : إنهم لبعد همتهم يتركون ما هان من الامور وسهل وجوده ويرومون الصعب الشاق منها وفى هذا يقول الطهوى :

ولا يَرْعَوْن أكناف الهُوَيْنَا ... إذا حلُّوا ولا روضَ الهدون

(٥) البيض السيوف والهام الرؤوس والكماة الابطال المدججون فى السلاح والعذب جمع عذبة وهى الريش المعلق فى طرف الرمح يقول : إن سيوفهم تحول دون خيلهم ومسها بطعن أو ضرب أما لمنازلتهم دونها أو لحذقهم بالضرب فتكون لها بمنزلة البراقع والمعنى أنهم يحمونها بالسيوف لا بالبراقع والتجافيف وقوله متخذى هام الكماة معناه أنهم يأخذون رؤس الابطال بأطراف رماحهم فتكون مع شعورها بمنزلة العذب التى تعلق بالرماح وقال جرير فى هذا المعنى :

كأنَّ رُؤوسَ القومِ فوقَ رِمَاحِنا ... غَدَاةَ الوَغَى تيجانُ كِسْرَى وَقَيْصَرَا

وقال مسلم بن الوليد :

يكْسُو السُّيوفَ نُفُوسَ النَّاكِثِينَ بِه ... وَيجْعَلُ الهامَ تِيجانَ القَنَا الذُّبُلِ

إِنَّ المَنِيَّةَ لَوْ لاَقَتْهُمُ وَقَفَتْ ... خَرْقَاءَ تَتَّهِمُ الإِقْدَامَ وَالهَرَبَا(١)
مَرَاتِبٌ صَعِدَتْ وَالفِكْرُ يَتْبَعُهَا ... فَجَازَ وَهْوَ عَلَى آثَارِهَا الشُّهُبَا(٢)
مَحَامِدٌ نَزَفَتْ شِعْرِى لِيَمْلأَهَا ... فَآلَ مَا امْتَلأَتْ مِنْهُ وَلاَ نَضَبَا(٣)
مَكَارِمٌ لَكَ فُتَّ العَالَمِينَ بِهَا ... مَنْ يَسْتَطِيعُ لِأَمْرٍ فَائِتٍ طَلَبَا(٤)
لَمَّا أَقَمْتَ بِإِنْطَاكِيَّةَ اخْتَلَفَتْ ... إِلَيَّ بِالخَبَرِ الرُّكْبَانُ فِى حَلَبَا(٥)
فَسِرْتُ نَحْوَكَ لاَ أَلْوِى عَلَى أَحَدٍ ... أَحُثُّ رَاحِلَتِى الفَقْرَ وَالأَدَبَا(٦)

وقال أبو تمام :

أَبْدَلْتَ أَرْؤُسَهُمْ يَوْمَ الكَرِيهَةِ مِنْ ... قَنَا الظُّهُورِ قَنَا الخَطِّىِّ مُدَّعِمَا
مِنْ كُلِّ ذِى لِمَّةٍ غَطَّتْ ضَفَائِرُهَا ... صَدْرَ القَنَاةِ فَقَدْ كَادَتْ تُرَى عَلَمَا

(١) الخرقاء الحمقاء مؤنث الاخرق يقول : لو لاقتهم المنية يوم الوغى لبطت بالارض خوفا وفزعا لايتجه لها رأى فى السلامة فهى تتهم الاقدام خوف التهلكة وتتهم الهرب خشية الادراك أى تقدر أنها إن هربت أدركت . قال ابو تمام :

مِن كل أَرْوَعَ تَرْتَاعُ المَنُونُ لَهُ ... إِذا تَجَرَّدَ لاَ نِكْسٌ وَلا حَذِرُ

وقال أيضا :

شُوسٌ إِذا خَفَقَتْ عُقَابُ لِوَائِهِمْ ... ظَلَّتْ قُلُوبُ المَوْتِ مِنْهَا تَخْفُقُ

(٢) الشهب الكواكب يقول : إن لهم مراتب عالية علت فى السماء فصارت أعلى من الكواكب لان الفكر الذى يتبعها جاز الكواكب ولم يلحقها

(٣) نزفت استنفدت وآل عاد ورجع ونضب جف قال الواحدى : جعل اقتضاء المحامد أن تنظم بالشعر نزفا ،وجعل الشعر لكونه مقتضى منزوفا ، يقول:لم تمتلىء هذه المحامد من شعرى اى لم تبلغ الغاية التى تستحقها من شعرى ، ولا شعرى فنى،وأنا أبدا أمدحهم وبيان ذلك أن لهم محامد استخرجت شعرى لينظم تلك المحامد كلها فلم تنحصر بالشعر ولم يفن الشعر يريد كثرة محامدهم وكثرة مدائحه له وجعل الشعر كالماء ينزف واستغراق محامدهم فى الشعر كملئها بالماء ولما جعل الشعر كالماء جعل فناءه نضوبا

(٤) يقول : لك مكارم سبقت بها العالمين فليس فى مكنة أحد ادراكها ، ومن يستطيع إدراك أمر فائت ؟ (٥)و(٦) اختلفت : ترددت وجاءت مرة بعد أخرى، والمراد بالركبان

أَذَاقَنِى زَمَنِى بَلْوَى شَرِقْتُ بِهَا ... لَوْ ذَاقَهَا لَبَكَى مَا عَاشَ وَانْتَحَبَا (١)

وَإِنْ عَمَرْتُ جَعَلْتُ الحَرْبَ وَالِدَةً ... وَالسَّمْهَرِىَّ أَخًا وَالمَشْرَفِىَّ أَبَا (٢)

بِكُلِّ أَشْعَثَ يَلْقَى المَوْتَ مُبْتَسِمًا ... حَتَّى كَأَنَّ لَهُ فِى قَتْلِهِ أَرَبَا (٣)

قُحٍّ يَكَادُ صَهِيلُ الخَيْلِ يَقْذِفُهُ ... عَنْ سَرْجِهِ مَرَحًا بِالغَزْوِ أَوْ طَرَبَا (٤)

فَالمَوْتُ أَعْذَرُ لِى وَالصَّبْرُ أَجْمَلُ بِى ... وَالبَرُّ أَوْسَعُ وَالدُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَا (٥)

القصاد الذين صمدوا إلى الممدوح فآبوا بالهبات والعطايا، ولا ألوى لا أعرج يقول : لما أقمت بأنطاكية جاءتنى ركبان العفاة — الذين قصدوا اليك — وأنا فى حلب فما عتمت أن سرت نحوك لا أعرج فى سيرى ولا أقف ، حتى وصلت اليك محمولا على راحلتين من فقرى الذى يحفزنى إلى بابك طلبا لجدواك وأدبى الذى تسببت به اليك

(١) شرقت غصصت وضمير ذاقها للزمن والانتحاب رفع الصوت وترديده بالبكاء يقول : أذاقنى الدهر من الفقر والغربة شيأ لو ذاقه هو لبكى وانتحب مدة حياته ولم يستطع عليه صبرا لأنه الغاية فى الشدة فكيف أصبر أنا عليه (٢) عمرت : عشت والسمهرى الرمح والمشرفى السيف يقول : إن عشت وتنفس بى العمر لازمت الحرب حتى أدرك طلبتى (٣)و(٤) الاشعث المغبر من طول السفر ولقاء الحروب والقح الخالص أى العربى الخالص النسب وقح نعت لأشعث والمرح النشاط يقول : للازمت الحرب بكل رجل قد طال تمرسه بالحروب والاسفار حتى تراه يرمى بنفسه فى التهلكة كأن القتل حاجة له يبتغيها ويتهالك عليها ، واذا هو سمع صهيل الخيل استخفه ذلك حتى يكاد يطرحه عن السرج لما يجد من النشاط والطرب. ومن جيد ما قيل فى معنى البيت الأول قول أبى تمام :

مُسْتَرْسِلِينَ إِلَى الحُتُوفِ كَأَنَّمَا ... بَيْنَ الحُتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامُ

وقول البحترى :

مُتَسَرِّعِينَ إِلَى الحُتُوفِ كَأَنَّهَا ... وَفْرٌ بِأَرْضِ عَدُوِّهِمْ يَتَنَهَّبُ

(٥) يقول : الموت أعذر لى من أن أعيش ذليلا فاذا قتلت فى طلب المعالى قام الموت بعذرى، والصبر أجمل لان الجزع عادة اللئام ، والبر أوسع لى من بلد يضيق رزقه فأنا أسافر وأضطرب فى مناكب الارض والدنيا لمن غلب وزاحم

وقال يمدح على بن منصور الحاجب

بِأَبِي الشُّمُوسُ الجَانِحَاتُ غَوَارِبا ... اللابِسَاتُ مِنَ الحَرِيرِ جَلَابِبَا (١)

المُنْهِبَاتُ قُلُوبَنَا وَعُقُولَنَا ... وَجَنَاتِهِنَّ النَّاهِبَاتِ النَّاهِبَا (٢)

النَّاعِمَاتُ القَاتِلَاتُ المُحْيِيَا ... تُ المُبْدِيَاتُ مِنَ الدَّلَالِ غَرَائِبَا (٣)

حَاوَلْنَ تَفْدِيَتِي وَخِفْنَ مُرَاقِبًا ... فَوَضَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ فَوْقَ تَرَائِبَا (٤)

وَبَسَمْنَ عَنْ بَرَدٍ خَشِيتُ أُذِيبُهُ ... مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي فَكُنْتُ الذَّائِبَا (٥)

(١) الباء للتفدية ، والشموس إما مرفوعة على أنها مبتدأ محذوف الخبر والتقدير الشموس مفديات بأبى ، وأما منصوبة على أنها مفعول فعل محذوف والتقدير أفدى. الشموس بأبى والجانحات المائلات ، والجلابب جمع جلباب وهو ما يلتحف به من الثياب وأصله جلابيب قال تعالى « يدنين عليهن من جلابيبهن » فحذف الياء ضرورة . كنى. بالشموس عن النساء وبغروبهن عن بعدهن (٢) المنهبات اسم فاعل ، ووجناتهن مفعول أول وقلوبنا مفعول ثان وعقولنا عطف عليه والناهبات صفة لوجناتهن ولك أن ترفع وجناتهن على أنها فاعل المنهبات أى اللاتى أنهبت وجناتهن قلوبنا فيكون قد اقتصر على مفعول واحد ويقال أنهبته الشىء إذا جعلته نهبا له يقول : اللواتى جعلن قلوبنا وعقولنا نهبا لوجناتهن يسبينها بحسنهن ثم وصف الوجنات بأنها تنهب الناهب أى الرجل الشجاع المغوار الذى ينهب الناس (٣) الناعمات أى اللينات المفاصل ، والقاتلات أى بهجرهن والمحييات بوصلهن والمبديات أى المظهرات من الدلال عجائب والدلال جرأة المرأة على الرجل فى تكسر وتغنج (٤) الترائب موضع القلادة من الصدر يقول : حاولن أن يقلن لى نفديك بأنفسنا فوضعن أيديهن على صدورهن إشارة الى ذلك. خوف الرقيب ، وبديع قول بعضهم ينظر إلى هذا المعنى

أَضْحَى يُجَانِبُنِي مُجَانَبَةَ العِدَا ... ويبيتُ وَهْوَ إلى الصباح نَدِيمُ

وَيَمُرُّ بِي خَوفَ الوُشَاةِ وَلَفْظُهُ ... شَتْمٌ وَحَشْوُ لحاظه تسليمُ

(٥) أراد بالبرد أسنانهن التى تشبه البرد فى نقائها وقوله خشيت أذيبه أى أن أذيبه يقول : إن كنت أخاف على ثغورهن أن تذوب من حرارة أنفاسى فلما رحلن ذبت أنا من شوقى اليهن ومن هذا الباب قول الصنوبرى :

يَا حَبَّذَا المُتَحَمِّلُونَ وَحَبَّذَا ... وَادٍ لَثَمْتُ بِهِ الغَزَالَةَ كَاعِبَا (١)
كَيْفَ الرَّجَاءُ مِنَ الخُطُوبِ تَخَلُّصًا ... مِنْ بَعْدِ مَا أَنْشَبْنَ فِيَّ مَخَالِبَا (٢)
أَوْحَدْنَنِي وَوَجَدْنَ حُزْنًا وَاحِدًا ... مُتَنَاهِيًا فَجَعَلْنَهُ لِي صَاحِبَا (٣)
وَنَصَبْنَنِي غَرَضَ الرُّمَاةِ تُصِيبُنِي ... مِحَنٌ أَحَدُّ مِنَ السُّيُوفِ مَضَارِبَا (٤)
أَظْمَتْنِيَ الدُّنْيَا فَلَمَّا جِئْتُهَا ... مُسْتَسْقِيًا مَطَرَتْ عَلَيَّ مَصَائِبَا (٥)
وَحُبِيتُ مِنْ خُوصِ الرِّكَابِ بِأَسْوَدٍ ... مِنْ دَارِشٍ فَغَدَوْتُ أَمْشِي رَاكِبَا (٦)

وَضَاحِكٍ عَنْ بَرَدٍ مُشْرِقٍ ... أَبَاحَنِيهِ دُونَ جُلَّاسِي
فَكُلَّمَا قَبَّلْتُهُ خِفْتُ أَنْ ... يَذُوبَ مِنْ نِيرَانِ أَنْفَاسِي

وقول بعضهم :

وَمِنَ العَجَائِبِ أَنْ يُذِيبَ مَفَاصِلِي ... مَنْ لَوْ جَرَى نَفَسِي عَلَيْهِ لَذَابَا

(١) المتحملون المرتحلون والمراد بالغزالة أما الشمس واما الحيوان المعروف والكاعب التي بدا ثديها للنهود يقول: قبلت غزالة في صورة كاعب من النساء

(٢) الخطوب الأمور الثقال وتخلصا مفعول الرجاء أعمله مع اقترانه بأل وهو ضعيف أنشد سيبويه :

ضَعِيفُ النَّكَايَةِ أَعْدَاءَهُ ... يَخَالُ الفِرَارَ يُرَاخِي الأَجَلْ

وأنشبن علقن والمخالب جمع المخلب بكسر الميم وهو للسباع وجوارح الطير بمنزلة الظفر للانسان يقول : كيف أرجو التخلص من الخطوب بعد ان نالت مني ونفذ في حكمها

(٣) أوحدنني أي الخطوب أي صيرنني واحدا يقول : تركتني الخطوب وحيدا بعد أن فرقت بيني وبين الأحبة وجعلت صاحبي بعدهم ما أجده من الحزن الوحيد المتناهي وهو حزن الفراق (٤) الغرض الهدف يرمى بالسهام ومضاربا تمييز جمع مضرب بفتح الراء وكسرها حد السيف يقول : إن الخطوب نصبته هدفا للمحن

(٥) أظمتني من الظمأ العطش فأصلها أظمأتني فأبدل الهمزة الفا ثم حذفها يقول: كان حظي من الدنيا الحرمان فلما التمست عطاءها أفرغت على المصائب

(٦) قوله من خوص الركاب أي بدلا من خوص الركاب والخوص جمع الخوصاء

حَالٌ مَتَى عَلِمَ ابْنُ مَنْصُورٍ بِهَا ... جَاءَ الزَّمَانُ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبَا (١)

مَلِكٌ سِنَانُ قَنَاتِهِ وَبَنَانُهُ ... يَتَبَارَيَانِ دَمًا وَعُرْفًا سَاكِبَا (٢)

يَسْتَصْغِرُ الْخَطَرَ الْكَبِيرَ لِوَفْدِهِ ... وَيَظُنُّ دِجْلَةَ لَيْسَ تَكْفِي شَارِبَا (٣)

كَرَمًا فَلَوْ حَدَّثْتَهُ عَنْ نَفْسِهِ ... بِعَظِيمِ مَا صَنَعَتْ لَظَنَّكَ كَاذِبَا (٤)

وهى الناقة الغائرة العينين من الجهد والأعياء والركاب الأبل والدارش ضرب من السختيان وهو جلد أسود يقول: أعطيت عوضا من الأبل خفا أسود فأنا راكب ماش

(١) حال خبر مبتدا محذوف أى هذه حال ويروى حالا بالنصب على اضمار عامل محذوف أى أشكو أو أذم يقول: أن حالى هذه لو علم بها ابن منصور تلافاها باحسانه وحال دون اساءة الزمان فيكون احسانه بمنزلة توبة الزمان إلى. ومثل هذا لأبى تمام قال

كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فِيَّ وَقَدْ يُرَى ... بِنَدَاكَ وَهْوَ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبُ

وقال أيضا

عَضْبٌ إِذَا هَزَّه فِى وَجْهِ نَائِبَةٍ ... جَاءَت إِلَيه صروفُ الدهْرِ تَعْتَذِرُ

(٢) السنان نصل الرمح والبنان فى الأصل أطراف الاصابع والمراد بها هنا الكف ويتباريان يفعل كل منهما ما يعارض به صاحبه ودما تمييز أومنصوب على نزع الخافض أى فى دم والعرف المعروف والمراد به الجود والساكب المنسكب يقول: ان سنان رمحه يقطر دما من الأعداء وكفه تسكب جودا على الاولياء. وهذا من قول البحترى

تَلْقَاه يَقْطُرُ سَيفُهُ وسِنَانُهُ ... وبَنَانُ رَاحَتِهِ دَمًا ونجيعَا

(٣) الخطر الامر الخطير أى العظيم يقول: انه يستصغر الشىء العظيم لمن يقصده وينتجع اليه لكرمه ويظن — لكثرة عطائه — أن نهر دجلة — ذلك النهر العظيم — ليس يكفى شاربا. ومثل هذا قول أبى تمام وزاد الشكر

فَرَأيتَ أَكْثَرَ ماحَبَوْتَ مِنَ اللهَا ... نَزْراً وأَصْغَرَ ما شَكَرتُ جَزِيلاَ

(٤) كرما مفعول مطلق أى كرم كرما أو مفعول له عامله يظن فى البيت قبله يقول لو حدثته بما يصنع من الافعال الجسام لظنك كاذبا لخروج تلك الافعال عن طوق المقدرة قال الواحدى ناقدا: وقد أساء فى هذا لانه جعله يستعظم فعله وبضده يمدح وإنما يحسن أن يستعظم غيره ما فعل كما قال أبو تمام

سَلْ عَنْ شَجَاعَتِهِ وَزُرْهُ مُسَالِمًا ... وَحَذَارِ ثُمَّ حَذَارِ مِنْهُ مُحَارِبَا (١)

فَالمَوْتُ تُعْرَفُ بِالصِّفَاتِ طِبَاعُهُ ... لَمْ تَلْقَ خَلْقًا ذَاقَ مَوْتًا آيِبَا (٢)

إِنْ تَلْقَهُ لَا تَلْقَ إِلَّا قَسْطَلًا ... أَوْ جَحْفَلًا أَوْ طَاعِنًا أَوْ ضَارِبَا (٣)

أَوْ هَارِبًا أَوْ طَالِبًا أَوْ رَاغِبًا ... أَوْ رَاهِبًا أَوْ هَالِكًا أَوْ نَادِبَا (٤)

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى الجِبَالِ رَأَيْتَهَا ... فَوْقَ السُّهُولِ عَوَاسِلًا وَقَوَاضِبَا (٥)

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى السُّهُولِ رَأَيْتَهَا ... تَحْتَ الجِبَالِ فَوَارِسًا وَجَنَائِبَا (٦)

تَجَاوَزَ غَايَاتِ العُقُولِ رَغَائِبُهُ ... تَكَادُ بِهَا لَوْلَا العِيَانُ تُكَذَّبُ

وقال البحترى

وَحَدِيثُ مَجْدٍ عَنْكَ أَفْرَطَ حُسْنُهُ ... حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ مَوْضُوعُ

(١) حذار اسم فعل بمعنى احذر ومسالما ومحاربا حالان يقول : سل عن شجاعته لتعرفها بالخبر ولا تحاول أن تعرفها بالمشاهدة والتمرس بها وإلا هلكت وقد ضرب البيت الثانى مثلا لذلك (٢) يقول فان الموت يعرف بالوصف لا بالتجربة اذ لم نجد مخلوقا مات ثم رجع فيخبرنا عن حقيقة الموت واذن فالموت ان عرف بالمشاهدة أهلك ألبتة وكذلك شجاعة الممدوح

(٣) القسطل غبار الحرب والجحفل الجيش العظيم يقول : انه لاينفك عن هذه الاشياء

(٤) تبيين لاحوال الناس معه يقول : فلا ترى إلا هاربا من جيشه أو طالبا رفده أو راغبا فى احسانه أو راهبا من بأسه أو هالكا بسيفه أو نادبا على قتيل له من الاسرى الذين أسرهم وقال الواحدى : ويجوز ان تكون هذه أحوال الممدوح أى تلقاه هاربا من الدنايا وطالبا للعلى وراغبا فى المكارم وراهبا من الله تعالى وهالكا أى مهلكا ونادبا من يبارزه من الندب . وهذا تعسف من الواحدى كما ترى

(٥) و (٦) العواسل الرماح والقواضب السيوف والجنائب جمع الجنيبة وهى التى تقاد إلى جنب الفارس يقول : عمت جنوده السهل والجبل فاذا نظرت إلى الجبال رأيتها رماحا وسيوفا وإذا نظرت إلى السهول رأيتها فوارس وجنائب أى غصت بهما

وَعَجَاجَةً تَرَكَ الحَدِيدُ سَوَادَهَا ... زَنْجًا تَبَسَّمُ أَوْ قَذَالاً شَائِبَا (١)

فَكَأَنَّمَا كُسِيَ النَّهَارُ بِهَا دُجَى ... لَيْلٍ وَأَطْلَعَتِ الرِّمَاحُ كَوَاكِبَا (٢)

قَدْ عَسْكَرَتْ مَعَهَا الرَّزَايَا عَسْكَرًا ... وَتَكَتَّبَتْ فِيهَا الرِّجَالُ كَتَائِبَا (٣)

أُسْدٌ فَرَائِسُهَا الأُسُودُ يَقُودُهَا ... أَسَدٌ تَصِيرُ لَهُ الأُسُودُ ثَعَالِبَا

فِي رُتْبَةٍ حَجَبَ الْوَرَى عَنْ نَيْلِهَا ... وَعَلاَ فَسَمَّوْهُ بَلِيَّ الحَاجِبَا (٤)

وَدَعَوْهُ مِنْ فَرْطِ السَّخَاءِ مُبَذِّرًا ... وَدَعَوْهُ مِنْ غَصْبِ النُّفُوسِ الْغَاصِبَا

هَذَا الَّذِي أَفْنَى النُّضَارَ مَوَاهِبًا ... وَعِدَاهُ قَتْلاً وَالزَّمَانَ تَجَارِبَا (٥)

---

(١) وعجاجة بالنصب عطف على ما تقدم أى ورأيت عجاجة أو بالجر على اضمار رب والعجاجة الغبار وتبسم بحذف احدى التاءين أى تتبسم والقذال ما بين الاذنين من مؤخر الرأس والزنج بفتح الزاى وكسرها جيل من السودان وهم الزنوج يقول : ان بريق الاسلحة في سواد الغبار يشبه تبسم الزنج أو شيب القذال (٢) يقول : كأن النهار ألبس بتلك العجاجة ظلمة ليل وكأن الرماح أطلعت من أسنتها كواكب أو أطلعت هى كواكب في تلك الظلمة فقوله أطلعت إما قرأتها بصيغة المعلوم على أنه من فعل الرماح واما بصيغة المجهول لمشاكلة قوله كسى وهذا المعنى من قول صريع الغوانى.

فِى عَسْكَرٍ شَرِقَ الأَرْضُ الفضاءُ بِهِ ... كَاللَّيلِ أَنْجُمُهُ القُضْبَانُ والأَسَلُ.

(٣) عسكرت تجمعت وتكتبت تجمعت كتائب والكتائب جمع كتيبة الفرقة من الجيش وعسكرا وكتائب حالان يقول : ان المصائب تجمعت مع تلك العجاجة كأنها عسكر تقع بالعدو، وتكاثرت فيها رجال الممدوح حتى صارت كتائب

(٤) مثل هذا قول ابن الرومى

كَأَنَّ أَبَاهُ حِينَ سَمَّاهُ صَاعِداً ... دَرَى كَيْفَ يَرْقَى فِى المَعَالِى وَيَصْعَدُ

وقوله على أراد عليا فاضطره الوزن إلى حذف التنوين وسوغ له ذلك سكونه وسكون اللام فى الحاجب ومثله كثير

(٥) النضار الذهب ومواهبا وما بعده تمييز يقول : انه أفنى الذهب بالعطاء والاعداء بالقتل والزمان بالتجارب أى أنه حصل له من التجاريب ما يعرف به ما يأتى فيما

وَمُخَيَّبُ الْعُذَّالِ فِيما أَمَّلُوا ... مِنْهُ وَلَيْسَ يَرُدُّ كَفًّا خائِبا[1]

هذا الَّذِي أَبْصَرْتُ مِنْهُ حاضِرًا ... مِثْلَ الَّذِي أَبْصَرْتُ مِنْهُ غائِبا[2]

كَالْبَدْرِ مِنْ حَيْثُ الْتَفَتَّ رَأَيْتَهُ ... يُهْدِي إِلَى عَيْنَيْكَ نُورًا ثاقِبا[3]

كَالْبَحْرِ يَقْذِفُ لِلْقَرِيبِ جَواهِراً ... جُودًا وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ سَحائِبا

كَالشَّمْسِ فِي كَبِدِ السَّماءِ وَضَوْؤُها ... يَغْشَى الْبِلادَ مَشارِقًا وَمَغارِبا

أَمُهَجِّنَ الْكُرَماءِ وَالْمُزْرِي بِهِمْ ... وَتَرُوكَ كُلِّ كَرِيمِ قَوْمٍ عائِبا[4]

يستقبل من الزمان فكأنه أفنى الزمان لانه لا يحدث عليه شيأ لا يعرفه

(١) ومخيب عطف على الذى أفنى فى البيت قبله وذكر الكف وان كان الافصح تأنيثه على معنى العضو أو على أرادة السائل أو المراد خائبا صاحبها (٢) أبصرت بناء المتكلم يعنى المتنبى نفسه ويروى على الخطاب وحاضرا وغائبا على الروايتين حال من فاعل أبصرت ومثل يجوز فيه الرفع والنصب يقول: انه يرى عطاءه حيثما كان حضوره أو غاب عنه ومثله لأبى تمام

شَهِدَتْ جَسِيماتِ الْعُلاَ وَهْوَ غائِبٌ ... وَلَوْ كَانَ أَيْضاً حاضِراً كَانَ غائِبا

(٣) الثاقب المضىء يقول: حيثما كنت ترى عطاءه قد عم الناس قريبهم وبعيدهم كما ترى ضوء القمر حيثما كنت من البلاد والبيتان التاليان فى معنى هذا البيت يريد أنه عام النفع ومثل هذا لابى تمام

قَرِيبُ النَّدَى نَائِي الْمَحَلِّ كَأَنَّهُ ... هِلالٌ قَرِيبُ النُّورِ نَائِي مَنازِلِهْ

وللبحترى

كَالْبَدْرِ أَفْرَطَ فِي الْعُلُوِّ وَضَوْؤُهُ ... لِلْعُصْبَةِ السَّارِينَ جِدُّ قَرِيبِ

وله أيضا

عَطاءٌ كَضَوْءِ الشَّمْسِ عَمَّ فَمَغْرِبٌ ... يَكُونُ سَواءً فِي سَنَاهُ وَمَشْرِقُ

وقال العباس بن الاحنف

نِعْمَةٌ كَالشَّمْسِ لَمَّا طَلَعَتْ ... ثَبَتَ الإِشْراقُ فِي كُلِّ بَلَدِ

(٤) أمهجن أى يامهجن فالهمزة للنداء وهجنه قبحه، وأزرى به عابه وتروك مبالغة

شَادُوا مَنَاقِبَهُمْ وَشِدْتَ مَنَاقِبًا ... وُجِدَتْ مَنَاقِبُهُمْ بِهِنَّ مَثَالِبا (١)

لَبَّيْكَ غَيْظَ الحَاسِدِينَ الرَّاتِبا ... إِنَّا لَنَخْبُرُ مِنْ يَدَيْكَ عَجَائِبا (٢)

تَدْبِيرُ ذِي حُنَكٍ يُفَكِّرُ فِي غَدٍ ... وَهُجُومُ غِرٍّ لَا يَخَافُ عَوَاقِبا (٣)

وَعَطَاءُ مَالٍ لَوْ عَدَاهُ طَالِبٌ ... أَنْفَقْتَهُ فِي أَنْ تُلَاقِيَ طَالِبا (٤)

فى تارك وهو مضاف لكل الذى هو مفعوله الاول وعائبا مفعول ثان ويروى عائبا يقول : إنك هجنت الكرماء لتقصيرهم عن بلوغ كرمك وتركتهم عائبين عليك لما يظهر من كرمك المزرى بهم أو عائبين على أنفسهم حيث لم يفعلوا ما فعلت أو تركتهم عائبين لك حسدا (١) شادوا بنوا ورفعوا والمناقب المفاخر والمثالب المخازى والمعايب يقول : لفضل مناقبك على مناقبهم صارت مناقبهم كالمثالب وهذا كقول أبى تمام

محاسنُ من مَجْدٍ مَتَى يَقْرِنُوا بِها ... محاسنَ أَقْوَامٍ تَكُنْ كالمعايب

(٢) لبيك أى اجابة لك بعد اجابة ونصبه على المصدر وغيظ الحاسدين منادى والراتب الثابت المقيم ونخبر نشاهد ونعلم قال الواحدى : أظهر الاجابة اشارة الى أنه بنداء مناد أى كأن الممدوح يناديه بلسان كرمه للتنويه به وسماه غيظ الحاسدين إشارة إلى أنه قد بالغ فى غيظهم حتى صار يعرف بذلك قال الخطيب : وصرع البيت لانتقاله من المدح إلى الاجابة (٣) تدبير مبتدأ محذوف الخبر اى لك تدبير وحنك جمع حنكة وهي الخبرة والتجربة وضده الغر أى الذى لم يجرب الامور ولا يفكر فى العواقب يقول : وإذا هجمت فى الوغى هجمت هجوم الغر أى أنك تفعل كلا فى موضعه فتدبر الملك تدبير مجرب بصير بأعقاب الأمور وتقدم فى الحرب أقدام الغر وهذا من قول أبى تمام

ومُجَرَّبونَ سقَاهُمُ مِنْ بأسه ... فإِذا لُقُوا فكأنهم أغمارُ

وقوله :

كَهْلُ الأَنَاةِ فَتَى الشِّدَّاتِ إِذَا غدا ... للحَرْبِ كان الماجدَ الغِطْرِيفا

وقال البحترى :

ملكٌ له فى كلِّ يومِ كريهةٍ ... إِقْدَامُ غِرٍّ واعْتِزَامُ مجرَّبِ

(٤) وعطاء عطف على تدبير وعداه تجاوزه يقول : إذا لم يأتك طالب أنفقت مالك فى البحث عن طالب تعطيه

خُذْ مِنْ ثَنَاىَ عَلَيْكَ مَا أَسْطِيعُهُ ... لَا تُلْزِمَنِّى فِى الثَّنَاءِ الْوَاجِبَا (١)

فَلَقَدْ دَهِشْتُ لِمَا فَعَلْتَ وَدُونَهُ ... مَا يُدْهِشُ الْمَلَكَ الْحَفِيظَ الْكَاتِبَا (٢)

وقال يمدح بدر بن عمار ارتجالا وهو على الشراب

والفاكهة والنرجس حوله

إِنَّمَا بَدْرُ بْنُ عَمَّارٍ سَحَابُ ... هَطِلٌ فِيهِ ثَوَابٌ وَعِقَابُ (٣)

إِنَّمَا بَدْرٌ رَزَايَا وَعَطَايَا ... وَمَنَايَا وَطِعَانٌ وَضِرَابُ (٤)

مَا يُجِيلُ الطَّرْفَ إِلَّا حَمِدَتْهُ ... جُهْدَهَا الْأَيْدِى وَذَمَّتْهُ الرِّقَابُ (٥)

---

(١) أسطيعه هو أستطيعه وبهما جاء التنزيل الحكيم يقول : انى انما أثنى عليك بقدر ما أستطيع لا بقدر ما يجب لك وما تستحقه لانه فوق طاقتى فاعذرنى فى ذلك ثم بين عذره فى البيت التالى (٢) دهش تحير ومثله شده والملك الحفيظ هو الملك الموكل بالانسان يكتب حسناته وسيآته يقول: لقد تحيرت أمام أفعالك فلا أقدر أن احصيها وأثنى عليك بها وأقل من ذلك ما يحير الملك الموكل بك لانه لم ير مثله من غيرك ولأنه لكثرته يعجز عن كتابته (٣) يقول : هو نفاع ضرار مثله فى ذلك مثل السحاب الذى ينهل بالمطر وتنقض منه الصواعق ففيه حياة لقوم وهلاك لآخرين . قال الواحدى: هذه الابيات مضطربة الوزن وهى من الرمل وذلك لانه جعل العروض فاعلاتن وهو الاصل في الدائرة ولكن لم يستعمل العروض ههنا إلا محذوفة السبب على وزن فاعلن كقول عبيد

مِثْلُ سَحْقِ الْبُرْدِ عَفَّ بَعْدَكِ الـ ... ـقَطْرُ مَغْنَاهُ وتَأْوِيبُ الشَّمَالِ

غير أن هذا البيت الاول صحيح الوزن لانه مصرع فتبعت عروضه ضربه

(٤) جعله هذه الاشياء مبالغة لكثرة وقوعها منه حتي صار وإياها كالشيء الواحد على حد قول الخنساء

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا ادَّكَرَتْ ... فَإِنَّمَا هِىَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ

« تصف الخنساء وحشية تطلب ولدها مقبلة ومدبرة فجعلها اقبالا وإدبارا لكثرتهما منها » (٥) الطرف بفتح الطاء العين والجهد بالضم الطاقة والايدى فاعل

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَـكِنْ يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَرْجُو الذِّئَابُ (١)

فَلَهُ هَيْبَةُ مَنْ لَا يُتَرَجَّى وَلَهُ جُودُ مُرَجَّى لَا يُهَابُ (٢)

طَاعِنُ الْفُرْسَانِ فِي الْأَحْدَاقِ شَزْرًا وَعَجَاجُ الْحَرْبِ لِلشَّمْسِ نِقَابُ (٣)

بَاعِثُ النَّفْسِ عَلَى الْهَوْلِ الَّذِي لَيْـ ـسَ لِنَفْسٍ وَقَعَتْ فِيهِ إِيَابُ (٤)

بِأَبِي رِيحُكَ لَا نَرْجِسُنَا ذَا وَأَحَادِيثُكَ لَا هَذَا الشَّرَابُ (٥)

لَيْسَ بِالْمُنْكَرِ إِنْ بَرَّزْتَ سَبْقًا غَيْرُ مَدْفُوعٍ عَنِ السَّبْقِ الْعِرَابُ (٦)

حمدته يقول : أنه لايجيل طرفه إلا على إحسان وإساءة ، فله فى كل طرفة ونظرة إحسان تحمده الايدى جهدها لأنه يملؤها بالعطاء واساءة تذمها الرقاب لأنه يوسعها قطعا هذا ما قاله جميع الشراح ، وذهب اليازجى إلى أن الطرف بكسر الطاء أى الفرس الكريم قال : يقول المتنبى : أنه ما أجال فرسه فى الحرب إلا ملأ أيدى أوليائه من الغنائم فحمدته جهدها وضرب رقاب أعدائه فذمته . . .

(١) يقول : لايقتل أعاديه ليستريح منهم لأنه أمن جانبهم لعجزهم عن أذاه فلا يهمه بقاؤهم ولكنه قد عود الذئاب أن يطعمها لحوم القتلى فهو إنما يقتل الاعداء خشية أن يخلف رجاء الذئاب وهو لم يتعود أن يخيب راجيا وهذا كقول مسلم

قدْ عوّدَ الطيرَ عاداتٍ وثِقْنَ بها فَهُنَّ يَتْبَعْنَهُ فى كلِّ مُرْتَحَل

(٢) يقول : انه مهيب كل الهيبة وجواد غاية فى الجود فانه يهاب هيبة من لا يرجى العفو عنده ويجود جود سمح كريم يرجى احسانه ولا تخشى مهابته (٣) الطعن الشزر ما كان عن يمين وشمال والعجاج الغبار والنقاب ما تستر به المرأة وجهها يصفه بالحذق في الطعن يقول : إنه يصيب احداق الفرسان والجو مظلم بغبار الحرب الذى كأنه نقاب للشمس يسترها وهذا كقوله * يضع السنان بحيث شاء محاولا *

(٤) يقول : انه يحمل نفسه على ركوب الامر العظيم الهائل الذى لا خلاص لمن وقع فيه (٥) بأبى تفدية قال الواحدى : يريد أن ريحه أطيب من ريح النرجس « الذى بين يديه » وحديثه ألذ من الشراب وليس هذا مما يمدح به الرجال أى وإنما يخاطب بمثله المحبوب (٦) برز بذ وسبق وسبقا مفعول مطلق كانه قال ان سبقت سبقا

وجلس بدر بن عمار يلعب بالشطرنج وقد كثر المطر فقال أبو الطيب

أَلَمْ تَرَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُرَجَّى ... عَجَائِبَ مَا رَأَيْتُ مِنَ السَّحَابِ
تَشَكَّى الأَرْضُ غَيْبَتَهُ إِلَيْهِ ... وَتَرْشُفُ مَاءَهُ رَشْفَ الرُّضَابِ (١)
وَأُوهِمُ أَنَّ فِي الشِّطْرَنْجِ هَمِّي ... وَفِيكَ تَأَمُّلِي وَلَكَ انْتِصَابِي (٢)
سَأَمْضِي وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي ... مَغِيبِي لَيْلَةً وَغَدًا إِيَابِي (٣)

وقال فى لعبة أحضرت مجلس بدر على صورة جارية وأديرت فوقفت حذاء بدر رافعة رجلها وكانت ترقص بحركات

يَا ذَا الْمَعَالِي وَمَعْدِنَ الأَدَبِ ... سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِ الْعَرَبِ
أَنْتَ عَلِيمٌ بِكُلِّ مُعْجِزَةٍ ... وَلَوْ سَأَلْنَا سِوَاكَ لَمْ يُجِبِ (٤)
أَهَذِهِ قَابَلَتْكَ رَاقِصَةً ... أَمْ رَفَعَتْ رِجْلَهَا مِنَ التَّعَبِ

والعراب الخيل العربية يقول : ليس بمستنكر أن تسبق الناس وتبذهم لانك أهل ذلك كما أن كرام الخيل لا تدفع عن السبق

(١) تشكى بحذف إحدى التاءين أى تتشكى واليه متعلق بتشكى والضمير فى غيبته وفى اليه للسحاب والرشف المص وأصله أن تستقصى ما فى الاناء حتى لا تدع فيه شيأ والرضاب الريق يريد بيان ما ذكره فى البيت السابق من العجائب يقول : ان الارض بعطشها تشكو إلى السحاب غيبته عنها وعند لقائه ترشف ماءه كما يرشف العاشق ريق المعشوق (٢) يقول : إنى انما أتأمل في محاسنك لا فى الشطرنج وأنتصب جالسا لاراك لا لاراه (٣) يقول : انى سأمضى وأغيب عنك ليلة واحدة ثم أعود اليك قال ابن جنى : هذه الابيات لم أفرأها عليه وشعره عندى أجود منها

(٤) بكل معجزة أى بكل مسألة يعجز الناس عن بيانها والاجابة عليها فلو سئل عنها غيره أجبل « انقطع » قال العكبرى : هذه أبيات رديئة عملها ارتجالا فى معان ليست هناك

وقال يمدح علي بن محمد بن سيار بن مُكرَم التميمي، وكان يحب الرمي بالنشّاب ويتعاطاه، وكان له وكيل يتعرض للشعر فأنفذه الى أبي الطيب يناشده فتلقاه وأجلسه في مجلسه ثم كتب الى علي يقول

ضُرُوبُ النَّاسِ عُشَّاقٌ ضُرُوبَا ... فأَعْذَرُهُمْ أَشْفَهُمْ حَبِيبَا (١)

وَمَا سَكَنِي سِوَى قَتْلِ الأَعادِي ... فَهَلْ مِنْ زَوْرَةٍ تَشْفِي القُلُوبَا (٢)

تَظَلُّ الطَّيْرُ مِنْهَا فِي حَدِيثٍ ... تَرُدُّ بِهِ الصَّرَاصِرَ وَالنَّعِيبَا (٣)

وَقَدْ لَبِسَتْ دِمَاءَهُمُ عَلَيْهِمْ ... حِدَادًا لَمْ تَشُقَّ لَهَا جُيُوبَا (٤)

أَدَمْنَا طَعْنَهُمْ وَالْقَتْلَ حَتَّى ... خَلَطْنَا فِي عِظَامِهِمِ الْكُعُوبَا (٥)

---

(١) الضروب الشكول والاصناف وأشفهم أعضهم يقول: شكول الناس على اختلافهم يحبون شكول المحبوبات على اختلافها، وأحقهم بأن يعذر في العشق والحب من كان محبوبه أفضل وهذا كالتمهيد لبيت التالي

(٢) السكن ما تسكن نفسك اليه وتهواه يقول: فالذي أحبه أنا وتسكن اليه نفسي هو قتل أعدائي فهل من زيارة لهذا الحبيب أي هل أظفر بذلك وأتمكن منه حتى أشفي قلبي كما يشفي قلب المحب زورته الحبيب (٣) ترد أي تردد والصراصر جمع صرصرة وهي صوت النسر والبازي ونحوهما والنعيب صوت الغراب يقول: هل من سبيل إلى وقعة تكثر فيها القتلى فيجتمع عليها الطير فيصرصر النسر وينعب الغراب؟ جعل صياح الطيور المجتمعة على القتلى كأنه حديث يتحدث به (٤) وقد لبست أي الطير وعليهم متعلق بحدادا والحداد الثياب السود تلبس عند المصيبة والجيوب جمع جيب وهو طوق القميص وعند العامة كيس يخاط في جانب الثوب من الداخل ويجعل فمه من الخارج يقول: إن هذه الطير تغوص في دماء القتلى فتتلطخ بها وتجف عليها فتسود وتصير كأنها ثياب حداد على القتلى بيد أنها لم تشق على هؤلاء القتلى جيوبا كما تفعل ربات الحداد

(٥) الكعوب جمع كعب وهو ما بين الأنبوبتين من القناة يقول: لم نزل نطعنهم حتى كسرنا كعوب الرماح فيهم فاختلطت في أبدانهم بعظامهم

كَأَنَّ خُيُولَنَا كَانَتْ قَدِيمًا ... تُسَقَّى فِى قُحُوفِهِمِ الْحَلِيبَا (١)

فَمَرَّتْ غَيْرَ نَافِرَةٍ عَلَيْهِمْ ... تَدُوسُ بِنَا الْجَمَاجِمَ وَالتَّرِيبَا (٢)

يُقَدِّمُهَا وَقَدْ خُضِبَتْ شَوَاهَا ... فَتًى تَرْمِى الْحُرُوبُ بِهِ الْحُرُوبَا (٣)

شَدِيدُ الْخُنْزُوَانَةِ لَا يُبَالِى ... أَصَابَ إِذَا تَنَمَّرَ أَمْ أُصِيبَا (٤)

أَعَزْمِى طَالَ هَذَا اللَّيْلُ فَانْظُرْ ... أَمِنْكَ الصُّبْحُ يَفْرَقُ أَنْ يَؤُوبَا (٥)

كَأَنَّ الْفَجْرَ حِبٌّ مُسْتَزَارٌ ... يُرَاعِى مِنْ دُجُنَّتِهِ رَقِيبَا (٦)

كَأَنَّ نُجُومَهُ حَلْىٌ عَلَيْهِ ... وَقَدْ حُذِيَتْ قَوَائِمُهُ الْجُبُوبَا (٧)

---

(١)و(٢) القحوف جمع قحف بكسر القاف وهو العظم الذى فوق الدماغ والجمجمة العظم الذي فيه الدماغ والتريب عظم الصدر والجمع الترائب موضع القلادة من الصدر يقول : كأن خيلنا كانت فى صغرها تسقى اللبن فى أقحاف رؤسهم فألفتهم حتى صارت تدوس جماجمهم وصدورهم ونحن عليها لاتنفر منهم . . . وقد جرت عادة العرب بأن تسقى اللبن كرام خيولها (٣) الشوى من الخيل قوائمها ، وقد رويت خضبت بالبناء للمعلوم والضمير للخيل يقول : ان هـذه الخيل يقدمها إلى الحرب — وقد خضبت قوائمها بالدم — فتى قد طال تمرسه بالحروب — يعنى نفسه — فكلما فرغ من حرب خاض حربا أخرى (٤) الخنزوانة فى الاصل ذبابة تطير فى أنف البعير فيشمخ لها بأنفه واستعيرت للكبر . وتنمر صار كالنمر غضبا . وقوله أصاب أى أأصاب بهمزة التسوية يقول : إذا غضب على أعدائه وقاتلهم لايبالى أقتلهم أم قتلوه

(٥) الهمزة فى أعزمى للنداء ويفرق يخاف ويؤب يرجع يقول : — مخاطبا عزمه — أنظر ياعزمى هل علم الصبح بما أنا عازم عليه من الاقتحام فتأخر خشية أن يصاب فى جملة أعدائى (٦) الحب المحبوب ويراعى يراقب وينتظر والدجنة الظلمة والضمير فى دجنته لليل، شبه الفجر بحبيب قد طلب إليه زيارة محبه وهو يراعى من ظلمة الليل رقيبا فتتأخر زيارته خوف الرقيب — يريد طول الليل وأن الفجر ليس يطلع فكأنه حبيب يخاف رقيبا (٧) الجبوب وجه الارض وحذيت قوائمه الجبوب أى جعل الجبوب حذاء لقوائمه يقول : كأن النجوم حلى على الليل فليست تفارقه وكأن الارض قد جعلت حذاء له فلا

كَأَنَّ الجَوَّ قاسَى مَا أُقاسِي ... فَصَارَ سَوَادُهُ فِيهِ شُحُوبا (١)

كَأَنَّ دُجَاهُ يَجْذِبُهَا سُهَادِي ... فَلَيْسَ تَغِيبُ إِلاَّ أَنْ يَغِيبا (٢)

أُقَلِّبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي ... أَعُدُّ بِهِ عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبا (٣)

وَمَا لَيْلٌ بِأَطْوَلَ مِنْ نَهَارٍ ... يَظَلُّ بِلَحْظِ حُسَّادِي مَشُوبا (٤)

وَمَا مَوْتٌ بِأَبْغَضَ مِنْ حَيَاةٍ ... أَرَى لَهُمُ مَعِي فِيهَا نَصِيبا (٥)

عَرَفْتُ نَوَائِبَ الحَدَثَانِ حَتَّى ... لَوِ انْتَسَبَتْ لَكُنْتُ لَهَا نَقِيبَا (٦)

وَلَمَّا قَلَّتِ الإِبِلُ امْتَطَيْنَا ... إِلَى ابْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ الخُطُوبا (٧)

يستطيع أن يمشى لثقل الارض على قوائمه (١) الشحوب تغير اللون من هزال ونحوه يقول : كأن الجو كابد ما أكابد من طول الوجد فاسود لون الليل وصار سواده شحوبا أى كأن الليل اسود لأنه دفع إلى ما دفعت اليه

(٢) الدجى جمع دجية وهي الظلمة والسهاد السهر يقول : ان سهاده يطول والليل يطول معه فكأن سهاده يجذب ظلمة الليل فهى لا تنقضى إلا بانقضائه وسهاده لا ينقضى وكذلك ظلمة الليل (٣) يقول : انى أقلت أجفانى فى ذلك الليل ولكثرة تقليبى اياها كأنى أعد على الدهر ذنوبه فكما أن ذنوب الدهر كثيرة متوافرة لا تكاد تفنى كذلك تقليبى أجفانى كثير لا يفنى فلا نوم هناك . ولك أن تقول : أقلب أجفانى فى ذلك الليل وأنا أرعى نجومه كأنى أعد بها ذنوب الدهر التى هى مثلها فى العدد ، وهذا المعنى ينظر الى قول ديك الجن

أَنَا أُحْصِي فِيكَ النجومَ وَلَكِنْ ... لِذُنُوبِ الزَمَانِ لَسْتُ بِمُحْصِ

(٤) بلحظ حسادى أى بلحظى حسادى يقول : ليس ليلى وان طال بأطول من نهار يشوبه أى يخالطه أن أنظر فيه إلى حسادى وأعدائى (٥) يقول : اذا كان لحسادى نصيب معى فى الحياة وشاركونى فيها وعاشوا كما أعيش فليس الموت بأبغض إلى من تلك الحياة أى أنه لا تحلو له الحياة حتى يقتل حساده (٦) الحدثان حوادث الدهر ونوبه ويقال انتسب الرجل إلى فلان اذا نسب نفسه اليه والنقيب الخبير بأحوال القوم وأنسابهم يقول : لكثرة ما أصابنى من نوائب الدهر صرت عارفا بها حتى لو كان لها أنساب لكنت أنا نقيبها

(٧) يقول : لما اعوزتنا الابل وفقدناها لقلة ذات اليد ادتنى المحن والشدائد إلى الممدوح فكأنها كانت مطايا ركبناها اليه

مطَايَا لا تَذِلُّ لِمَنْ عَلَيْهَا ... وَلاَ يَبْغِي لَهَا أَحَدٌ رُكُوبَا (١)

وَتَرْتَعُ دُونَ نَبْتِ الأَرْضِ فِينَا ... فَمَا فَارَقْتُهَا إِلاَّ جَدِيبَا (٢)

إِلَى ذِي شِيمَةٍ شَعَفَتْ فُؤَادِي ... فَلَوْلاَهُ لَقُلْتُ بِهَا النَّسِيبَا (٣)

تُنَازِعُنِي هَوَاهَا كُلُّ نَفْسٍ ... وَإِنْ لَمْ تُشْبِهِ الرَّشَأَ الرَّبِيبَا (٤)

عَجِيبٌ فِي الزَّمَانِ وَمَا عَجِيبٌ ... أَتَى مِنْ آلِ سَيَّارٍ عَجِيبَا (٥)

وَشَيْخٌ فِي الشَّبَابِ وَلَيْسَ شَيْخًا ... يُسَمَّى كُلُّ مَنْ بَلَغَ المَشِيبَا (٦)

قَسَا فَالأُسْدُ تَفْزَعُ مِنْ قُوَاهُ ... وَرَقَّ فَنَحْنُ نَفْزَعُ أَنْ يَذُوبَا (٧)

---

(١) و (٢) رتعت الابل رعت في بحبوحة وخصب والجدب ضد الخصب ومكان جديب لا نبات فيه يقول : ان الخطوب مطايا لا ينبغى أحد ركوبها وهي لا ترعى نبات الارض انما ترعانا وتنال منا فما فارقتها عند وصولى اليك إلا جديبا لانها رعتنى وأتت على فلم تترك منى ناميا

(٣) الشيمة الخلق وتقول شعفتنى حبا وشغفتنى والمعنى تيمتنى وبلغت منى ، وشغفتنى من شغاف القلب وهو غلافه أو سويداؤه والنسيب التشبيب بالنساء فى الشعر يقول : ان أخلاق الممدوح شغفتنى بحسنها فلولا مهابته واحتشامه لتغزلت بها كما يتغزل العاشق بمعشوقه (٤) الضمير فى هواها للشيمة والرشأ ولد الظبية اذا تحرك ومشى والربيب المربى يقول : ان كل نفس تعشق أخلاقه كما أعشقها أنا فهى محبوبة إلى كل انسان وان لم يكن بينها وبين الرشأ شبه لانها من الرجولة والفضل بحيث تسمو عن شبهها بالظباء التى تشبه بها الحسان (٥) عجيب خبر مبتدا محذوف يعود إلى الممدوح وعجيبا خبر ما العاملة عمل ليس يقول : هو عجيب فى الزمان وليس ما يأتى من آل سيار عجبا لانهم الغاية فى المجد والكرم (٦) يقول : هو — مع أنه شاب — فى حنكة الشيوخ وجودة رأيهم ورجحان ألبابهم ، ورب انسان غيره بلغ المشيب ولكنه لا يستحق أن يسمى شيخا لتخلفه ونقصه (٧) قوله من قواه يروى من يديه يقول : قسا قلبه فى الحروب حتى لتخاف الاسد بطشه وسطوته وهو مع ذلك فى مجلسه قد رق طبعا وكرما حتى لنخاف أن يذوب ، ويقال فلان يذوب ظرفا إذا لان جانبه واحلولت شيمته

أَشَدُّ مِنَ الرِّيَاحِ الْهُوجِ بَطْشًا ... وَأَسْرَعُ فِي النَّدَى مِنْهَا هُبُوبَا (١)

وَقَالُوا ذَاكَ أَرْمَى مَنْ رَأَيْنَا ... فَقُلْتُ رَأَيْتُمُ الْغَرَضَ الْقَرِيبَا (٢)

وَهَلْ يُخْطِي بِأَسْهُمِهِ الرَّمَايَا ... وَمَا يُخْطِي بِمَا ظَنَّ الْغُيُوبَا (٣)

إِذَا نُكِبَتْ كِنَانَتُهُ اسْتَبَنَّا ... بِأَنْصُلِهَا لِأَنْصُلِهَا نُدُوبَا (٤)

يُصِيبُ بِبَعْضِهَا أَفْوَاقَ بَعْضٍ ... فَلَوْلَا الْكَسْرُ لَاتَّصَلَتْ قَضِيبَا (٥)

بِكُلِّ مُقَوَّمٍ لَمْ يَعْصِ أَمْرًا ... لَهُ حَتَّى ظَنَنَّاهُ لَبِيبَا (٦)

يُرِيكَ النَّزْعُ بَيْنَ الْقَوْسِ مِنْهُ ... وَبَيْنَ رَمِيِّهِ الْهَدَفِ الْهِيبَا (٧)

---

(١) الهوج جمع هوجاء وهى الشديدة العصف فى حمق وطيش . والبطش الاخذ بقوة والندى الجود يقول : هو لدى الوغى أشد بطشا من هوج الرياح ولدى الجود أسرع منها فى العطاء (٢) الغرض الهدف يرمى بالسهام يقول : ان الناس يقولون أنه أرمى من رأيناه يرمى السهام فقلت انكم رأيتموه وهو يرمى الغرض القريب منه فكيف لو رأيتموه يرمى الغرض البعيد (٣) الرمايا جمع رمية اسم لكل ما يرمى بالسهم من غرض أو صيد يقول : انه صائب الفكرة فهو يرمى المغيبات بسهام ظنه فيصيبها لثقوب فكره فكيف لا يصيب المحسات بسهامه (٤) و (٥) الكنانة الجعبة التى توضع فيها السهام ونكبت قلبت على رأسها لينثر ما فيها واستبنا تبينا ورأينا والندوب في الاصل آثار الجروح والمراد هنا مطلق الأثر والأفواق جمع فوق وهو موضع الوتر من السهم يقول : إذا نثرت كنانته وأفرغ ما فيها من السهام رأينا لنصوله آثاراً فى نصوله لسرعة رميه ورميه اياها على طريقة واحدة حتى يدرك بعضها بعضا من غير أن يميل عنه ويصيب اللاحق منها فوق السابق فلولا أن ينكسر النصل بالفوق لا تصل بعضها ببعض وصارت مستوية كالقضيب . وكان الوجه أن يقول بدل بأنصلها لا نصلها بأفوقها لانصلها بدليل البيت الثانى ولان النصال إذ ذاك لا تتقابل

(٦) بكل مقوم بدل من قوله ببعضها أى يصيب بكل سهم هذه صفته يقول : ان سهمه يتجه كيف شاء فكأنه عاقل يأمره فيطيع (٧) النزع جذب الوتر للرمى وضمير منه للسهم والرمى المرمى فهو فعيل بمعنى مفعول والهدف بدل من رميه يقول : إذا

أَلَسْتَ ابْنَ الْأُولَى سَعِدُوا وَسَادُوا ... وَلَمْ يَلِدُوا امْرَأً إِلَّا نَجِيبا (١)

وَنَالُوا مَا اشْتَهَوْا بِالْحَزْمِ هَوْنًا ... وَصَادَ الْوَحْشَ نَمْلُهُمُ دَبِيبا (٢)

وَمَا رِيحُ الرِّيَاضِ لَهَا وَلَكِنْ ... كَسَاهَا دَفْنُهُمْ فِي التُّرْبِ طِيبا (٣)

أَيَا مَنْ عَادَ رُوحُ الْمَجْدِ فِيهِ ... وَعَادَ زَمَانُهُ الْبَالِي قَشِيبا (٤)

تَيَمَّمَنِي وَكِيلُكَ مَادِحًا لِي ... وَأَنْشَدَنِي مِنَ الشِّعْرِ الْغَرِيبا (٥)

جذب الوتر ورمى السهم رأيت منه نارا بين القوس والهدف وذلك أن حفيف السهم فى سرعة مروره يشبه حفيف النار في التهابها والعرب اذا وصفت شيأ بالسرعة شبهته بالنار (١) الألى بمعنى الذين والاستفهام للتقرير أى أنت ابن أولئك، وسعدوا من السعادة والنجيب الكريم (٢) يقول : وأنت ابن الذين أدركوا بحزمهم ما طلبوا فى رفق وأناة وتؤدة فأدركوا الصعب البعيد بأهون سبب ودون جهد ونصب. وجعل الوحش مثلا للمطلوب البعيد ودبيب النمل مثلا لرفقهم ولطف تأنيهم (٣) يقول : ان الطيب الذى يتضوع من الرياض ليس لها فى الحقيقة ولكنه شىء أفادته من دفن آبائه فى التراب ، وهذا من قول أبى تمام

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ ... فَطِيبُ تُرَابِ الْقَبْرِ دَلَّ عَلَى الْقَبْرِ

(٤) الضمير فى زمانه للمجد والقشيب الجديد قال ابن جنى : معناه أن روح المجد انتقل اليه فصار هو المجد مبالغة ، وقال غيره : معناه يامن عاد به روح المجد فى المجد أى أن المجد كان ميتا فعاد به حيا وعاد الزمان الذى كان باليا جديدا به ، وقد نظر إلى هذا المعنى بعضهم فقال

سألت الندى والمجد حيان أنتما ... وهل عشتما من بعد آل محمد

فقالا نعم متنا جميعا وضمنا ... ضريح وأحيانا دبيس بن مزيد

(٥) تيممنى قصدنى قال الواحدى : سمعت الشيخ أبا المجد كريم بن الفضل رحمه الله قال سمعت والدى أبا بشر قاضى القضاة يقول : أخبرنى أبو الحسين الشامى الملقب بالمشوق قال : كنت عند المتنبى فجاءه هذا الوكيل فأنشده هذه الابيات :

فؤادى قد انصدع ... وضرسى قد انقلع

ولليالى عقلى ... قد انهوى وما رجع

فَآجَرَكَ الإِلَهُ عَلَى عَلِيلٍ ... بَعَثْتَ إِلَى المَسِيحِ بِهِ طَبِيبا (١)
وَلَسْتُ بِمُنْكِرٍ مِنْكَ الهَدَايَا ... وَلَكِنْ زِدْتَنِى فِيهَا أَدِيبا
فَلَا زَالَتْ دِيَارُكَ مُشْرِقَاتٍ ... وَلَا دَانَيْتَ يَا شَمْسُ الغُرُوبا (٢)
لِأُصْبِحَ آمِنًا فِيكَ الرَّزَايَا ... كَمَا أَنَا آمِنٌ فِيكَ العُيُوبا (٣)

وقال يصف مجلسين لابى محمد الحسن بن عبد الله بن طغج قد انزوى أحدهما عن الآخر ليُرَى من كل واحد منهما مالا يُرَى من صاحبه

أَلمَجْلِسَانِ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا ... مُقَابِلَانِ وَلَكِنْ أَحْسَنَا الأَدَبَا (٤)
إِذَا صَعِدْتَ إِلَى ذَا مَالَ ذَا رَهَبًا ... وَإِنْ صَعِدْتَ إِلَى ذَا مَالَ ذَا رَهَبَا (٥)
فَلِمْ يَهَابُكَ مَالَا حِسَّ يَرْدَعُهُ ... إِنِّى لَأُبْصِرُ مِنْ شَأْنَيْهِمَا عَجَبَا (٦)

يا حب ظبى غنج ... كالبدر لما أن طلع
رأيته فى بيته ... من كوة قد اطلع
فقلت ته ته وته ... فقال لى مر بالكع
هات قطع ثم قطع ... ثم قطع ثم قطع
وضع بكفى وفى ... جيبى أدعك أن تضع

فهذا الذى عناه المتنبى بقوله وأنشدنى من الشعر الغريبا (١) آجره الله أثابه ، جعل نفسه كالمسيح وهذا الشاعر كعليل قد جاء ليداوى المسيح الذى يحيى الموتى ويبرىء الاكمه والابرص (٢) جعله شمسا لشرفه وعموم منفعته، يدعو له بأن لاتزال دياره مشرقات بنوره وبأن لايشرف على الغروب أى لايموت (٣) لأصح تعليل للدعاء السابق يقول : أنا آمن عليك من العيوب فانها لاتقربك ولكن الذى أخشاه أن نرزأ فيك فأنا أدعو الله أن يقيك الرزايا لأصح آمنا فيك المحذورين معا (٤)و(٥) يقول : إن هذين المجلسين — وإن كان قد ميز كل منهما فى وضعه عن الآخر — مقابلان بعضهما لبعض ولكنهما أحسنا الادب فتميزا فانك إذا صعدت إلى أحدهما فجلست عليه مال الآخر عنه هيبة لك

(٦) يقول : إذا كان مالا حس له ولا عقل يهابك فما الظن بغيره

وقال وقد نظر الى السحاب

تَعَرَّضَ لِى السَّحَابُ وَقَدْ ففَلْنا ... فَقُلْتُ إِلَيْكَ إِنَّ مَعِى السَّحَابا (١)

فَشِمْ فى الْقُبَّةِ الْمَلِكَ الْمُرَجَّى ... فأَمْسَكَ بَعْدَمَا عَزَمَ انْسِكَابا (٢)

وأشار اليه طاهر العلوى بمسك وأبو محمد حاضر فقال

أَلطِّيبُ مِمَّا غَنِيتُ عَنْهُ ... كَفَى بِقُرْبِ الأَمِيرِ طِيبا

يَبْنِى بِهِ رَبُّنَا الْعَالِى ... كَمَا بِكُمْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَا (٣)

وقال وقد استحسن عين باز فى مجلسه

أَيَا مَا أُحَيْسِنَهَا مُقْلَةً ... وَلَوْلاَ الْمَلاَحَةُ لَمْ أَعْجَبِ (٤)

خَلُوقِيَّةٌ فِى خَلُوقِيِّهَا ... سُوَيْدَاءُ مِنْ عِنَبِ الثَّعْلَبِ (٥)

إِذَا نَظَرَ الْبَازُ فى عِطْفِهِ ... كَسَتْهُ شُعَاعًا عَلَى الْمَنْكِبِ (٦)

---

(١)و(٢) ففلنا رجعنا وإليك بمعنى اكفف ، وشم أمر من شام البرق إذا نظر اليه يرجو المطر وتقول عزم فلان الامر وعزم عليه إذا هم به . وقوله فشم ألبيت يأمر السحاب بأن ينظر إلى الامير يرجو مطره كما ترجو الناس من السحاب مبالغة فى جود الامير حتى صار السحاب مفتقرا الى سقياه ثم قال : أنه لما قال ذلك للسحاب أمسك عن الانسكاب بعد أن هم به حياء من جوده (٣) ضمير به للامير والخطاب فى بكم لطاهر العلوى وهو من نسل الزهراء كريمة سيدنا رسول الله ومن ثم قال كما بكم يغفر الذنوبا (٤) التصغير فى ما أحيسنها مبالغة فى الاستحسان وقوله لم أعجب أى لم أقل ما أحيسنها، أى لولا حسنها لم أقل ذلك (٥) خلوقية نسبة إلى الخلوق ضرب من الطيب أصفر اللون وفى خلوقيها خبر مقدم وسويداء مبتدأ مؤخر يقول : هذه المقلة صفراء مثل لون الخلوق يتوسط صفرتها انسان — انسان عين — أسود كأنه الحية الصغيرة من عنب الثعلب (٦) يقول: إذا التفت الباز إلى جانبها اكتسى من نور مقلته شعاعا

وقال يمدح أبا القاسم طاهر بن الحسين العلوى*

أَعِيدُوا صَبَاحِى فَهْوَ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ
وَرُدُّوا رُقَادِى فَهْوَ لَحْظُ الْحَبَائِبِ (١)

فَإِنَّ نَهَارِى لَيْلَةٌ مُدْلَهِمَّةٌ عَلَى مُقْلَةٍ مِنْ بَعْدِكُمْ فِى غَيَاهِبِ (٢)

بَعِيدَةِ مَا بَيْنَ الْجُفُونِ كَأَنَّمَا عَدَمْتُمْ أَعَالِى كُلِّ هُدْبٍ بِحَاجِبِ (٣)

---

*قالوا : ان الامير أبا محمد ابن طغج لم يزل يسأل المتنبى أن يخص أبا القاسم طاهرا العلوى بقصيدة من شعره وأنه قد اشتهى ذلك ، وأبو الطيب يقول ما قصدت إلا الامير ولا أمدح سواه فقال أبو محمد عزمت أن اسألك قصيدة تنظمها فى فاجعلها فيه وضمن له عنده مئات من الدنانير فأجاب . قال محمد بن القاسم الصوفى : فسرت أنا والمطلبى برسالة طاهر إلى أبى الطيب فركب معنا حتى دخلنا عليه وعنده جماعة من الاشراف فلما أقبل أبو الطيب نزل طاهر عن سريره والتقاه مسلما عليه ثم أخذه بيده فأجلسه في المرتبة التى كان فيها وجلس هو بين يديه وتحدث معه طويلا ثم أنشده أبو الطيب فخلع عليه للوقت خلعا نفيسة ، قال على بن القاسم الكاتب كنت حاضرا هذا المجلس فما رأيت ولا سمعت أن شاعرا جلس الممدوح بين يديه مستمعا لمدحه غير أبى الطيب فانى رأيت هذا الشريف قد أجلسه في مجلسه وجلس بين يديه فأنشده هذه القصيدة

(١) الكواعب جمع كاعب وهى التى بدا ثدياها للنهود ، والحبائب جمع حبيبة يقول : أصبح دهرى ليلا كله بعد ظعن الاحبة فليس هناك صباح الا بردهن وقد نفى عنى الكرى فلا رقاد إلا برؤيتهن (٢) مدلهمة شديدة السواد ، والغياهب الظلمات وهذا البيت كالتعليل لما ذكره فى البيت السابق يقول : لما رحلتم لم أبصر بعدكم شيأ أى بكيت حتى عميت فآض نهارى ليلا حالك السواد . وقال التبريزى : هذا معنى البيت الاول أى غاب عنى الكواعب فغاب صباحى بعدهن لان الدنيا تظلم فى عين المحزون ، فردوا رقادى فقد كنت أراهم فى نومى وقد فقدتهم منذ فارقت الرقاد . (٣) بعيدة بدل من مقلة فى البيت السابق ، والهدب الشعر النابت على أشفار العين ولكن المراد بأعالى كل هدب ما نبت على الجفن الاعلى فهو عام قد خصص يقول : ان عينيه لا تنطبقان وتباعدت أجفانه حتى لكأن أعالى أهدابها قد عقدت بالحاجبين وهذا مثل قول بشار بن برد

جَفَتْ عَيْنِى عَنِ التَغْمِيضِ حَتَّى كَأَنَّ جُفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ

وَأَحْسِبُ أَنِّي لَوْ هَوِيتُ فِرَاقَكُمْ ... لَفَارَقْتُهُ وَالدَّهْرُ أَخْبَثُ صَاحِبِ (١)

فَيَا لَيْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبَّتِي ... مِنَ الْبُعْدِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَصَائِبِ (٢)

أُرَاكِ ظَنَنْتِ السِّلْكَ جِسْمِي فَعُقْتِهِ ... عَلَيْكِ بِدُرٍّ عَنْ لِقَاءِ التَّرَائِبِ (٣)

وَلَوْ قَلَمٌ أُلْقِيتُ فِي شَقِّ رَأْسِهِ ... مِنَ السُّقْمِ مَا غَيَّرْتُ مِنْ خَطِّ كَاتِبِ (٤)

(١) يقول ان الدهر مولع بمخالفتى حتى لو هويت فراقكم لواصلتمونى يعنى أن من أهواه يبعد عنى ، ومن أجتويه يقرب منى لسوء صحبة الدهر اياى فقوله لفارقته أى لفارقت الفراق مضطراً بحكم الدهر وفى هذا يقول بعضهم

أَرَى مَا أَشْتَهِيهِ يَفِرُّ مِنِّي ... ومالا أَشْتَهِيهِ إِلَيَّ يَاتِي

وَمَنْ أَهْوَاه يُبْغِضُنِي عِنَاداً ... وَمَنْ أَشْنَاهُ يُشْبِتُ فِي لِهَاتِي

كَأَنَّ الدَّهرَ يَطْلُبُنِي بِثَأْرٍ ... فَلَيْسَ يَسُرُّه إلا وَفَاتِي

(٢) يقول : ليت أحبتى واصلونى مواصلة المصائب وليت المصائب بعدت عنى بعدهم وهذا كما قال أيضا

ليت الحبيب الهاجرى هجر الكرى ... من غير جرم واصلى صلة الضنا

(٣) أراك أظنك والسلك الخيط الذى ينظم فيه الدر وغيره وقوله عليك بدر يريد بدر عليك فقدم الجار والمجرور والترائب موضع القلادة من الصدر يقول : أظنك حسبت السلك الذى فى قلادتك جسمى لمشابهته اياه فى الدقة فحلت بينه وبين ترائبك بالدر المنظوم فيه لئلا يلامس صدرك أى أن ولوعك بمشاقتى حملك على مخافرة كل ما يشاكلنى . يشكو مخالفتها اياه ورغبتها عن وصاله وهو من معانى المتنبى البديعة

(٤) يقول : لشدة سقمى نحلت حتى لم يبق لى جثمان يحس به فلو القيت فى شق قلم لم يتغير بى خط كاتب وهذا من مبالغات الشعراء وقد افتنوا فى هذا المعنى كل الافتنان ومن ذلك قول بعضهم

ذُبْتُ مِنَ الوَجْدِ فَلَوْ زُجَّ بِي ... فِي مُقْلَةِ الوَسْنَانِ لَمْ يَنْتَبِهِ

وقول الآخر

فَاسْتَبْقِ مَا أَبْقَيْتَ لِي فَلَعَلَّنِي ... يَوْمًا أُقِيكَ بِهِ مِنَ الأَعْدَاءِ

مِنْ مُهْجَةٍ ذَابَتْ أَسًى فَلَوَانَّهَا ... فِي العَيْنِ لَمْ تُمْنَعْ مِنَ الأَغْفَاءِ

تُخَوِّفُنِي دُونَ الَّذِي أَمِرَتْ بِهِ ... وَلَمْ تَدْرِ أَنَّ الْعَارَ شَرُّ الْعَوَاقِبِ (١)

وَلَابُدَّ مِنْ يَوْمٍ أَغَرَّ مُحَجَّلٍ ... يَطُولُ اسْتِمَاعِي بَعْدَهُ لِلنَّوَادِبِ (٢)

يَهُونُ عَلَى مِثْلِي إِذَا رَامَ حَاجَةً ... وُقُوعُ الْعَوَالِي دُونَهَا وَالْقَوَاضِبِ (٣)

كَثِيرٌ حَيَاةِ الْمَرْءِ مِثْلُ قَلِيلِهَا ... يَزُولُ وَبَاقِي عَيْشِهِ مِثْلُ ذَاهِبِ (٤)

إِلَيْكِ فَإِنِّي لَسْتُ مِمَّنْ إِذَا اتَّقَى

عِضَاضَ الْأَفَاعِي نَامَ فَوْقَ الْعَقَارِبِ (٥)

---

(١) قال الواحدى : الذى أمرت به هو ملازمة البيت وترك السفر والذى خوفته به هو الهلاك وتقدير اللفظ تخوفنى بشىء دون الذى أمرت به أى تخوفنى بالهلاك وهو دون ما تأمر به من ملازمة البيت لأن فيها عارا والعار شر من البوار والضمير فى تخوفنى للحبيبة أو العاذلة (٢) يقول : لا بد لى من يوم مشهور أكثر فيه قتل الاعادى فأسمع بعده صياح النوادب عليهم ، والأغر فى الاصل الذى فى وجهه بياض وأغر محجل من صفات الخيل استعارها لليوم يريد يوما مشهورا ينماز عن الايام كما ينماز الفرس بالغرة والتحجيل (٣) يقول : مثلى اذا رام أمرا لم يبال أن يكون دون الوصول اليه رماح وسيوف يريد أنه يتوصل اليه وان كان دونه حروب وأهوال

(٤) كثير مبتدأ ومثل خبر أول ويزول خبر ثان : يحث على الشجاعة والاقدام وينهى عن الجبن يقول : ان طول العمر وقصره سيان لان نهاية كل منهما الزوال وما بقى من العيش لاحق بما ذهب فهو فى حكمه واذن لاوجه للحرص على الحياة . وقال ابن الرومى :

رأيتُ طويلَ العُمْرِ مِثْلَ قصيرِهِ ... إذا كان مُفضاهُ إلى غايةٍ تُرى

(٥) اليك اسم فعل بمعنى كفى يقول : كفى عنى فانى لست ممن اذا خشى الهلاك صبر على الذل والهوان . جعل الافاعى مثلا للهلاك لانها تقتل بسمها دفعة واحدة والعقارب مثلا للذل والهوان لان لسعها لايقتل ولكنه يتكرر فيكون أطول عذابا قال ابن فورجه : من بات فوق العقارب أفضت به كثرة لسعها إلى الهلاك كما لو نهشته الافعى واذن يكون المعنى أن العار أيضا يفضى بالرجل الشريف إلى الهلاك لتعير الناس

أَتَانِي وَعِيدُ الأَدْعِيَاءِ وَأَنَّهُمْ ... أَعَدُّوا لِيَ السُّودَانَ فِي كَفْرِ عَاقِبِ (١)

وَلَوْ صَدَقُوا فِي جَدِّهِمْ لَحَذِرْتُهُمْ ... فَهَلْ فِيَّ وَحْدِي قَوْلُهُمْ غَيْرُ كَاذِبِ (٢)

إِلَيَّ لِعَمْرِي قَصْدُ كُلِّ عَجِيبَةٍ ... كَأَنِّي عَجِيبٌ فِي عُيُونِ الْعَجَائِبِ (٣)

بِأَيِّ بِلَادٍ لَمْ أَجُرَّ ذُؤَابَتِي ... وَأَيِّ مَكَانٍ لَمْ تَطَأْهُ رَكَائِبِي (٤)

كَأَنَّ رَحِيلِي كَانَ مِنْ كَفِّ طَاهِرٍ ... فَأَثْبَتَ كُورِي فِي ظُهُورِ الْمَوَاهِبِ (٥)

فَلَمْ يَبْقَ خَلْقٌ لَمْ يَرِدْنَ فِنَاءَهُ ... وَهُنَّ لَهُ شُرْبٌ وُرُودَ الْمَشَارِبِ (٦)

اياه ، بل هو أشد لانه عذاب يتكرر أما الهلاك فهو دفعة واحدة ، فجعل الاقاعى مثلا للهلاك والعقارب مثلا للعار . .

(١) الادعياء جمع دعى يريد بهم هنا جماعة يدعون نسب على رضى الله عنه أرادوا به سوءا وأعدوا له جماعة من السودان ليقتلوه ، وكفر عاقب قرية بالشام من أعمال حلب

(٢) يقول : لو كانوا قد صدقوا فى دعوى انتسابهم إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم لجاز صدقهم فى الوعيد أيضا فحذرتهم ولكنهم اذ كذبوا فى نسبهم علمت أنهم لا يصدقون فهل يكون قولهم في وحدى صادقا ؟ (٣) يعرض بالذين توعدوه يقول : لا عجب من قصدهم إلى بهذا الوعيد فانى لا أزال أتعثر بالعجائب حتى لكأنها بذلك تعجب من صبرى وأناتى وعلو همتى فهى تيممنى وتنسل إلى من كل حدب (٤) ذؤابة النعل ما أصاب الارض من المرسل على القدم لتحركه ويروى بدل ذؤابتى ذوائبى ، يصف نفسه بكثرة الاسفار يقول : انى لم أدع موضعا من الارض إلا جولت فيه

(٥) الكور الرحل وطاهر هو طاهر بن الحسين العلوى الذى قال فيه المتنبى هذه القصيدة . وهذا البيت من أبدع ما قيل فى حسن التخلص يقول : كما أن مواهب الممدوح لم تدع مكانا إلا أتته كذلك أنا لم أدع مكانا الا أتيته فكأنى امتطيت ظهور مواهبه (٦) يقول : لم يبق أحد لم ترد مواهب الممدوح داره كما ترد الناس المشارب مع أن مواهبه شرب للناس فكان حقها — كما هى العادة — أن يردها الشاربون ولكنها هى ترد الشاربين. فقوله يردن أى المواهب وهو من ورود الماء والفناء الساحة والمنزل والضمير فيه للخلق والشرب المورد وحظ الوارد من الماء ، وورود مفعول مطلق ليردن مضاف الى مفعوله وقريب من معنى البيت قول القائل

اذا سألوا شكرتهم عليه ... وان سكتوا سألتهم السؤالا

فتًى عَلَّمَتْهُ نَفْسُهُ وَجُدُودُهُ ... قِرَاعَ الأَعَادِي وَابْتِذَالَ الرَّغَائِبِ (١)

فَقَدْ غَيَّبَ الشُّهَّادَ عَنْ كُلِّ مَوْطِنٍ ... وَرَدَّ إِلَى أَوْطَانِهِ كُلَّ غَائِبِ (٢)

كَذَا الْفَاطِمِيُّونَ النَّدَى فِي بَنَانِهِمْ ... أَعَزُّ أَعَزَّاءٍ مِنَ الْخُطُوطِ الرَّوَاجِبِ (٣)

أُنَاسٌ إِذَا لَاقَوْا عِدًى فَكَأَنَّمَا ... سِلَاحُ الَّذِي لَاقَوْا غُبَارُ السَّلَاهِبِ (٤)

رَمَوْا بِنَوَاصِيهَا الْقِسِيَّ فَجِئْنَهَا ... دَوَامِيَ الْهَوَادِي سَالِمَاتِ الْجَوَانِبِ (٥)

---

(١) الابتذال مثل البذل والرغائب جمع رغيبة وهي الشيء المرغوب فيه يقول : ان شجاعته وسخاءه غريزتان موروثتان (٢) الشهاد جمع شاهد بمعنى حاضر يقول : أنه غيب عن وطنه كل من ليس من ديدنه السفر لأن سخاءه يدعوهم اليه ، وردهم إلى الاوطان بعد أن غمرهم بنعمه وأغدق عليهم العطاء فاستغنوا عن السفر الى غيره

(٣) الندى مبتدا وأعز خبر وأصل البنان أطراف الاصابع والمراد بها هنا الاكف وقد روى بدل فى بنانهم فى أكفهم والرواجب مفاصل أصول الاصابع والممدوح من ولد السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج على بن أبي طالب ومن ثم قال كذا الفاطميون يقول : ان الجود لايفارقهم حتى أن خطوط الرواجب قد يمكن أن تمحى منها والجود لايمحى من أكفهم (٤) السلاهب جمع سلهب وهو الفرس الطويل يقول : انهم من الشجاعة والاقدام بحيث يعد سلاح أعدائهم فى نظرهم كانه غبار خيلهم لايعبأون به ولا يكترثون بل يشقونه لايرتدون عن اعدائهم

(٥) الضمير فى نواصيها للسلاهب وهي جمع ناصية مقدم شعر الرأس وجئنها أى جئن القسى أي بلغت السلاهب القسى والهوادى الاعناق يقول : انهم استقبلوا رماة أعدائهم بوجوه خيلهم فلم تنثن حتى وصلت اليهم وقد رميت اعناقها دون أعطافها وأعجازها لانها صممت على الاقدام لاتنحرف يمنة ولا يسرة ، ولهذا لم تصب سهام الاعداء إلا أعناقها وسلمت سائر أعضائها وفى سبيل هذا المعنى يقول بعضهم

سَكَرَتْ جِيَادُكَ مِنْكَ بَرْدَ مَقِيلِهَا ... فِي الْحَرِّ بَيْنَ بَرَاقِعٍ وَجِلَالِ

فَجَزَتْكَ صَبْرًا فِي الْوَغَى حَتَّى انْثَنَتْ ... جَرْحَى الصُّدُورِ سَوَالِمَ الْأَكْفَالِ

أُولَئِكَ أَحلَى مِنْ حَيَاةٍ مُعَادَةٍ وَأَكْبَرُ ذِكْرًا مِنْ دُهُورِ الشَّبَائِبِ (١)

نَصَرْتَ عَلِيًّا يَا ابْنَهُ بِبَوَاتِرٍ مِنَ الْفِعْلِ لَا فَلٌّ لَهَا فِي الْمَضَارِبِ (٢)

وَأَبْهَرُ آيَاتِ التِّهَامِيِّ أَنَّهُ أَبُوكَ وَأَجْدَى مَالَكُمْ مِنْ مَنَاقِبِ (٣)

إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفْسُ النَّسِيبِ كَأَصْلِهِ فَمَاذَا الَّذِي يُغْنِي كِرَامُ الْمَنَاصِبِ (٤)

---

(١) يقول : هم احلى فى القلوب من الحياة اذا أعيدت على صاحبها وذكرهم أكثر على الالسنة من ذكر أيام الشباب (٢) يريد بعلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه لان الممدوح علوى والبواتر السيوف القواطع والفل الثلم والمضارب جمع مضرب حد السيف يقول : أتيت من الفعال ماعززت به فعال ابيك فكان ذلك منك بمنزلة النصر له وقد سلمت أفعالك من العيوب فكانت كأنها سيوف قواطع لافلول فى مضاربها

(٣) التهامى يريد به سيدنا رسول الله قال ابن جنى : قد أكثر الناس القول فى هذا البيت وهو فى الجملة شنيع الظاهر وقد كان يتعسف فى الاحتجاج له والاعتذار منه بما لست أراه مقنعا ومع هذا فليست الآراء والاعتقادات فى الدين مما يقدح فى جودة الشعر يقول المتنبي : ان أبهر آيات النبى أنه أبوك ، وكونه أبوك هو أجدى مناقبكم معشر الفاطميين أو هو احدى مناقبكم الكثيرة — على رواية احدى بدل أجدى — وروى بعضهم البيت هكذا ☆ وأكبر آيات التهامى آية ☆ يعنى أن على بن أبى طالب أبا الممدوح هو أكبر آيات سيدنا رسول الله وهو حسن لو كانت الرواية صحيحة وقال العروضى معنى البيت : أن كفار قريش كانوا يقولون أن محمدا صنبور أى منفرد أبتر لا عقب له فاذا مات استرحنا منه فأنزل الله تعالى — انا أعطيناك الكوثر — أى الكثير ولست بأبتر كما قالوا أما شانئك فهو الابتر فقال المتنبي أنتم من معجزات النبى وايات لتصديقه وتحقيق قوله تعالى وذلك اجدى ما لكم من مناقب. وأنى أظن مثل هذا المعنى لم يخطر للمتنبي على بال

(١) النسيب ذو النسب الشريف والمناصب الاصول يقول : اذا لم تكن نفس النسيب مشابهة لأصله فى الكرم لم ينفعه الانتساب الى أصل كريم . يعنى: ان كرم الاصل لا ينفع مع لؤم النفس. وكثيرا ما تعاور الشعراء هذا المعنى قال

وما يَنفَعُ الأَصلُ مِن هاشِمٍ إِذا كانَتِ النَفْسُ مِنْ بَاهِلَهْ

وَمَا قَرُبَتْ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَبَاعِدٍ ... وَلَا بَعُدَتْ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَقَارِبِ (١)

إِذَا عَلَوِيٌّ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ طَاهِرٍ ... فَمَا هُوَ إِلَّا حُجَّةٌ لِلنَّوَاصِبِ (٢)

يَقُولُونَ تَأْثِيرُ الْكَوَاكِبِ فِي الْوَرَى ... فَمَا بَالُهُ تَأْثِيرُهُ فِي الْكَوَاكِبِ (٣)

عَلَا كَنَدَ الدُّنْيَا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ ... تَسِيرُ بِهِ سَيْرَ الذَّلُولِ بِرَاكِبِ (٤)

وَحُقَّ لَهُ أَنْ يَسْبِقَ النَّاسَ جَالِسًا ... وَيُدْرِكَ مَا لَمْ يُدْرِكُوا غَيْرَ طَالِبِ (٥)

وقال أبو يعقوب الخزيمي

إذا أَنت لَمْ تَحْمِ القَدِيمَ بِحادِثٍ ... مِن المجْدِ لَمْ يَنْفَعْكَ ما كان مِن قَبْلُ

وقال البحتري

ولَسْتُ أَعْتَدُّ لِلْفَتَى حَسَباً ... حَتى يُرَى فى فَعَالِهِ حَسَبُهْ

(١) البيت كالتتمة لما ذكره فى البيت السابق يقول : ان صحة النسب لا تتحقق الا بمشابهة الفروع للاصول فاذا ادعى قوم نسبا وهم أشباه لقوم أباعد عن أهل ذلك النسب فليسوا لهم باقارب، وكذلك القول فى الاقارب. وهذا تعريض بالذين ذكرهم من الادعياء

(٢) النواصب الخوارج الذين نصبوا لعداء على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول: اذا لم يكن العلوى تقيا ورعا طاهر — وهو الممدوح — كان حجة لاعداء أبى تراب لانهم يستدلون بنقصه على نقص أبيه (٣) يقول : ان الناس تقول ان الكواكب تؤثر فى الخلق — يريد مايذهب اليه المنجمون من السعد والنحس — ولكن الممدوح يؤثر فى الكواكب اذ يجعل المنحوس بحكم النجوم سعيدا بما يفيض عليه من نعمته وكذلك يجعل السعيد بحكم النجوم منحوسا بما ينزله به من نقمته فلا نستطيع الكواكب أن تحول دون مايريدوقال ابن فورجه: تأثيره فى الكواكب إثارته الغبار حتى لاتظهر وحتى يزول ضوء الشمس وتظهر الكواكب بالنهار (٤) الكند مجتمع الكتفين من الانسان والذلول المنقادة التى تذل لراكبها يقول : انه استوى على ظهر الدنيا فانقادت له انقياد الدابة الذلول لراكبها تسير به الى كل غاية

(٥) يقول : خليق به أن يسبق الناس فى سبيل المعالى وهو لا يتكلف لذلك جهدا، ويدرك ما لم يدركوه من غير ما طلب وسعى، يعنى أنه بلغ ما بلغه بشرف نسبه وما طبعه الله عليه من الفضل وعلو الهمة وهذا ما لايكتسب ويدرك بالسعى والاجتهاد

وَيُحْذَى عَرَانِينَ الْمُلُوكِ وَإِنَّهَا ... لِمَنْ قَدَمَيْهِ فِي أَجَلِّ الْمَرَاتِبِ (١)

يَدٌ لِلزَّمَانِ الْجَمْعُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... لِتَفْرِيقِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَائِبِ (٢)

هُوَ ابْنُ رَسُولِ اللهِ وَابْنُ وَصِيِّهِ ... وَشِبْهُهُمَا شَبَّهْتُ بَعْدَ التَّجَارِبِ (٣)

يَرَى أَنَّ مَا مَابَانَ مِنْكَ لِضَارِبٍ ... بِأَقْتَلَ مِمَّا بَانَ مِنْكَ لِعَائِبِ (٤)

أَلَا أَيُّهَا الْمَالُ الَّذِي قَدْ أَبَادَهُ ... تَعَزَّ فَهَذَا فِعْلُهُ فِي الْكَتَائِبِ (٥)

لَعَلَّكَ فِي وَقْتٍ شَغَلْتَ فُؤَادَهُ ... عَنِ الْجُودِ أَوْ كَثَّرْتَ جَيْشَ مُحَارِبِ (٦)

---

(١) العرانين الانوف يقول : وجدير به أن تجعل عرانين الملوك أحذية له يطؤها بقدميه ولو هو فعل ذلك لكانت فى أجل المراتب لانها تتشرف بوطأته

(٢) يد خبر مقدم والجمع مبتدا مؤخر واليد النعمة ومعنى البيت مأخوذ من قول أبى تمام

إذا العيسُ لَاقَتْ بى أبا دُلَفٍ فَقَدْ ... تقطَّعَ مَابينى وبينَ النَّوَائِبِ

(٣) هو ابن رسول الله لانه ابن السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله وابن وصيه لانه ابن سيدنا على كرم الله وجهه و سيدنا على هو وصى سيدنا رسول الله وقوله وشبههما أى وهو شبههما ، وقوله شبهت بعد التجارب كلام مستأنف يقول : شبهته بهما بعد تجربتى واختبارى اياه فليس تشبيهى عبثا (٤) اسم أن محذوف هو ضمير الشأن وما الاولى نافية بمعنى ليس والثانية بمعنى الذى والتقدير : يرى أنه ليس الذى ظهر من الانسان لضارب بالسيف كالعنق ونحوه بأقتل له مما ظهر لطعن عائب يقول : أنه يرى العيب أشد من القتل وهذا من قول أبى تمام

فَتًى لَا يَرَى أَنَّ الْفَرِيصَةَ مَقْتَلٌ ... وَلَكِنْ يَرَى أَنَّ الْعُيُوبَ الْمَقَاتِلُ

(٥) تعزيروى تسل،والكتائب جمع كتيبة وهى الفرقة من الجيش يقول : تأس أيها المال الذى ابادهُ الممدوح فلست وحدك المباد على يده ولك الاسوة بأعدائه الذين أبادهم مثلك قتلا وأسرا (٦) يقول : لعلك أيهذا المال المباد شغلت فؤاد الممدوح يوما ما عن السخاء بفتنتك أو أطمعت الاعداء فى محاربته رغبة فيك فاستحققت عقوبته بسبب ذلك فأبادك

حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ لِسَانِي حَدِيقَةً
سَقَاهَا الحِجَى سَقْيَ الرِّيَاضِ السَّحَائِبِ (١)
فَحُيِّيتَ خَيْرَ ابْنٍ لِخَيْرِ أَبٍ بِهَا لِأَشْرَفِ بَيْتٍ فِي لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ (٢)

وقال يمدح كافوراً سنة ست وأربعين وثلثمائة

وهي من محاسن شعره

مَنِ الجَآذِرُ فِي زِيِّ الأَعَارِيبِ حُمْرَ الحُلَى وَالمَطَايَا وَالجَلَابِيبِ (٣)
إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ شَكًّا فِي مَعَارِفِهَا فَمَنْ بَلَاكَ بِتَسْهِيدٍ وَتَعْذِيبِ (٤)

---

(١) الحديقة الروضة عليها حائط والمراد بها هنا القصيدة ، والحجى العقل، جعل العقل ساقيا لها لان المعاني التي فيها إنما تحسن بالعقل فجعل العقل ساقيها كما تسقى السحائب وقوله : سقى الرياض السحائب أراد سقى السحائب الرياض ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول وهو من شواذ الاستعمال (٢) خير أب منادى وبها أي بالحديقة المعنى بها القصيدة وكان من عاداتهم أن يحيوا بالزهور والرياحين ويعني بخير ابن الممدوح وبخير أب سيدنا رسول الله وبأشرف بيت هاشم بن عبد مناف إذ أن بيته أشرف ولدلؤى ابن غالب ، (٣) من استفهام والجآذر جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية تشبه بها النساء في حسن العيون ، والاعاريب جمع اعراب وهم سكان الخيام والوبر وقوله في زي حال من الجآذر والعامل فيها معنى الاستفهام وحمر الحلى حال بعد حال يقول : من هؤلاء النسوة المتشبهات بالجآذر وهن في زي الاعاريب ومتحليات بالذهب الاحمر ومتمطيات النياق الحمر ومشتملات في الثياب الحمراء يعني أنهن من نساء الملوك لان الحمرة لون ملابس الاشراف عندهم والنياق الحمر أكرم النياق لدى العرب

(٤) شكا مفعول لاجله يقول — مخاطبا نفسه — : ان كنت تسأل عنهن لشك بدا لك في معرفتهن فمن الذي امتحنك بالسهر والعذاب؟ يعني أنهن دلهنك بحبهن حتى صرت مسهدا معذبا فكيف لاتعرفهن؟ وانما استفهم عنهن لقوة شبههن بالجآذر حتى كأنهن جآذر لانساء وهذا من باب تجاهل العارف كما قال ذو الرمة

أَيَا ظَبْيَةَ الوَعْسَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلٍ وَبَيْنَ النَّقَا آأَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمِ

لاتَجْزِنِي بِضَنًى بِي بَعْدَهَا بَقَرٌ تَجْزِي دُمُوعِي مَسْكُوبًا بِمَسْكُوبِ (١)

سَوَائِرٌ رُبَّمَا سَارَتْ هَوَادِجُهَا مَنِيعَةً بَيْنَ مَطْعُونٍ وَمَضْرُوبِ (٢)

وَرُبَّمَا وَخَدَتْ أَيْدِي المَطِيِّ بِهَا عَلَى نَجِيعٍ مِنَ الْفُرْسَانِ مَصْبُوبِ (٣)

كَمْ زَوْرَةٍ لَكَ فِي الْأَعْرَابِ خَافِيَةٍ

أَدْهَى وَقَدْ رَقَدُوا مِنْ زَوْرَةِ الذِّيبِ (٤)

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وَأَنْثَنِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بِي (٥)

قَدْ وَافَقُوا الْوَحْشَ فِي سُكْنَى مَرَاتِعِهَا وَخَالَفُوهَا بِتَقْوِيضٍ وَتَطْنِيبِ (٦)

---

(١) المراد بالبقر النساء التى وصفها، يدعو لهن يقول: لاجزينى مقابل الضنى الذى حل بى بعد فراقهن ضنى مثله كما يجزين دموعى دموعا مثلها يعنى لا أورثهن الله السقام بعدى كما أورثنى بعدهن وان كن قد بكين لفراقى كما بكيت لفراقهن . فالباء فى قوله بضنى للمقابلة وبى صفة لضنى وبقر فاعل تجزنى أى لاتجزنى بقر بضنى حل بى ضنى يحل بهن وبعدها أى بعد فراقها وقوله تجزى دموعى الخ صفة لبقر وقوله مسكوبا بدل من دموعى أى تجزى دموعى مسكوبا منها بمسكوب من دموعها، وتعبيره ببقر ههنا غير لائق

(٢) سوائر أى هن سوائر والهوادج مراكب النساء على الابل يقول : إنهن من قومهن فى عز ومنعة فمن تصدى لهن طعن أو ضرب فسارت هوادجهن ما بين مطعون ومضروب (٣) الوخد ضرب من السير والنجيع الدم يقول : ربما سارت بهن مطاياهن على دم مصبوب من الفرسان ، يريد أنهن فى منعة دونهن طعان وضراب وقتال . فالبيت فى معنى البيت السابق (٤) يصف جرأته فى زيارة الحبائب بعد أن منعتهن يقول: ـــ مخاطبا نفسه ـــ كم قد زرتهن زيارة لم يشعر بها أحد كزيارة الذئب الغنم يقع فيها ويذهب بما يذهب منها على غفلة من الراعى وقوله وقد رقدوا جملة معترضة بين أدهى ومن زورة الذيب (٥) جمع فى هذا البيت بين خمس مطابقات ، الزيارة والانثناء والسواد والبياض والليل والصبح والشفاعة والاغراء ولى وبى . وأنثنى أى أعود واغراه بضراه به وحضه عليه يقول : أزورهم والليل لى شفيع لانه يسترنى عنهم وانصرف وكأن الصبح يغرى بى اذ يشهرنى ويدلهم على مكانى وهذا البيت كما ترى من معجزات المتنبي

(٦) يقول : ان هؤلاء الاعراب قد وافقوا الوحش فى سكنى البرارى وخالفوها

جِيرَانُهَا وَهُمْ شَرُّ الْجِوَارِ لَهَا ... وَصَحْبُهَا وَهُمُ شَرُّ الأَصَاحِيبِ (١)

فُؤَادُ كُلِّ مُحِبٍّ فِى بُيُوتِهِمِ ... وَمَالُ كُلِّ أَخِيذِ الْمَالِ مَحْرُوبِ (٢)

مَا أَوْجُهُ الْحَضَرِ الْمُسْتَحْسَنَاتُ بِهِ ... كَأَوْجُهِ الْبَدَوِيَّاتِ الرَّعَابِيبِ (٣)

حُسْنُ الْحَضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطْرِيَةٍ ... وَفِى الْبَدَاوَةِ حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبِ (٤)

أَيْنَ الْمَعِيزُ مِنَ الْآرَامِ نَاظِرَةً ... وَغَيْرَ نَاظِرَةٍ فِى الْحُسْنِ وَالطِّيبِ (٥)

أَفْدِى ظِبَاءَ فَلَاةٍ مَا عَرَفْنَ بِهَا

مَضْغَ الْكَلَامِ وَلَا صَبْغَ الْحَوَاجِيبِ (٦)

فى أن لهم خياما يهدمونها لدى الرحيل وينصبونها لدى الاقامة أما الوحش فلا خيام لها، يريد أنهم ممن يسكنون البادية والمراتع المسارح التى ترتع فيها الوحوش وتسرح والتقويض الهدم والتطنيب شد الخيام بالأطناب (١) يقول: هم جيران الوحوش بيد أنهم يسيؤن جوارها لأنهم يصيدونها ويذبحونها،وقوله وهم شر الجوار أى وجوارهم شر الجوار على حد قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله والاصاحيب جمع أصحاب جمع صحب اسم جمع لصاحب (٢) أخيذ أى مأخوذ والمحروب الذى ذهب كل ماله يقول: ان فيهم الجمال والشجاعة فنساؤهم ينهبن القلوب ورجالهم ينهبون الاموال . وقال التبريزى : يريد أنهم ملكوا قلوب الرجال «أى بالسخاء» وأموال الاعداء

(٣) الرعابيب جمع رعبوبة وهى المرأة الناعمة السمينة يقول: ليست الاوجه المستحسنات بالحضر كأوجه نساء البدو، يفضل نساء البدو على نساء الحضر وبين السبب فى البيت التالى

(٤) الحضارة بكسر الحاء أو فتحها الاقامة بالحضر والبداوة الاقامة فى البدو والتطرية المعالجة تقول طرى الطيب خلطه بالافاويه وطرى الطعام خلطه بالتوابل يقول : ان حسن أهل الحضارة متكلف مجلوب بالحيلة والعلاج أما حسن البدويات فهو خلقة، لا يعرفن التكلف والحسن المجلوب بالاحتيال (٥) المعيز اسم لجماعة المعز كالكليب والعبيد، والآرام الظباء الخالصة البياض ، شبه نساء الحضر بالمعيز ونساء البدو بالآرام يقول : أين تقع المعيز من الظباء فى الحسن والطيب أكانت مقبلة أم معرضة فالظباء تفضلها عيونا وغير عيون (٦) يريد بظباء الفلاة البدويات نساء الاعاريب يقول : هن فصيحات مبينات لا يمضغن كلامهن عنجا وتخنثا كنساء الحضر، ولا يصبغن

وَلَا بَرَزْنَ مِنَ الْحَمَّامِ مَائِلَةً ... أَوْرَاكُهُنَّ صَقِيلَاتِ الْعَرَاقِيبِ (١)

وَمِنْ هَوَى كُلِّ مَنْ لَبِسَتْ مُمَوِّهَةً ... تَرَكْتُ لَوْنَ مَشِيبِي غَيْرَ مَخْضُوبِ (٢)

وَمِنْ هَوَى الصِّدْقِ فِي قَوْلِي وَعَادَتِهِ

رَغِبْتُ عَنْ شَعَرٍ فِي الرَّأْسِ مَكْذُوبِ (٣)

لَيْتَ الْحَوَادِثَ بَاعَتْنِي الَّذِي أَخَذَتْ ... مِنِّي بِحِلْمِي الَّذِي أَعْطَتْ وَتَجْرِيبِي (٤)

فَمَا الْحَدَاثَةُ مِنْ حِلْمٍ بِنَافِعَةٍ ... قَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ فِي الشُّبَّانِ وَالشِّيبِ (٥)

حواجبهن طلبا للزينة مثلهن ، والحواجيب جمع حاجب أشبع الكسرة فتولد عنها ياء كما قال

* نَفْيَ الدراهيم تَنقادُ الصيارِيف *

(١) مائلة شاخصة ويروى مائلة والاولى أظهر والعراقيب جمع عرقوب وهو العصب الغليظ فوق عقب الرجل يقول : وليست البدويات كالحضريات يجابن حسنهن بأن يدخلن الحمام فيخرجن منه وقد شددن خصورهن فشخصت أوراكهن من تحتها ، وصقلن عراقيبهن (٢) أصل التمويه الطلى بماء الذهب أو الفضة ثم استعمل بمعنى التدليس والتزوير وقوله من هوى متعلق بقوله تركت بعد. يقول : ومن أجل أنى لا أحب إلا كل امرأة لا تموه جمالها تركت بياض شيبى دون خضاب ، أى لم أموه شيبى كما لم يموهن حسنهن

(٣) رغب عن الشيء زهد فيه يقول : ومن أجل أنى أحب الصدق وقد تعودته لم أجعل شعر رأسى مكذوبا أى مسودا بالخضاب اذ هو غير لونه فقوله وعادته أي عادة الصدق وقوله ومن هوى متعلق برغبت ويروى بدل قوله عن شعر فى الرأس عن شعر فى الوجه (٤) يقول : ان حدثان الدهر ونوائبه أخذت منى الشباب وأعطتنى الحلم والتجاريب فوددت لو أنها باعت ما أخذت منى بما أعطت أى ردت على الشباب واستردت الحلم . والحلم العقل والاناة، وهذا من قول على بن جبلة

وَأَرَى اللَّيَالِيَ مَاطَوَتْ مِنْ قُوَّتِي ... زَادَتْهُ فِي عَقْلِي وَفِي أَفْهَامِي

وقول ابن المعتز

وَمَا يُنْتَقَصْ مِن شَبَابِ الرِّجَالِ ... يُزَدْ فِي نُهَاهُ وَأَلْبَابِهَا

(٥) الحداثة حداثة السن والشباب . يريد أنه كان حليما قبل تحليم الحوادث اياه

تَرَعْرَعَ المَلِكُ الأُسْتَاذُ مُكْتَهِلاً قَبْلَ اكْتِهَالٍ أَدِيباً قَبْلَ تَأْدِيب (١)
مُجَرَّبًا فَهِمًا مِنْ قَبْلِ تَجْرِبَةٍ مُهَذَّبًا كَرَمًا مِنْ غَيْرِ تَهْذِيب (٢)
حَتَّى أَصَابَ مِنَ الدُّنْيَا نِهَايَتَهَا وَهَمُّهُ فِي ابْتِدَاآتٍ وَتَشْبِيب (٣)
يُدَبِّرُ المُلْكَ مِنْ مِصْرٍ إِلَى عَدَنٍ إِلَى العِرَاقِ فَأَرْضِ الرُّومِ فَالنُّوبِ (٤)
إِذَا أَتَتْهَا الرِّيَاحُ النُّكْبُ مِنْ بَلَدٍ فَمَا تَهُبُّ بِهَا إِلَّا بِتَرْتِيبِ (٥)

يقول : ان حداثة السن لا تحول دون الحلم فالمرء قد يكون حليما فى الشباب كما يكون حليما فى المشيب كما قال ابو تمام

حَلَّمَتْنِي زَعَمْتُمُ وَأَرَانِي قبل هـذا التَّحْلِيمِ كنتُ حليما

(١) ترعرع الصبى نشأ وشب.والاستاذ لقب كافور وهي كلمة فارسية من معانيها المعلم والمدبر والعالم. يريد المتنبى أن يؤكد بهذا البيت معنى البيت السابق وفيه من البديع حسن التخلص يقول : ان كافورانشأ على الاكتهال أى حلم الكهول قبل أن يكتهل سنا ، وعلى الادب قبل أن يؤدب، أى أنه ترعرع على ذلك طبعا دون أن يفيده من كر الغداه ومر العشى وهذا دليل على أن الحداثة ليست بمانعة من حلم

(٢) قال صاحب اللسان : رجل مجرب كمضرس ـــ بالفتح ـــ جرب فى الامور وعرف ما عنده كأن الامور جربته وأحكمته ، ومجرب ـــ بالكسر ـــ عرف الامور وجربها ثم قال : الا أن العرب تكلمت به بالفتح . يقول المتنبى : نشأ كافور مجربا قبل أن يجرب، لما جبل عليه من الفهم،مهذبا قبل أن يهذب، بما طبع عليه من الكرم

(٣) التشبيب فى الاصل ذكر أيام الشباب وهو يكون فى ابتداء القصائد ثم سمى كل ابتداء تشبيبا . يقول : ان كافورا أصاب الغاية القصوى من دنياه وهو الملك ومع ذلك لا تزال همته فى بداية أمرها أى أنه بعيد مرتقى الهمة (٤) يريد فسحة رقعة ملكه وترامى حدودها الى هذه الاطراف لا أنها داخلة فى مملكته لان كافورا لم يكن من ملكه عدن ولا العراق ولا أرض الروم « الاناضول » ولا النوب وانما مملكته تحد بهذه البلاد اذ كانت مصر والحجاز والشام حسب

(٥) يقول : انه لهيبته وعظمه فى النفوس وغيرها اذا هبت الرياح الهوج فى بلاده هبت مستوية رزينة مرتبة اعظاما له واجلالا ، فالرياح مثل أراد به المبالغة فى اعظام الناس اياه وتنكبهم التمرد عليه حتى لو كانت الرياح تعقل لاستوت واطردت مهابة له

وَلا تُجَاوِزُهَا شَمْسٌ إِذَا شَرَقَتْ إِلَّا وَمِنْهُ لَهَا إِذْنٌ بِتَغْرِيبِ (١)

يُصَرِّفُ الْأَمْرَ فِيهَا طِينُ خَاتَمِهِ وَلَوْ تَطَلَّسَ مِنْهُ كُلُّ مَكْتُوبِ (٢)

يَحُطُّ كُلَّ طَوِيلِ الرُّمْحِ حَامِلُهُ مِنْ سَرْجِ كُلِّ طَوِيلِ الْبَاعِ يَعْبُوبِ (٣)

كَأَنَّ كُلَّ سُؤَالٍ فِي مَسَامِعِهِ قَمِيصُ يُوسُفَ فِي أَجْفَانِ يَعْقُوبِ (٤)

إِذَا غَزَتْهُ أَعَادِيهِ بِمَسْئَلَةٍ فَقَدْ غَزَتْهُ بِجَيْشٍ غَيْرِ مَغْلُوبِ (٥)

أَوْ حَارَبَتْهُ فَمَا تَنْجُو بِتَقْدِمَةٍ مِمَّا أَرَادَ وَلَا تَنْجُو بِتَجْبِيبِ (٦)

أَضْرَتْ شَجَاعَتُهُ أَقْصَى كَتَائِبِهِ عَلَى الْحِمَامِ فَمَا مَوْتٌ بِمَرْهُوبِ (٧)

فالضمير فى انتها يعود على الملك بمعنى المملكة والنكب جمع نكباء وهى الريح تهب فى غير استواء (١) هذا البيت فى معنى الذى سبقه يقول : ولا تغرب الشمس عن مملكته بعد أن تشرق إلا باذنه وكل هذا مبالغة (٢) طلس الكتاب طمسه ومحاه كطرسه يقول : ان امره ممتثل مطاع فى بلاده حتى لو كتب مكتوبا بأمر من الامور وختم مكتوبه هذا بالطين ـ كما هى عادتهم إذ ذاك ـ ثم امحى كل ما كتب ولم يبق إلا الخاتم امتثل أمره بمجرد رؤية الخاتم اعظاما واجلالا (٣) يحط ينزل ويضع واليعبوب الفرس السريع الجرى يقول : ان حامل خاتم كافور ينزل الفارس البطل الطويل الرمح من سرج الفرس السريع الجرى أى أن الفارس إذا رأى خاتم كافور سجد له اعظاما فنزل عن فرسه والمعنى أنه نافذ الامر مطاع (٤) يقول : أنه يسر ويبتهج إذا سمع سؤال سائل ـ يستجديه ـ ابتهاج يعقوب حين رأى قميص يوسف وذلك لكرمه وجوده (٥) يقول : أنه لايرد السائل أيا كان ، فلو صمدت اليه أعداؤه سائلة مستجدية نالت مطلوبها فكأنما غزته بجيش لايغلب (٦) التقدمة التقدم والتجبيب الهرب يقول : وإذا قصده أعداؤه محاربين لم ينجوا من ارادته فيهم فلا يفيدهم الاقدام لانهم لايقدرون عليه ولا الهرب لانه يدركهم لامحالة (٧) أضرت من الضراوة وهي الدربة والعادة تقول ضرى فلان بكذا لزمه واعتاده وضراه بكذا ألهجه به وفى الاثر أن للحم ضراوة كضراوة الخمر أى أن له عادة طلابة لأكله كعادة الخمر مع شاربها ويريد بأقصى كتائبه الجبناء الذين لايشهدون القتال والحمام الموت يقول : إن شجاعته عودت الجبناء من رجاله لقاء

فالُوا هَجَرْتَ إِلَيْهِ الْغَيْثَ قُلْتُ لَهُمْ ... إِلَى غُيُوثٍ يَدَيْهِ وَالشَّآبِيبِ (١)

إِلَى الَّذِي تَهَبُ الدُّوْلَاتِ رَاحَتُهُ ... وَلَا يَمُنُّ عَلَى آثَارِ مَوْهُوبِ (٢)

وَلَا يَرُوعُ بِمَغْدُورٍ بِهِ أَحَدًا ... وَلَا يُفَزِّعُ مَوْفُوراً بِمَنْكُوبِ (٣)

بَلَى يَرُوعُ بِذِي جَيْشٍ يُجَدِّلُهُ ... ذَا مِثْلِهِ فِي أَحَمِّ النَّقْعِ غِرْبِيبِ (٤)

وَجَدْتُ أَنْفَعَ مَالٍ كُنْتُ أَذْخَرُهُ ... مَا فِي السَّوَابِقِ مِنْ جَرْيٍ وَتَقْرِيبِ (٥)

الموت وجرأتهم عليه فليس الموت مرهوبا عندهم (١) الشؤبوب الدفعة الشديدة من المطر وال فى الشآبيب تقوم مقام الضمير أى الى غيوث يديه وشآبيبهما - يعرض المتنبى — فيما يظهر — بسيف الدولة يقول : يلومنى الناس على هجرى الغيث — يعنى سيف الدولة — وهم واهمون فى هذا اللوم لانى تركت غيثا الى غيوث أى أننى فارقت كريما الى من هو أكرم . . . وقال ابن فورجه : أراد أن مصر لاتمطر فيقول : لامنى الناس فى هجرى بلاد الغيث فقلت تعوضت عنها غيوث يديه . وهـذا تعسف من ابن فورجه بدليل البيت التالى (٢) يقول : إنى هجرت الى من يعطى العطاء الجزيل ويهب الهبات الخطيرة ولا يتبع هبته بالمن، وهذا تعريض بين بسيف الدولة

(٣) راعه خوفه وأفزعه وبه صلة مغدور والموفور الذى لم يصب فى ماله ولم يؤخذ منه شىء والمنكوب ضده يقول : أنه لايغدر بأحد كى يروع به غيره ولا ينكب أحداً فيتحيفه أو يسلب ماله ليفزع به الموفور الذى لم ينكب

(٤) يقول : لايغدر بأحد « إلى آخر البيت السابق » وانما يروع صاحب جيش بصاحب جيش آخر يصرعه على الارض، أى ينكل بصاحب جيش ليعتبر به صاحب جيش آخر، وهو — أى كافور — فى جيش أسود الغبار قد علاه سواد الحديد . وبلى حرف جواب تختص بالنفى وتفيد ابطاله ويجدله أى يصرعه على الجدالة وهى الارض وجملة يجدله صفة لذي جيش وذا مثله مفعول يروع أى يروع ذا جيش مثل جيشه وقوله فى أحم أى فى جيش أحم النقع أى أسود الغبار والغربيب الشديد السواد ومعنى جيش غربيب أسود الحديد (٥) يقول : انى وجدت ما فى الخيل من عدو وجرى أنفع الاشياء التى ادخرتها لانها حملتنى الى كافور وأخرجتنى من بين الغادرين بى كما بين ذلك فى البيت التالى . فالسوابق الخيل والتقريب ضرب من العدو

لَمَّا رَأَيْنَ صُرُوفَ الدَّهْرِ تَغْدُرُ بِي وَفَيْنَ لِي وَوَفَتْ صُمُّ الأَنَابِيبِ (١)

فُزْنَ المَهَالِكَ حَتَّى قَالَ قَائِلُهَا مَاذَا لَقِينَا مِنَ الْجُرْدِ السَّرَاحِيبِ (٢)

تَهْوِي بِمُنْجَرِدٍ لَيْسَتْ مَذَاهِبُهُ لِلُبْسِ ثَوْبٍ وَمَأْكُولٍ وَمَشْرُوبِ (٣)

يَرَى النُّجُومَ بِعَيْنَيْ مَنْ يُحَاوِلُهَا كَأَنَّهَا سَلَبٌ فِي عَيْنِ مَسْلُوبِ (٤)

(١) يقول : لما رأت الخيل حدثان الدهر ونوبه تغدر بى — يريد الناس — وفت لى بحملها اياى عن موطن الغدر إلى كافور وكذلك وفت لى الرماح لانى استظهرت بها على الوصول الى مصر . فصم الانابيب الرماح والصم الصلاب والانابيب جمع أنبوب وهو ما بين العقدتين من الرمح وما شاكله

(٢) يقول : ان المفاوز ضجت من سرعة خيلى ونجاتها وقوتها، أى أن خيلنا قطعت المفاوز وفاتتها حتى لو كان لها — أى للمفاوز — قائل لقال ماذا لقينا من هذه الخيل اذ جابتنا بسرعة وذللت الصعب منا ونجت من عوائقنا . فالمراد بالمهالك المفاوز والجرد القصيرة الشعر وذلك يحمد فى الخيل والسراحيب جمع سرحوب وهو الفرس الطويل

(٣) تهوى أى تسرع وقوله بمنجرد يعنى نفسه والمنجرد الجاد في الامور الماضى فيها لا يرده شىء وقوله ليست مذاهبه أى ليست رحلاته للبس ثوب الخ يقول : ان هذه الخيل تسرع برجل جاد ليست أسفاره طلابا لمثل كسوة أو طعام وانما طلبته المعالى . وقديما تعاور الشعراء هذا المعنى ، قال امرؤ القيس

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي — وَلَمْ أَطْلُبْ — قَلِيلٌ مِنَ المَالِ

وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ المَجْدَ المُؤَثَّلَ أَمْثَالِي

وقال حاتم الطائى

لَحَا اللهُ صُعْلُوكًا مُنَاهُ وَهَمُّهُ مِنَ الدَّهْرِ أَنْ يَلْقَى لَبُوسًا وَمَطْعَمًا

وقال آخر

وليس فتى الفِتْيَانِ مَن راح واغْتَدَى لِشُرْبِ صَبُوحٍ أَوْ لِشُرْبِ غَبُوقِ

ولكن فتى الفتيانِ مَنْ رَاحَ وَاغْتَدَى لِضَرِّ عَدُوٍّ أَوْ لِنَفْعِ صَدِيقِ

(٤) السلب الشىء المسلوب . يريد أنه بعيد مرتقى الهمة يقول : انه لطموحه وبعد همته يطمع فى ادراك النجوم فهو ينظر اليها بعين من يحاول تناولها حتى لكأنها شىء قد سلب منه فلا يستريح أو يحصل عليه شأن المسلوب لاتطيب نفسه أو يرجع اليه

حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى نَفْسٍ مُحَجَّبَةٍ تَلْقَى النُّفُوسَ بِفَضْلٍ غَيْرِ مَحْجُوبِ (١)

فِى جِسْمِ أَرْوَعَ صَافِى الْعَقْلِ تُضْحِكُهُ

خَلَائِقُ النَّاسِ إِضْحَاكَ الْأَعَاجِيبِ (٢)

فَالْحَمْدُ قَبْلُ لَهُ وَالْحَمْدُ بَعْدُ لَهَا وَلِإِدْلَاجِى وَتَأْوِيبِى (٣)

وَكَيْفَ أَكْفُرُ يَا كَافُورُ نِعْمَتَهَا وَقَدْ بَاغْنَاكَ بِى يَا كُلَّ مَطْلُوبِى

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْغَانِى بِتَسْمِيَةٍ

فِى الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ عَنْ وَصْفٍ وَتَلْقِيبِ (٤)

ما سلب منه (١) يقول : حتى وصلت الى ملك محجب — لان الملوك محجبون لايبتذلون أنفسهم للناس — بيد أنه وان كان محجبا فان نواله دان قريب فمن طلبه غير محجوب عنه. وما أبدع قول أبى تمام

لَيْسَ الْحِجَابُ بِمُقْصٍ عَنْكَ لِى أَمَلاً إِنَّ السَّمَاءَ تُرَجَّى حِينَ تَحْتَجِبُ

وقبله يقول مسلم :

كَذَلِكَ الْغَيْثُ يُرْجَى فِى تَحَجُّبِهِ حَتَّى يُرَى مُسْفِرًا عَنْ وَابِلِ الْمَطَرِ

(٢) فى جسم صفة لنفس فى البيت السابق أو حال منها ، والاروع هنا الشهم الذكى الفؤاد والخلائق الاخلاق يقول : انه اذا نظر الى أخلاق الناس وما هى عليه من الخسة والدناءة ضحك منها هزؤا واستصغاراً لانه أسمى منهم نفسا وعقلا

(٣) له أى لكافوروها أى للخيل والادلاج سير أول الليل والتأويب سير عامة النهار يقول : انى أحمدك وأحمد خيلى ورماحى وادلاجى وتأويبى اذ بلغتنى اليك كما ذكر فى البيت التالى (٤) الغانى المستغنى يقول : أنت مشهور الاسم اذا ذكر اسمك عرفت به فلم يحتج معه الى وصف أو ذكر لقب ،وهذا كما يروى أن رؤبة بن العجاج أتى البكرى النسابة فقال من أنت ؟ قال أنا رؤبة بن العجاج فقال قصرت وعرفت فقال رؤبة يفتخر بذلك

وقد رفع العجّاجُ باسْمِى فَادْعُنى باسمى إذا الأنسابُ طالتْ يكْفِنِى

أَنْتَ الحَبِيبُ وَلَكِنِّي أَعُوذُ بِهِ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مَحْبُوبِ (١)

وقال يمدحه في شوال سنة سبع وأربعين وثلاثمائة *

أُغَالِبُ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الهَجْرِ وَالوَصْلُ أَعْجَبُ (٢)

أَمَا تَغْلَطُ الأَيَّامُ فِيَّ بِأَنْ أَرَى بَغِيضًا تُنَائِي أَوْ حَبِيبًا تُقَرِّبُ (٣)

(١) يقول : انى أحبك وأنت حبيب الى وإنى أعوذ بك من أن لا تحبنى ، لأن من نكد الدنيا أن تحب من لا يحبك كما قال القائل :

وَمِنَ الشَّقَاوَةِ أَنْ تُحِـ ـبَّ وَلَا يُحِبَّكَ مَنْ تُحِبُّ

* قالوا ان كافورا كان قد تقدم الى الحجاب وأصحاب الاخبار فكانوا كل يوم يرجفون بأنه قد ولى أبا الطيب ناحية من الصعيد ، وينفذ اليه قوما يعرفونه بذلك فلما كثر ذلك وعلم أن المتنبى لا يثق بكلام سمعه حمل اليه ستمائة دينار ذهبا فقال أبو الطيب هذه القصيدة يمدحه بها (٢) يقول : ان بينى وبين الشوق مغالبة لاجلك والغلبة للشوق اذ هو يغلب صبرى ، وأنى أعجب من هذا الهجر لتراخيه وطوله على أن الوصل لو وافقنا كان أعجب منه لان من شيم الايام التفريق (٣) يقول : ان الدهر مولع بتقريب من أبغضه وابعاد من أحبه ، أفلا يغلط مرة فيبعد البغيض ويدنى الحبيب ؟ وجعل ذلك غلطا من الدهر لانه خلاف ما يأتى به الدهر وأصل هذا المعنى من قول مضرس

لَعَمْرُكَ إِنِّي بِالخَلِيلِ الذِي لَهُ عَلَيَّ دَلَالٌ وَاجِبٌ لَمُفَجَّعُ
وَإِنِّي بِالمَوْلَى الذِي لَيْسَ نَافِعِي وَلَا ضَائِرِي فُقْدَانُهُ لَمُتَمَتَّعُ

ويقول الطرماح

يُفَرِّقُ مِنَّا مَنْ نُحِبُّ اجْتِمَاعَه وَيَجْمَعُ مِنَّا الدَّهْرُ بَيْنَ الضَّغَائِنِ

ويقول الآخر :

عَجِبْتُ لِتَطْوِيحِ النَّوَى مَنْ أُحِبُّهُ وَإِدْنَاءِ مَنْ لَا يَسْتَلِذُّ لَهُ قُرْبُ

وقال المحدث

وَمَنْ أَهْوَاهُ يُبْغِضُنِي عِنَادًا وَمَنْ أَشْنَاهُ شِصٌّ فِي لَهَاتِي

وَلِلّٰهِ سَيْرِي مَا أَقَلَّ تَئِيَّةً ... عَشِيَّةَ شَرْقِيَّ الْحَدَالَى وَغُرَّبُ (١)

عَشِيَّةَ أَحْفَى النَّاسِ بِي مَنْ جَفَوْتُهُ ... وَأَهْدَى الطَّرِيقَيْنِ الَّتِي أَتَجَنَّبُ (٢)

وَكَمْ لِظَلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ ... تُخَبِّرُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ (٣)

وَقَالَكَ رَدَى الْأَعْدَاءِ تَسْرِي إِلَيْهِمِ ... وَزَارَكَ فِيهِ ذُو الدَّلَالِ الْمُحَجَّبُ (٤)

وَيَوْمٍ كَلَيْلِ الْعَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ ... أُرَاقِبُ فِيهِ الشَّمْسَ أَيَّانَ تَغْرُبُ (٥)

وَعَيْنِي إِلَى أُذْنَيْ أَغَرَّ كَأَنَّهُ ... مِنَ اللَّيْلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوْكَبُ (٦)

---

(١) التئية التلبث والتمكث قال الشاعر

قِفْ بِالدِّيَارِ وُقُوفَ زَائِرْ ... وَتَأَيَّ إِنَّكَ غَيْرُ صَاغِرْ

والحدالى موضع بالشام وغرب جبل هناك معروف والحدالى مبتدأ وشرقى ظرف خبره وأصله شرقي بثلاث ياءآت فحذفت الثانية من ياء النسبة للتخفيف . يتعجب من سرعة سيره ويقول : ما كان أسرع سيرى وأقل لبثه عشية كان هذان المكانان على جانبى الشرقى يعنى عند رحيله من حلب (٢) يريد بأحفى الناس سيف الدولة . وعشية بدل من عشية فى البيت السابق ، وأحفى أفعل تفضيل من حفى به حفاوة اذا بالغ في إكرامه والطافه يقول : ان سيف الدولة كان أحفى الناس بى فجفوته وغادرته وكانت أهدى طريقى هى التى أعود فيها اليه فعدلت عنها الى مصر (٣) المانوية أصحاب مانى القائل بالنور والظلمة وأن الخير كله من النور والشر كله من الظلمة يقول : كم للظلمة من نعمة عندك تبين أن المانوية الذين ينسبون الشر اليها كاذبون وليس الامر على مازعموا وقد بين تلك النعمة فى البيت التالى (٤) يقول : ان ظلام الليل وقاك غائلة الاعداء وأنت تسير فيما بينهم ليلا فلا يبصرونك وزارك فيه المحبوب آمنا لم يخش الرقيب اذ حجبه عن عيونه . فالردى الهلاك والسرى السير ليلا ثم ذكر شر النور فى البيت التالى

(٥) يقول : ورب يوم طال على طول ليل العاشقين استترت فيه خوفا من الاعداء أراقب غروب الشمس لأخرج من الكمين وآمن على نفسى . فالواو واو رب وكمنته أى كمنت فيه وايان بمعنى متى (٦) يقول : انه كان فى مسيره يراعى اذنى فرسه يحفظ نفسه بهما وذلك أن الفرس إذا أحس شيأ من بعيد نصب أذنيه حياله فيعلم الفارس أنه أبصر شيأ . ثم وصف فرسه فقال : كأنه فى سواده قطعة من الليل وكان الغرة

لَهُ فَضْلَةٌ عَنْ جِسْمِهِ فِي إِهَابِهِ ... تَجِيءُ عَلَى صَدْرٍ رَحِيبٍ وَتَذْهَبُ (١)

شَقَقْتُ بِهِ الظَّلْمَاءَ أَدْنِي عِنَانَهُ ... فَيَطْغَى وَأُرْخِيهِ مِرَاراً فَيَلْعَبُ (٢)

وَأَصْرَعُ أَيَّ الْوَحْشِ قَفَّيْتُهُ بِهِ ... وَأَنْزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَبُ (٣)

وَمَا الْخَيْلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلَةٌ ... وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنِ مَنْ لَا يُجَرِّبُ (٤)

إِذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شِيَاتِهَا ... وَأَعْضَائِهَا فَالْحُسْنُ عَنْكَ مُغَيَّبُ (٥)

لَحَا اللهُ ذِي الدُّنْيَا مُنَاخاً لِرَاكِبٍ ... فَكُلُّ بَعِيدِ الْهَمِّ فِيهَا مُعَذَّبُ (٦)

فى وجهه كوكب من كواكب الليل قد بقى بين عينيه وهذا من قول ابن دواد

وَلَهَا جَبْهَةٌ تَلَأْلَأُ كَالشَّمْـ ... ـسِ رَمَى أَضَاءَتْ وَغُمَّ عَنْهَا النُّجُومُ

والغرة البياض في جبهة الفرس

(١) الاهاب الجلد والرحيب الواسع يقول : ان هذا الفرس رحيب الصدر رحيب الاهاب ومن ثم كان واسع الخطو سريع الجرى اذ لو كان ضيق الصدر كان خطوه قصيراً وكذلك اذا كان ضيق الجلد ضاق عن مد يديه ولهذا ترى الحمار يضيق اهابه عن مد يديه واذن فى أهاب هذا الفرس فضلة عن جسمه تجىء وتذهب على صدره الرحيب (٢) يقول : شققت ظلام الليل بهذا الفرس فاذا أدنيت لجامه إلى بجذبه وثب وطغى مرحا ونشاطا واذا أرخيت لجامه لعب برأسه (٣) قفيته اتبعته يقول : اذا طردت به وحشا لحقه فصرعته — قتلته — واذا نزلت عنه بعد الصيد كان مثله حين أركبه فلم يدركه لغب ولم ينقص من نشاطه شيء كما قال ابن المعتز

تَحَالُ آخِرَهُ فِي الشَّدِّ أَوَّلَهُ ... وَفِيهِ عَدْوٌ وَرَاءَ السَّبْقِ مَذْخُورُ

(٤) يقول : ان الخيل بمثابة الصديق قليلة لدى التجربة والامتحان كثيرة فى عين من لم يجرب فبالتجربة تعرف الكوادن من السوابق كما أن الصديق يعرف بالتجربة ما عنده من صدق الود أو مذقه، وحاصل المعنى أن الجياد من الخيل قليلة كما أن الصديق الذى يستحق الصداقة قليل (٥) الشيات الالوان يقول : ان مزايا الخيل فيما وراء ألوانها من جريها وعدوها وطباعها فانك لم تر منها الا حسن ألوانها وأعضائها فانك لم تر حسنها ومزاياها (٦) لحاه الله دعاء عليه اى قبحه ولعنه وأصله من لحوت العود اذا

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً ... فَلَا أَشْتَكِي فِيهَا وَلَا أَتَعَتَّبُ (١)

وَبِي مَا يَذُودُ الشِّعْرَ عَنِّي أَقَلُّهُ ... وَلَكِنَّ قَلْبِي يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ قُلَّبُ (٢)

وَأَخْلَاقُ كَافُورٍ إِذَا شِئْتُ مَدْحَهُ ... وَإِنْ لَمْ أَشَأْ تُمْلِي عَلَيَّ وَأَكْتُبُ (٣)

إِذَا تَرَكَ الْإِنْسَانُ أَهْلًا وَرَاءَهُ ... وَيَمَّمَ كَافُورًا فَمَا يَتَغَرَّبُ (٤)

فَتًى يَمْلَأُ الْأَفْعَالَ رَأْيًا وَحِكْمَةً ... وَنَادِرَةً أَحْيَانَ يَرْضَى وَيَغْضَبُ (٥)

قشرته ومناخا نصب على التمييز ،يذم الدنيا ويدعو عليها،يقول : بئس المنزل الدنيا فان من كان بعيدمرتقى الهمة كان أشد نصبا فيها...

(١) يقول : ليتنى أعلم هل تخلو لى قصيدة من شكاية الدهر وعتابه بأن يبلغنى المراد وأنال منه ما أطلب فأترك الشكاية (٢) يذود يدفع ويطرد وأقله فاعل يذود وفلان قلب حول بصير عارف ذو حيلة قلب الامور يقول : ان بى من هموم الدهر وما انصب على من حدثانه ونوبه ما أقله يمنع الشعر ويلهى الخاطر عنه ولكن قلبى حسن التقليب للامور فلا يضيق بنوازل الدهر ولا تخمد معها خطراته ، وقوله يابنة القوم فان العرب من عادتهم أن يخاطبوا النساء فسمت سمتهم وانما قال يابنة القوم اشارة الى كثرة أهلها وقال ابن جنى:هو كناية عن قولهم يابنةالكرام

(٣) يقول : أن خلائق كافور من الظهور والنباهة بحيث تنبىء عنه فما هو الا أن تملى على فأكتب ولا احتاج الى جلب معنى أو جلب منقبة فأمدحه شئت أو أبيت اذ لم آت بشىء من عندى وانما هى أخلاقه تملى على (٤) يقول : اذا اغترب الانسان وفارق أهلهوصمد الى كافور انسه بعطاياه وتفقده اياه حتى كأنه بين أهله لم يفارقهم وفى هذا المعنى يقول الاول

نزلْتُ عَلَى آل الْمُهَلَّبِ شَاتِياً ... غَرِيباً عَنِ الْأَوْطَانِ فِي زَمَنِ الْمَحْلِ

فَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُم وَافْتِقَادُهُم ... وَإِلْطَافُهُم حَتَّى حَسِبْتُهُمُ أَهْلِي

ويقول أبو تمام

هُمُ رَهْطُ مَنْ أَمْسَى بَعِيداً رَهْطُهُ ... وَبَنُو أَبِي رَجُلٍ بِغَيْرِ بَنِي أَبِ

(٥) يقول : ان أفعاله مفعمة عقلا وحكمة ونوادر غريبة ترى ذلك له فى حالى رضاه

إِذَا ضَرَبَتْ فِى الْحَرْبِ بِالسَّيْفِ كَفُّهُ
تَبَيَّنْتَ أَنَّ السَّيْفَ بِالْكَفِّ يَضْرِبُ (١)

تَزِيدُ عَطَايَاهُ عَلَى اللَّبْثِ كَثْرَةً وَتَلْبَثُ أَمْوَاهُ السَّحَابِ فَتَنْضُبُ (٢)

أَبَا الْمِسْكِ هَلْ فِى الْكَأْسِ فَضْلٌ أَنَالُهُ فَإِنِّى أُغَنَّى مُنْذُ حِينٍ وَتَشْرَبُ (٣)

وَهَبْتَ عَلَى مِقْدَارِ كَفَّيْ زَمَانِنَا وَنَفْسِى عَلَى مِقْدَارِ كَفَّيْكَ تَطْلُبُ (٤)

إِذَا لَمْ تَنُطْ بِى ضَيْعَةً أَوْ وِلَايَةً جُودُكَ يَكْسُونِى وَشُغْلُكَ يَسْلُبُ (٥)

يُضَاحِكُ فِى ذَا الْعِيدِ كُلَّ حَبِيبِهِ حِذَارِى وَأَبْكِى مَنْ أُحِبُّ وَأَنْدُبُ (٦)

وغضبه لايخلو منها فى حال . والنادرة الشىء النادر الغريب ، ورواها ابن جنى بادرة أى بديهة (١) يقول : اذا نظرت الى أثر سيفه فى الحرب علمت أن سيفه انما يستظهر بكفه على القطع لا أن كفه يستظهر بالسيف لان السيف الماضى فى يد الضعيف لايؤثر شيأ كما قال البحترى

فلا تُعْلِيَنْ بِالسَّيْفِ كَلَّ غَلَايَةٍ لِيَمْضِى فَإِنَّ الْكَفَّ لَا السَّيْفَ يَقْطَعُ

(٢) يقول : أن جوده أفضل من جود السحاب لان عطاياه اذا مكثت عندك لم تنضب لانه يعطى الجزيل الذى لاينفد أو لانه يوالى هباته ويمدها بغيرها أما ماء السحاب فهو اذا مكث فى الارض وأقام حينا نضب وذهب فى الارض وجف مكانه

(٣) يعرض المتنبى بتقاضى ما يؤمل يقول : انى أغنى منذ حين، أى اطربك بمديحى وأنت تشرب على غنائى ، أى تلذ سماع مديحى، ومع ذلك تحرمنى الشراب ، فهل فى الكأس فضلة أشربها؟ أى هلا أعطيتنى مايتوقعه مثلى من مثلك ؟ يعرض بطلب ولاية كما صرح بذلك بعد (٤) يقول: انك اذ تعطينى تعطينى على مايليق بالزمان وانا انما أطلب ما توجبه همتك ويقتضيه كرمك (٥) ناط به كذا أسنده اليه والضيعة ما نسميه الآن « عزبة » يقول : اذا لم تقطعنى ضيعة أو تفوض الى ولاية فان ما تكسونى اياه بجودك أى ما يحدثه جودك من الآمال تسلبنى اياه باشتغالك عنى (٦) يقول : أرى كل الناس فى هذا العيد فرحين مبتهجين يضاحكون من يحبون أمامى أما أنا فعلى العكس منهم أبكى من أحب وأندبه — كما يندب الميت — لانه بعيد عنى ، يقصد المتنبى أن يغرى

أَحِنُّ إِلَى أَهْلِى وَأَهْوَى لِقَاءَهُمْ ... وَأَيْنَ مِنَ الْمُشْتَاقِ عَنْقَاءُ مُغْرِبُ (١)

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَبُو الْمِسْكِ أَوْهُمُ ... فَإِنَّكَ أَحْلَى فِى فُؤَادِي وَأَعْذَبُ (٢)

وَكُلُّ امْرِئٍ يُولِى الْجَمِيلَ مُحَبَّبٌ ... وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيِّبُ (٣)

يُرِيدُ بِكَ الْحُسَّادُ مَا اللهُ دَافِعٌ ... وَسُمْرُ الْعَوَالِى وَالْحَدِيدُ الْمُذَرَّبُ (٤)

الاسود باعطائه ما يطلب لقاء هذه الأعلاق التى يلاقيها من جراء اغترابه

(١) العنقاء المغرب قيل العقاب وقيل طائر ضخم ليس بالعقاب وقيل كلمة لا أصل لها كالغول وقال ابن الكلبى : كان لاهل الرس نبى يقال له حنظلة بن صفوان وكان بأرضهم جبل يقال له دمخ مصعده فى السماء ميل فكان ينتابه طائرة كأعظم مايكون، لها عنق طويل وكانت تقع منقضة فكانت تنقض على الطير فتأكلها فجاعت وانقضت على صبى فذهبت به فسميت عنقاء مغربا لانها تغرب بكل ما أخذته ثم انقضت على جارية « وليدة » ترعرعت وضمتها الى جناحين لها صغيرين سوى جناحيها الكبيرين ثم طارت بها فشكوا ذلك إلى نبيهم فدعا عليها فسلط الله عليها آفة فهلكت فضربتها العرب مثلا فى أشعارها يقولون ألوت به العنقاء المغرب وطارت به العنقاء يريدون هلاكه أو ذهوبه الى حيث لا يرجع قال

ولولا سليمان الخليفةُ حلّقت ... به من يد الحجّاج عنقاء مُغْرِبُ

ومغرب من أغرب فى البلاد ذهب وأبعد . يذكر المتنبى تشوقه الى أهله وبعد ما بينه وبينهم بحيث لا يرجو لقاءهم (٢) يقول : انى أؤثر لقاءك على لقائهم حين لايتيسر لقاؤكما معا لانك أحب الى منهم (٣) تقول أولاه جميلا صنعه اليه يقول : انما أحببتك واثرتك على أهلى لما أسديت الى من الجميل ، وطابت لى الاقامة بساحتك لما لقيت فيها من العز كما قال البحترى

وأحبُّ أوطان البلادِ إلى الفَتَى ... أرْضٌ يُنالُ بها كريمَ المَطْلَبِ

(٤) والحديد المذرب ــ أى المحدد ومنه لسان ذرب أى حاد ــ يريد السيوف يقول : ان الحساد يريدون بك السوء فلا ينالون ما يبتغون لان الله يدفعه عنك ثم الرماح والسيوف

وَدُونَ الَّذِى يَبْغُونَ مَا لَوْ تَخَلَّصُوا

إِلَى المَوْتِ مِنْهُ عِشْتَ وَالطِّفْلُ أَشْيَبُ (١)

إِذَا طَلَبُوا جَدْوَاكَ أُعْطُوا وَحُكِّمُوا

وَإِنْ طَلَبُوا الْفَضْلَ الَّذِى فِيكَ خُيِّبُوا (٢)

وَلَوْ جَازَ أَنْ يَحْوُوا عُلاكَ وَهَبْتَهَا وَلَكِنْ مِنَ الأَشْيَاءِ مَالَيْسَ يُوهَبُ (٣)

وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِدًا لِمَنْ بَاتَ فِى نَعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ (٤)

وَأَنْتَ الَّذِى رَبَّيْتَ ذَا المُلْكِ مُرْضَعًا وَلَيْسَ لَهُ أُمٌّ سِوَاكَ وَلاَ أَبُ (٥)

---

(١) يقول : ودون وصول الحساد إلى الذى يبتغون — من التياث الأمر عليك — أهوال أى أهوال من جراء بأسك وبطشك هى أمر عليهم من الموت ولو هم تخلصوا منها إلى الموت لبقيت أنت وشابت أطفالهم لشدة ما يقاسون ، وقد روى الجماعة بدل إلى الموت إلى الشيب وذهبوا فى التأويل مذاهب لاضرورة لذكرها

(٢) يقول : إذا طلبوا عطاياك أعطيتهم وجعلت لهم الحكم فيما يطلبون فينالون كل ما يقترحون،أما اذا حاولوا أن يحصلوا على الفضل الذى اتاكه الله فانهم لايدركونه لانه لاينال بالاكتساب وإنما ذلك شىء آثرك الله به (٣) يقول : لست تؤتى من بخل وشح فلو كانت العلى توهب لوهبتها ولكنها لاتوهب.والاصل فى هذا المعنى قول الأول

وإن يَقْتَسِمْ مالِى بَنِىَّ وَنِسْوَتِى فمن يَقسِموا خُلْقِى الكريمَ ولا فضلى

ولله قول أبى تمام :

فَانْفَحْ لنا من طِيبِ خِيمِكَ نفحَةً إن كانتِ الأخلاقُ مِمَّا يُوهَبُ

(٤) يقول : ان هؤلاء الحاسدين يتقلبون فى نعمائك فما كان ينبغى لهم أن يحسدوك لان أشد الظالمين ظلما من تقلب فى نعمة انسان ثم بات يحسده على تلك النعمة

(٥) ذو الملك هو على بن الاخشيد صاحب مصر الذى رباه كافور بعد أبيه يقول: أنت الذى ربيته وقمت عنه بحفظ ملكه وهو طفل مرضع فكنت له أبا وكنت له أماً

وَكُنْتَ لَهُ لَيْثَ الْعَرِينِ لِشِبْلِهِ وَمَالَكَ إِلَّا الْهِنْدُ وَانِيٌّ مِخْلَبُ (١)

لَقِيتَ الْقَنَا عَنْهُ بِنَفْسٍ كَرِيمَةٍ إِلَى الْمَوْتِ فِي الْهَيْجَا مِنَ الْعَارِ تَهْرُبُ (٢)

وَقَدْ يَتْرُكُ النَّفْسَ الَّتِي لَا تَهَابُهُ وَيَخْتَرِمُ النَّفْسَ الَّتِي تَتَهَيَّبُ (٣)

وَمَا عَدِمَ اللَّاقُوكَ بَأْسًا وَشِدَّةً وَلَكِنَّ مَنْ لَاقَوْا أَشَدُّ وَأَنْجَبُ (٤)

ثَنَاهُمْ وَبَرْقُ الْبِيضِ فِي الْبَيْضِ صَادِقٌ

عَلَيْهِمْ وَبَرْقُ الْبَيْضِ فِي الْبِيضِ خُلَّبُ (٥)

سَلَلْتَ سُيُوفًا عَلَّمَتْ كُلَّ خَاطِبٍ عَلَى كُلِّ عُودٍ كَيْفَ يَدْعُو وَيَخْطُبُ (٦)

---

(١) يقول : وكنت لذى الملك كالاسد لشبله تذود عنه وتحميه بسيفك الذى هو لك بمنزلة المخلب للاسد يحمى أشباله به. والعرين الاجمة والشبل ولد الاسد والهندوانى السيف الهندى والمخلب للسباع وجوارح الطير بمنزلة الظفر للانسان .

(٢) يقول : ذدت عنه الرماح ولقيتها بنفسك دونه حمية له وحفاظا وكرما لانك من الشجاعة والأباء بحيث تهرب فى الحرب من العار الى الموت أى تلقى بنفسك الى التهلكة وتعتام « تختار » ذلك على الهزيمة . فالقنا الرماح والهيجا الحرب تمد وتقصر

(٣) يقول : ان الموت قد يترك الشجاع المقدام الذى لايهابه ولا يباليه ويلقى بنفسه الى التهلكة، وقد يدرك الجبان الهيابة الذى يهاب الموت ويخشاه . ويختترم أى يهلك

(٤) يقول : وان الذين يلاقونك فى الحرب لم يعدموا بأسا وشدة ،أى هم شجعان أشداء بيد أنك ومن معك أشد منهم وأنجب ومن ثم تبطش بهم. ومثل هـذا لزفر ابن الحارث

سقيناهم كأسا سقوناها بمثلها ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

(٥) البيض بالكسر السيوف وبالفتح جمع بيضة وهى الخوذة من حديد يقول :لقد هزمتهم وصرفتهم عنك وسيوفك تقرع خوذهم فكان لكل من السيوف والخوذ برق فى الآخر غير أن برق السيوف فى الخوذ صادق لانه يعقبه سيلان الدم ، أما برق الخوذ فى السيوف فهو خلب كاذب لأنها تبرق ولا تسيل الدم فليس لها أثر (٦) قال ابن جني يقول : لما رأى الناس ما صنعت سيوفك بأعدائك أذعنوا لك بالطاعة فدعوا لك على منابرهم

وَيُغْنِيكَ عَمَّا يَنْسُبُ النَّاسُ أَنَّهُ ... إِلَيْكَ تَنَاهَى المَكْرُمَاتُ وَتُنْسَبُ (١)

وَأَيُّ قَبِيلٍ يَسْتَحِقُّكَ قَدْرُهُ ... مَعَدُّ بْنُ عَدْنَانٍ فِدَاكَ وَيَعْرُبُ (٢)

وَمَا طَرَبِي لَمَّا رَأَيْتُكَ بِدْعَةً ... لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ فَأَطْرَبُ (٣)

وَتَعْذُلُنِي فِيكَ القَوَافِي وَهِمَّتِي ... كَأَنِّي بِمَدْحٍ قَبْلَ مَدْحِكَ مُذْنِبُ (٤)

وَلَكِنَّهُ طَالَ الطَّرِيقُ وَلَمْ أَزَلْ ... أُفَتِّشُ عَنْ هَذَا الكَلَامِ وَيُنْهَبُ (٥)

رغبة ورهبة . والعود هنا المنبر (١) تناهى بحذف احدى التاءين أى تتناهى يقول : أنك في غنى عن الانساب التى يذكرها النسابون لغيرك لان المكرمات تتناهي اليك وتعزى — اذ كنت أصلا لها — اليك وحسبك هذا شرفا يقيك محموده عن النسب وليلحظ أن فى هذا شبه غمز فى كافور قد يكون مقصودا للمتنبى الداهية وقد يكون غير مقصود ومن هنا قال التبريزى : ليس هذا مما يمدح به ولا سيما الملوك لأنه أشبه بنفى النسب عنه . على أن هذا المعنى ينظر الى قول ابن أبى طاهر

خَلَائِقُهُ لِلْمَكْرُمَاتِ مَنَاسِبٌ ... تَنَاهَى إِلَيْهَا كُلُّ مَجْدٍ مُؤَثَّلِ

(٢) يقول : ليس هناك من يستحق أن تنسب اليه لانك فوق كل أحد قال التبريزى : هذا سخرية منه ، وقد كان المتنبى يقول لو قلبت مدحى فيه كان هجاء

(٣) فأطرب عطف على أرجو يقول : ليس طربى عند رؤيتك بدعا لأنى كنت أرجو أن أراك فأطرب على الرجاء قال الواحدى : هذا البيت يشبه الاستهزاء به لانه يقول : طربت على رؤيتك كما يطرب الانسان على رؤية القرد وكل ما يستملح ويضحك منه . . . قال ابن جنى : لما قرأت على أبى الطيب هذا البيت قلت له ما زدت على أن جعلت الرجل أبا زنة — وهى كنية القرد — فضحك (٤) يقول : إن شعرى وهمتى يلومانني على أن لم أقصدك قبل غيرك ولم أقصر مدحى عليك فكأننى أذنبت بمدحى غيرك فكنت أهلا لان ألام. وهذا المعنى من قول أبى تمام

وهلْ كنتُ إلاّ مُذْنِباً يومَ أنْتَحِي ... سواكَ بآمالى فَجِئْتُكَ تَائِباً

(٥) يقول: ولكنه طال طريقى اليك فجبت كثيراً من البلدان حتى وصلت اليك وكنت فى غضون ذلك أطالب بقول الشعر ومدح الناس فكان شعرى لذلك كأنه ينهب نهبا، يعتذر المتنبى إلى كافور عن مدح غيره

فَشَرَّقَ حَتّى لَيْسَ لِلشَّرْقِ مَشْرِقٌ وَغَرَّبَ حَتَّى لَيْسَ لِلْغَرْبِ مَغْرِبُ (١)

إِذَا قُلْتُهُ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ وُصُولِهِ جِدَارٌ مُعَلًّى أَوْ خِبَاءٌ مُطَنَّبُ (٢)

وقال يمدحه وأنشده اياها فى شوال سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وهى آخر ما أنشده ولم يلقه بعدها

مُنًى كُنَّ لِى أَنَّ الْبَيَاضَ خِضَابُ فَيَخْفَى بِتَبْيِيضِ الْقُرُونِ شَبَابُ (٣)

لَيَالِىَ عِنْدَ الْبِيضِ فَوْدَاىَ فِتْنَةٌ وَفَخْرٌ وَذَاكَ الْفَخْرُ عِنْدِى عَابُ (٤)

فَكَيْفَ أَذُمُّ الْيَوْمَ مَا كُنْتُ أَشْتَهِى وَأَدْعُو بِمَا أَشْكُوهُ حِينَ أُجَابُ (٥)

---

(١) يقول : فشرق كلامى حتى بلغ أقصى الشرق حيث لامشرق وراء ذلك وكذلك غرب حتى بلغ أقصى الغرب. وهذا من قول أبى تمام

فَغَرَّبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقٍ وَشَرَّقْتُ حَتَّى نَسِيتُ المَغَارِبَا

(٢) يقول : اذا قلت شعرا لم يمتنع من وصوله إلى ماوراءه حائط قائم مرتفع ولا خيمة مشدودة بالاطناب، يريد أن شعره قد عم الارض حتى شمل الحضر سكان المدر والبدو سكان الوبر وهذا كقوله

قَوَافٍ إِذَا سِرْنَ مِنْ مِقْوَلِى وَثَبْنَ الجِبَالَ وَخُضْنَ البِحَارَا

(٣) لك أن تقول أن البياض خضاب مؤولة بمصدر مبتدأ مؤخر ومنى خبر مقدم وكن لى وصف لمنى والمنى جمع أمنية والقرون ضفائر الشعر يقول : ان مشيبى هذا وكون البياض خضابا لى يخفى به سواد شعرى منى كانت لى قديما . يعنى أنه كان يتمنى الشيب من قديم ليخفى شبابه بابيضاض شعره (٤) البيض النساء والفودان جانبا الرأس والعاب هو العيب يقول : ان تمنى المشيب كان فى الليالى التى كان شعرى فيها لدى النساء فتنة لحسنه وسواده ، وكن يفخرن بوصلى بيد أن ذلك الفخر عيب عندى لانى ممن يعف عن النساء ويرغب عن وصالهن

والشَّيْبُ أَوْقَرُ والشَّبِيبَةُ أَنْزَقُ

(٥) يقول : فكيف أذم المشيب اليوم ، وقد كنت أتمناه وأشتهيه ؟ وكيف أدعو

جلا اللَّوْنُ عَنْ لَوْنٍ هَدَى كُلَّ مَسْلَكٍ كما انجَابَ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ ضَبَابُ (١)

وَفِي الْجِسْمِ نَفْسٌ لَا تَشِيبُ بِشَيْبِهِ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْوَجْهِ مِنْهُ حِرَابُ (٢)

لَهَا ظُفُرٌ إِنْ كَلَّ ظُفْرٌ أُعِدُّهُ وَنَابٌ إِذَا لَمْ يَبْقَ فِي الْفَمِ نَابُ (٣)

يُغَيِّرُ مِنِّي الدَّهْرُ مَا شَاءَ غَيْرَهَا وَأَبْلُغُ أَقْصَى الْعُمْرِ وَهْيَ كَعَابُ (٤)

وَإِنِّي لَنَجْمٌ تَهْتَدِي بِيَ صُحْبَتِي إِذَا حَالَ مِنْ دُونِ النُّجُومِ سَحَابُ (٥)

غَنِيٌّ عَنِ الْأَوْطَانِ لَا يَسْتَفِزُّنِي إِلَى بَلَدٍ سَافَرْتُ عَنْهُ إِيَابُ (٦)

وَعَنْ ذَمَلَانِ الْعِيسِ إِنْ سَامَحَتْ بِهِ وَإِلَّا فَفِي أَكْوَارِهِنَّ عُقَابُ (٧)

ما اذا أجبت اليه شكوته، يعنى لاينبغى أن أشكو الشيب انتهاء وقد دعوته ابتداء. وقد سمت فى هذا سمت ابن الرومى فى قوله

هِيَ الْأَعْيُنُ النُّجْلُ التى كنتَ تَشْتَكِي مَوَاقِعَهَا فِي الْقَلْبِ وَالرَّأْسُ أَسْوَدُ

فَمَالَكَ تَأْسَى الْآنَ لَمَّا رَأَيْتَهَا وقد جعلَتْ مَرْمَى سواكَ تَعَمَّدُ

(١) جلا زال وانكشف من قولهم جلا القوم عن منازلهم اذا ارتحلوا ، وانجاب انكشف يقول : إن بياض الشيب كان كأنه كامن فى السواد فلما زال السواد عنه بدا وانكشف فاهتدى صاحبه إلى كل طريق من الرشد والخير كالنهار اذا جلا عنه الضباب اهتدى السالك فى ضوئه

(٢) لما ذكر أنه كان يتمنى الشيب — والشيب فيه الضعف والعجز — ذكر أن همته وما فيه من معانى الفعال الصالح لا تشيب ولا ينال منها الضعف بشيب جسمه ولو أن الشعرات البيض فى وجهه كانت حرابا (٣) يقول : ان كل ظفرى ولم يبق فى فمى ناب من الكبر لا يكل ظفر همتى ولايذهب نابها (٤) الكعاب الجارية يبدو ثديها للنهود يقول : ان نفسى شابة أبدا لا يغيرها الدهر وإن تغير جسمى (٥) يقول : اذا خفيت النجوم بالسحاب فلم يهتد للطريق اهتدى بى أصحابى وكنت لهم كالنجم الذى يهتدى به، يريد أنه خريت خبير بالفلوات (٦) يستفزنى يستخفنى يقول : انى غير مولع بالاوطان وجميع البلاد عندى سواء فاذا غادرت وطنا لم يستخفنى حب الرجوع اليه

(٧) الذملان ضرب من السير والعيس الابل وقوله ان سامحت به كلام مستأنف

وَأَصْدَى فَلَا أُبْدِي إِلَى المَاءِ حَاجَةً وَلِلشَّمْسِ فَوْقَ اليَعْمَلَاتِ لُعَابُ (١)

وَلِلسِّرِّ مِنِّي مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ نَدِيمٌ وَلَا يُفْضِي إِلَيْهِ شَرَابُ (٢)

وَلِلْخَوْدِ مِنِّي سَاعَةٌ ثُمَّ بَيْنَنَا فَلَاةٌ إِلَى غَيْرِ اللِّقَاءِ تُجَابُ (٣)

وَمَا الْعِشْقُ إِلَّا غِرَّةٌ وَطَمَاعَةٌ يُعَرِّضُ قَلْبٌ نَفْسَهُ فَيُصَابُ (٤)

وجواب الشرط محذوف للعلم به تقديره سرت عليها والأكوار جمع كور وهو الرحل والعقاب الطائر المعروف يقول: وأنا غنى كذلك عن سير الابل فان سمحت به سرت عليها وإلا فانى كالعقاب أجوب الفيافى دون أن أحتاج إلى ما يحمانى

(١) اليعملات النياق النجيبة المعتملة المطبوعة على العمل ولعاب الشمس ما يراه المسافر من أشعة الظهيرة كأنه خيوط تتدلى فوق رأسه يقول : واعطش فى الفيافى الحارة التى يشتد فيها حر الشمس ويسيل لعابها فوق الابل فلا أبدى حاجتى إلى الماء تصبراوتجلدا وحزما : وهذامن قول أبى تمام

جَدِيرٌ أَنْ يَكُرَّ الطَّرْفُ شَزْرًا إِلَى بعض المواردِ وَهْوَ صادى

(٢) النديم الذى ينادمك ويجالسك على الشراب يقول : إنه كتوم للاسرار يضع السر حيث لايطلع عليه النديم ولا يصل اليه الشراب مع تغلغله فى البدن كما قال الآخر

يظلون شتَّى فى البلادِ وسِرُّهُمْ إلى صَخْرَةٍ أعيَا الرِّجَالَ انْصِداعها

وقد نظر المتنبى فى هذا البيت إلى قول القائل

تَغَلْغَلْ حُبُّ عَثْمَةَ فى فُؤادى فَبادِيهِ مَعَ الخافى يَسيرُ

تَغَلْغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرابٌ وَلا حُزْنٌ ولَم يبْلُغْ سُرورُ

(٣) الخود من النساء الشابة الناعمة . وتجاب تقطع يقول : انما أصحب المرأة قدراً يسيراً ثم أسافر عنها فيكون بينى وبينها فلاة أقطعها إلى غير لقائها (٧) الغرة الغرور يقول : ان عشق النساء غرور بهن وطمع فى وصلهن اذا وقعا فى قلب العاشق عرض نفسه للعشق فيصاب به ويروى فتصاب بضمير النفس فيكون المعنى : ان دواعي العشق تقع أولا فى القلب ثم تنقاد النفس لهوى القلب لانه يستهويها ويغلبها على رشدها

وَغَيْرُ فُؤَادِي لِلْغَوَانِي رَمِيَّةٌ وَغَيْرُ بَنَانِي لِلزُّجَاجِ رِكَابُ (١)

تَرَكْنَا لِأَطْرَافِ الْقَنَا كُلَّ شَهْوَةٍ فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا بِهِنَّ لِعَابُ (٢)

نُصَرِّفُهُ لِلطَّعْنِ فَوْقَ حَوَادِرٍ قَدِ انْقَصَفَتْ فِيهِنَّ مِنْهُ كِعَابُ (٣)

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَى سَرْجُ سَابِحٍ وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ (٤)

وَبَحْرٌ أَبُو الْمِسْكِ الْخِضَمُّ الَّذِي لَهُ عَلَى كُلِّ بَحْرٍ زَخْرَةٌ وَعُبَابُ (٥)

---

(١) الغوانى الحسان . والرمية الطريدة التى ترمى يقول : ان قلبى لا تصيبه النساء بسهام الحاظهن اذ لا أصبوالهن وإنما أنا عزهاة عزوف النفس عنهن ، وكذلك لاأحب الخمر ومعاقرتها فبنانى ليست مطايا للزجاج أى لا أحمل كأس الخمر بيدى ويروى للرخاخ جمع رخ فيكون المعنى ولست ممن يلعب الشطرنج (٢) اللعاب الملاعبة يقول تركنا شهواتنا للرماح أى لا لذة لنا إلا فيها يريد أنه فطم نفسه عن الملاهى وقصرها على الجد فى طعان الاعداء

(٣) نصرفه أى القنا والحوادر الخيل الغلاظ السمان وتروى خوادر بالخاء المعجمة أى كأنها أصابها الخدر لما لحقها من التعب والجراحات ورويت حوادر بالحاء المهملة والذال المعجمة يعنى خيلا تحذر الطعن لانها معودة ومن ثم تميل عنه والكعاب العقد بين أنابيب الرمح يقول ــ على رواية حوادر ــ : نصرف الرماح فوق خيل غلاظ سمان قد ألفت الطعن وانكسرت فيها كعاب من القنا وهذا من قول الجاهلى

وَكُنْتُ إِذَا مَا الْخَيْلُ شَمَّسَهَا الْقَنَا لَبِيقًا بِتَصْرِيفِ الْقَنَاةِ بَنَانِيَا

(٤) الدنى جمع دنيا والسابح الفرس السريع الجرى يقول : ان سرج الفرس هو أعز مكان لانه يتخطى لطلب المعالى أو محاربة الاعداء لدفع شرهم أو للهرب من الضيم واحتمال الذل ، وأن الكتاب هو خير جليس لأنه مأمون الجانب فلا أذى ولا شر ، ولا يحتاج فى مجالسته إلى مؤنة فضلا أنه يفاد من آدابه وكل ما يحتويه ولله قول القائل

ما تَطَعَّمْتُ لَذَّةَ الْعَيْشِ حَتَّى صِرْتُ فِي وَحْدَتِي لِكُتْبِي جَلِيسَا

(٥) بحر خبر مقدم وأبو المسك مبتدا مؤخر والخضم صفة له والخضم الكثير الماء وزخر البحر طمى وامتد والعباب كثرة الموج وارتفاعه يقول : وأبو المسك الخضم

تَجَاوَزَ قَدْرَ المَدْحِ حَتَّى كَأَنَّهُ ... بِأَحْسَنِ مَا يُثْنَى عَلَيْهِ يُعَابُ (١)

وَغَالَبَهُ الأَعْدَاءُ ثُمَّ عَنَوْا لَهُ ... كَمَا غَالَبَتْ بِيضُ السُّيُوفِ رِقَابُ (٢)

وَأَكْثَرُ مَا تَلْقَى أَبَا المِسْكِ بِذْلَةً ... إِذَا لَمْ تَصُنْ إِلَّا الحَدِيدَ ثِيَابُ (٣)

وَأَوْسَعُ مَا تَلْقَاهُ صَدْرًا وَخَلْفَهُ ... رِمَاءٌ وَطَعْنٌ وَالأَمَامَ ضِرَابُ (٤)

وَأَنْفَذُ مَا تَلْقَاهُ حُكْمًا إِذَا قَضَى ... قَضَاءَ مُلُوكِ الأَرْضِ مِنْهُ غِضَابُ (٥)

بحر يربى على كل بحر جودا وعطاء. وروى ابن جنى وبحر بالجر عطفا على جليس أى وخير بحر أبو المسك (١) يقول: هو فوق كل مدح يثنى عليه به فاذا بالغت فى حسن الثناء عليه استحق قدره فوق ذلك فيصير ذلك الثناء الحسن كأنه عيب لقصوره عن استحقاقه، وهذا كقول البحترى

جَلَّ عَنْ مَذْهَبِ المَدِيحِ فَقَدْ كَا ... دَ يَكُونُ المَدِيحُ فِيهِ هِجَاءَ

(٢) عنوا خضعوا وذلوا يقول: وحاول الاعداء غلابه ثم عجزوا عن غلبته فخضعوا له وانقادوا كالرقاب اذا غالبت السيوف آضت مغلوبة (٣) بذلة تميز اسم من الابتذال وهو أن يترك المرء صيانة نفسه يقول: وأكثر ما تلقاه مبتذلا نفسه لم يحصنها بالدرع حين لا يصون الابدان شىء من الثياب إلا الحديد أى ابان اشتداد الوغى وتكاثر الجيش عليه، يعنى أنه لشجاعته واقدامه لا يتوقى الحرب بالدرع والحديد. فالحديد مستثنى مقدم من الثياب. وهذا كما قال الاعشى

وَإِذَا تَكُونُ كَتِيبَةٌ مَلْمُومَةٌ ... شَهْبَاءُ يَخْشَى الذَّائِدُونَ نِهَالَهَا

كُنْتَ المُقَدَّمَ غَيْرَ لابِسِ جُنَّةٍ ... بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلَمًا أَبْطَالَهَا

(٤) يقول: وأوسع ما يكون صدرا اذا حمى الوطيس وأحاط به العدو من كل جانب وكان خلفه الرماء والطعن وأمامه الضراب، فقوله وأوسع مبتدا وقوله وخلفه رماء جملة حالية قامت مقام خبر أوسع. والرماء الرمى والضراب الضرب ولكنهما تدلان على المفاعلة (٥) يقول: إذا أراد أمراً لا يرضى به سائر الملوك فذلك الأمر أنفذ أحكامه لأنهم لا يقدرون على خلافه وقد استقادوا له أى أعطوه مقادتهم فمهما أبرم أمراً نفذ وأن غاضبهم فيه

يَقُودُ إِلَيْهِ طَاعَةَ النَّاسِ فَضْلُهُ وَلَوْ لَمْ يَقُدْهَا نَائِلٌ وَعِقَابُ (١)

أَيَا أَسَدًا فِي جِسْمِهِ رُوحُ ضَيْغَمٍ وَكَمْ أُسْدٍ أَرْوَاحُهُنَّ كِلَابُ (٢)

وَيَا آخِذًا مِنْ دَهْرِهِ حَقَّ نَفْسِهِ وَمِثْلُكَ يُعْطَى حَقَّهُ وَيُهَابُ (٣)

لَنَا عِنْدَ هَذَا الدَّهْرِ حَقٌّ يَلُطُّهُ وَقَدْ قَلَّ إِعْتَابٌ وَطَالَ عِتَابُ (٤)

وَقَدْ تُحْدِثُ الأَيَّامُ عِنْدَكَ شِيمَةً وَتَنْعَمِرُ الأَوْقَاتُ وَهِيَ يَبَابُ (٥)

---

(١) يقول : لو لم يطعه الناس رغبة فى عطائه ولا رهبة لعقابه لأطاعوه محبة واجلالا لما اختصه الله به من الفضل (٢) يقول : أنت أشد قوة وبطشا وهمتك همة الأسود — والأسد موصوف بعلو الهمة فهو لا يأكل من فريسة غيره كما قال الشاعر

وَكَانُوا كَأَنْفِ اللَّيْثِ لا شَمَّ مَرْغَمًا وَلا نَالَ قَطُّ الصَّيْدَ حَتَّى يُعَفِّرَا (١)

وقد قال أبو تمام

إِنَّ الأُسُودَ أُسُودَ الْغَابِ هِمَّتُهَا يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لا السَّلَبِ

ثم قال المتنبي — وأراد ما عداه من الملوك — : وكم من أسد دنيء النفس ساقط الهمة أى كم من ملك يشبه الاسد فى قوة بطشه ولكن روحه روح كلب

(٣) يقول : ان الدهر يخشاك ويهابك ولا يجترىء على أن ينقصك حقك ومن ثم تأخذ منه كل حقوقك يعنى : لا تجحفك الأيام شيأ لمنعك (٤) يلطه يجحده ويمطل به وأعتبه أزال عتبه أى أرضاه يقول : لنا عند الدهر حق يجحده ويماطل في قضائه وقد طال عتابنا له فلم يزل عتبنا أى لم يرضنا بقضاء الحق

(٥) الشيمة العادة والخلق وتنعمر مطاوع عمرت المكان اذا صيرته عامرا آهلا واليباب الخالى ليس به أحد . يقول: أن الايام قد تغيرت شيمتها لديك إذ أنها ترضى المعاتب وتسالم أهل الفضل فلا يلحقهم منها سوء لنزولهم فى كنفك وجوارك وهذا خلاف عادتها من اضطهاد ذوى الفضل ، والاوقات تصير عامرة لهم بأن يدركوا مطلوبهم مع أنها عند غيرك خراب لاتسعف ، يعنى ان أظفرتنى الأيام بمطلوبى لديك فلا عجب فانها تحدث شيمة

---

(١) أى أنه لا يطعم إلا مما صاده بنفسه

وَلاَ مُلْكَ إِلاَّ أَنْتَ وَالْمُلْكُ فَضْلَةٌ كَأَنَّكَ سَيْفٌ فِيهِ وَهْوَ قِرَابُ (١)

أَرَى لِي بِقُرْبِي مِنْكَ عَيْنًا قَرِيرَةً وَإِنْ كَانَ قُرْبًا بِالْبِعَادِ يُشَابُ (٢)

وَهَلْ نَافِعِي أَنْ تَرْفَعَ الْحُجْبُ بَيْنَنَا وَدُونَ الَّذِي أَمَّلْتُ مِنْكَ حِجَابُ (٣)

أُقِلُّ سَلَامِي حُبَّمَا خَفَّ عَنْكُمُ وَأُسْكِتُ كَيْمَا لَا يَكُونَ جَوَابُ (٣)

وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ سُكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابُ (٤)

غير شيمتها مهابة لك واجلالا (١) يقول : انما الملك فى الحقيقة والواقع هو أنت لاذلك السؤدد الذى أنت فيه والذى نلته بعلو همتك وسداد رأيك فهو بالقياس اليك نافلة وفضلة وكأنه قراب وأنت فيه السيف والمزية كلها للسيف لا للقراب. ويروى بدل قوله كأنك سيف كأنك نصل (٢)و(٣) يشاب يمزج ويخلط يقول : ان عينى قريرة بقربك وأنا مبتهج بذلك لانى بلغت ما لست أود من لقائك وان كان هذا القرب مشوبا بالبعاد لانى لم أنل منك ما كنت أرجوه من الصنيعة إلى ، وهل ينفعنى أن لاحجاب بيننا وما أرجيه منك محجوب عنى ؟ وهذا كلام بديع يغزو المتنبى به وبما بعده الاشارة إلى ما يتوقعه من كافور من احصول على ولاية من الولايات (٤) حب مفعول له كأنه قال لحب ما خف عنكم يقول : لأيثارى التخفيف عنكم أقلل التسليم عليكم وأسكت عن الكلام كى لا أحوجكم إلى الاجابة : هذا ولك أن تنصب يكون على أعمال كى وتكون ما زائدة وأن ترفعها على أنها لا تعمل وتكون ما مصدرية (٥) يقول : ان فى نفسى حاجات لا ينبعث بها لسانى وأنت من الفطانة بحيث تدركها دون أن أذكرها فسكوتى عنها يقوم مقام الافصاح عنها . وهذا كما يقول أمية بن أبى الصلت

أَأَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنَّ شِيمَتَكَ الْحَيَاءُ

إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ

ويقول أبو تمام

وَإِذَا الْجُودُ كَانَ عَوْنِي عَلَى الْمَرْ ءِ تَقَاضَيْتُهُ بِتَرْكِ التَّقَاضِي

ويقول أبو بكر الخوارزمى

وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى كَرِيمٍ حَاجَةً فَلِقَاؤُهُ يَكْفِيكَ وَالتَّسْلِيمُ

وَمَا أَنَا بِالْبَاغِي عَلَى الْحُبِّ رِشْوَةً ... ضَعِيفٌ هَوًى يُبْغَى عَلَيْهِ ثَوَابُ (١)

وَمَا شِئْتُ إِلَّا أَنْ أَدُلَّ عَوَاذِلِي ... عَلَى أَنَّ رَأْيِي فِي هَوَاكَ صَوَابُ (٢)

وَأُعْلِمَ قَوْمًا خَالَفُونِي فَشَرَّقُوا ... وَغَرَّبْتُ أَنِّي قَدْ ظَفِرْتُ وَخَابُوا (٣)

جَرَى الْخُلْفُ إِلَّا فِيكَ أَنَّكَ وَاحِدٌ ... وَأَنَّكَ لَيْثٌ وَالْمُلُوكُ ذِئَابُ (٤)

وَأَنَّكَ إِنْ قُوبِسْتَ صَحَّفَ قَارِئٌ ... ذِئَابًا وَلَمْ يُخْطِئْ فَقَالَ ذُبَابُ (٥)

وَإِنَّ مَدِيحَ النَّاسِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ ... وَمَدْحُكَ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ كِذَابُ (٦)

فَإِذَا رَآكَ مُسَلِّمًا عَرَفَ الَّذِي ... حَمَّلْتَهُ وَكَأَنَّهُ مَلْزُومُ

(١) يريد أن يستدرك على نفسه. يقول : أنا لا أطلب ما طلبته منك رشوة على حبي اياك لأن الحب الذي يطلب عليه ثواب ضعيف. فقوله ضعيف خبر مقدم وهوى مبتدا مؤخر ثم ذكر السبب في البيت التالي (٢) يقول : وانما أردت بطلب ما طلبت أن أعرف اللائي يلمنني على قصدي اليك أني كنت مصيبا في هواك وأنك تفضل على وتبلغني ما أرجيه منك (٣) يقول : وأردت أن أعلم الذين خالفوني وصمدوا إلى غيرك من الملوك اني قد ظفرت بقصدي اليك وأنهم أخفقوا بعدولهم عنك إلى سواك. وهذا كقول البحتري

وَأَشْهَدُ أَنِّي فِي اخْتِيَارِيكَ دُونَهُمْ ... مُؤَدًّى إِلَى حَظِّي وَمُتَّبِعٌ رُشْدِي

(٤) يقول : ان الخلاف جار في كل شيء إلا في أنك واحد منماز عن الاشكال ، وفي أنك أسد والملوك بالقياس اليك ذئاب. وهذا ينظر إلى قول أبي تمام

لَوْ أَنَّ إِجْمَاعَنَا فِي فَضْلِ سُؤْدَدِهِ ... فِي الدِّينِ لَمْ يَخْتَلِفْ فِي الْأُمَّةِ اثْنَانِ

ويقول البحتري

وَأَرَى النَّاسَ مُجْمِعِينَ عَلَى فَضْـ ... ـلِكَ مِنْ بَيْنِ سَيِّدٍ وَمَسُودِ

(٥) يقول : اذا صحف القارىء لدى هذه المقايسة لفظ الذئاب — المذكورة في البيت السابق — فقال وأنك ليث والملوك ذباب لم يخطىء ولم يعد الصواب في هذا التصحيف لأن من عداك من الملوك كذلك (٦) الكذاب الكذب يقال كذب كذبا وكذابا يقول : ان الناس يمدحون بالحق وبالباطل لأن بعضه يكون كذبا أما أنت

إِذَا نِلْتُ مِنْكَ الْوُدَّ فَالْمَالُ هَيِّنٌ ... وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ

وَمَا كُنْتُ لَوْلَا أَنْتَ إِلَّا مُهَاجِرًا ... لَهُ كُلَّ يَوْمٍ بَلْدَةٌ وَصِحَابُ (١)

وَلَكِنَّكَ الدُّنْيَا إِلَيَّ حَبِيبَةً ... فَمَا عَنْكَ لِي إِلَّا إِلَيْكَ ذَهَابُ (٢)

ومرَّ فى صِباه برجلين قد قتلا جُرَذًا وأبرزاه

يُعَجِّبان الناسَ من كِبَرِه فقال

لَقَدْ أَصْبَحَ الْجُرَذُ الْمُسْتَغِيرُ ... أَسِيرَ الْمَنَايَا صَرِيعَ الْعَطَبْ (٣)

رَمَاهُ الْكِنَانِيُّ وَالْعَامِرِيُّ ... وَتَلَّاهُ لِلْوَجْهِ فِعْلَ الْعَرَبْ (٤)

كِلَا الرَّجُلَيْنِ أَتْلَا قَتْلَهُ ... فَأَيُّكُمَا غَلَّ حُرَّ السَّلَبْ (٥)

فمدحك الحق الصراح لا كذب فيه. وهذا كقول أبى تمام

لَمَّا كَرُمْتَ نَطَقْتُ فِيكَ بِمَنْطِقٍ حَقٍّ فَلَمْ آثَمْ وَلَمْ أَتَحَوَّبِ

وَلَوِ امْتَدَحْتُ سِوَاكَ كُنْتُ مُتَى يَضِقْ عَنِّي لَهُ صِدْقُ الْمَقَالَةِ أَكْذِبِ

(١) يقول : لولاك لكان كل بلد بلدى وكل أهل أهلى أى لولاك لم أقم بمصر وكنت لا أزال مهاجرا فى الأرض انتقل من بلد إلى بلد ومن ناس إلى ناس لأن جميع البلاد وجميع الناس لدى سواء (٢) يقول : ولكنك جمع الدنيا الحبيبة إلى والتى انصبت عليها آمالى فان حاولت الذهاب عنك كان ذلك ذهابا اليك وكذلك الدنيا من أراد السفر عنها سافر اليها اذ ليس من سبيل إلى الخروج عنها. فقوله حبيبة حال من الدنيا وإلى متعلق بحبيبة وقوله فما عنك أى فمالى ذهاب عنك إلا اليك (٣) الجرذ ضرب من الفأر والمستغير الذى يطلب الغارة على مافى البيوت وغيرها (٤) تلاه صرعاه يقول : رماه هذان الرجلان اللذان أحدهما من بنى كنانة والآخر من بنى عامر وصرعاه لوجهه كما تفعل العرب بالقتيل (٥) اتلا تولى وباشر وغل خان من الغلول الخيانة فى المغانم والسلب مايسلب من ثياب القتيل وسلاحه وما اليهما وحره جيده يقول : لقد اشتركتما فى قتله فأيكما انفرد بجيد سلبه وخانه فى ذلك، وهذا كله من باب التهكم والسخرية

وأيُّكُمَا كانَ مِنْ خَلْفِهِ فإنّ بِهِ عَضّةً فى الذَّنَبْ

وقال يهجو ضبة بن يزيد العتبى *

مَا أَنْصَفَ القَوْمُ ضَبَّهْ وَأُمَّهُ الطُّرْطُبَّهْ (١)

رَمَوْا بِرَأْسِ أَبِيهِ وَبَاكَرُوا الْأُمَّ غُلْبَّهْ (٢)

فَلَا بِمَنْ مَاتَ فَخْرٌ وَلَا بِمَنْ نِيكَ رَغْبَهْ (٣)

وَإِنَّمَا قُلْتُ مَا قُلْـ ـتُ رَحْمَةً لَا مَحَبَّهْ (٤)

وَحِيلَةً لَكَ حَتّى عُذِرْتَ لَوْ كُنْتَ تَيِبَهْ (٥)

* كان هذا ضبة فيمن كان مع الخارجى الذى نجم فى بنى كلاب ، وسبب هذه الأبيات القبيحة أن قوما من أهل العراق قتلوا أبا ضبة هذا وسبوا امرأته ـ أم ضبة ـ وفسقوا بها وكان ضبة غدارا بكل من نزل به ، واجتاز به أبو الطيب فى جماعة من أشراف الكوفة فامتنع منهم وأقبل يجاهر بشتمهم فأرادوا أن يجيبوه بمثل ألفاظه القبيحة وسألوا ذلك أبا الطيب فتكلفه لهم على كراهة وقال هذه القصيدة وهو على ظهر فرسه . قال الواحدى : كان المتنبى إذا قرئت عليه هذه القصيدة ينكر انشادها . . . أقول : ولولا أن يقال أننا تصرفنا فى الديوان وأن هذا الديوان أدركه الحداج إذ حذفنا منه بعض شعر المتنبى فيسىء الناس بنا الظن لما أثبتنا هذه الأبيات التى ينبو بها السمع . . .

(١) يقول : ما أنصف القوم أباه وأمه اذ فعلوا بهما ما فعلوا ، والطرطبة القصيرة الضخمة (٢) يقال باك الحمار الأتان تزا عليها والغلبة المغالبة (٣) يقول : فلا فخر له بأبيه ولا يرغب بأمه أيضا عما فعل بها (٤) يقول : وانما قلت ما أنصفوك رحمة بك لما أصابك من الذل والعار لا محبة لك وغيرة عليك . وليلحظ أن ضبة هذا من الغباء بحيث لم ير المتنبى بدا من أن يسلك معه هذا المسلك فقد صرح باسمه . . . وأيضا كان يكفى أن يقول ما أنصف الناس ضبه وأمه الطرطبة ولا يقول بعد ذلك وانما قلت رحمة لا محبة .

(٥) تيبه بكسر التا مضارع وبه بمعنى أبه وبالى واكترث وتروى لو كنت تنبه أى تفطن يقول : وقلت ذلك حيلة لك حتى يعذرك الناس فيما ألم بك إذا سمعوا قولى هذا وعرفوا أنك مظلوم

وَمَا عَلَيْكَ مِنَ الْقَتْـــلِ إِنَّمَا هِيَ ضَرْبَهْ (١)
وَمَا عَلَيْكَ مِنَ الْغَدْ رِ إِنَّمَا هُوَ سُبَّهْ (٢)
وَمَا عَلَيْكَ مِنَ الْعَا رِ إِنَّ أُمَّكَ قَحْبَهْ (٣)
وَمَا يَشُقُّ عَلَى الْكَلْـــبِ أَنْ يَكُونَ ابْنَ كَلْبَهْ
مَا ضَرَّهَا مَنْ أَتَاهَا وَإِنَّمَا ضَرَّ صُلْبَهْ
وَلَمْ يَنِكْهَا وَلَـكِنْ عِجَانُهَا نَاكَ زُبَّهْ (٤)
يَلُومُ ضَبَّةَ قَوْمٌ وَلَا يَلُومُونَ قَلْبَـهْ
وَقَلْبُـهُ يَتَشَهَّى وَيُلْزِمُ الْجِسْمَ ذَنْبَهْ
لَوْ أَبْصَرَ الْجِذْعَ شَيْئًا أَحَبَّ فِي الْجِذْعِ صَلْبَهْ (٥)
يَا أَطْيَبَ النَّاسِ نَفْسًا وَأَلْيَنَ النَّاسِ رُكْبَهْ (٦)
وَأَخْبَثَ النَّاسِ أَصْلًا فِي أَخْبَثِ الْأَرْضِ تُرْبَهْ
وَأَرْخَصَ النَّاسِ أُمًّا تَبِيعُ أَلْفًا بِحَبَّهْ
كُلُّ الْفُعُولِ سِهَامٌ لِمَرْيَمٍ وَهْيَ جَعْبَهْ (٧)

(١) و (٢) و (٣) ما فى الأبيات الثلاثة استفهام انكارى، وهى فى البيتين الأولين ضمير الشأن والسبة العار يسب به والقحبة البغى والفاسدة الفاجرة ، وهذا من أبى الطيب استهزاء واستجهال لضبة يقول : لا يعلق بك من قتل أبيك عار انما ذلك ضربة وقعت بأبيك فمات منها والغدر سبة تسب به فما عليك منه ؟ ولا عار عليك من فجور أمك ..

(٤) العجان ما بين القبل والدبر يقول : انها مهزولة تصيب بعجانها متاع من أتاها فتنكه (٥) هذا كناية عن الأبر يقول : لحبه ذلك يحب أن يكون مصلوبا فى ذلك الجذع (٦) يقول: انه سمح القياد يلين لمن راوده وقد املست ركبته لكثرة البروك عليها

(٧) يريد بالفعول الذين يفعلون بها فجعلها تجمعهم وتضمهم كما تضم الجعبة السهام

وَمَا عَلَى مَنْ بِهِ الدّا ءُ مِنْ لِقَاءِ الأَطِبَّهْ (١)

وَلَيْسَ بَيْنَ هَلُوكٍ وَحُرَّةٍ غَيْرُ خِطْبَهْ (٢)

يَاقَاتِلاً كُلَّ ضَيْفٍ غَنَاهُ ضَيْحٌ وَعُلْبَهْ (٣)

وَخَوْفَ كُلِّ رَفِيقٍ أَبَاتَكَ اللَّيْلُ جَنْبَهْ (٤)

كَذَا خُلِقْتَ وَمَنْ ذَا الَّذِى يُغَالِبُ رَبَّهْ (٥)

وَمَنْ يُبَالِى بِذَمٍّ إِذَا تَعَوَّدَ كَسْبَهْ

أَمَا تَرَى الْخَيْلَ فِى النَّخْـــلِ سُرْبَةً بَعْدَ سُرْبَهْ (٦)

عَلَى نِسَائِكَ تَجْلُو فَعُولَهَا مُنْذُ سَنْبَهْ (٧)

وَهُنَّ حَوْلَكَ يَنْظُرْ نَ وَالأُحَيْرَاحُ رَطْبَهْ (٨)

وَكُلُّ غُرْمُولِ بَغْلٍ يَرَيْنَ يَحْسُدْنَ قُنْبَهْ (٩)

---

(١) يقول : ان الذين يأتونه كالأطباء له ، ومن كان به داء فعالجه بدوائه لم يعب به . يهون عليه ما يسبه به من الأمر القبيح استجهالا له (٢) يقول : ان الفاجرة كالحرة المخطوبة إلى أهلها لا فرق بينهما إلا الاستحلال بالخطبة (٣) غناه هو غناؤه فقصره، أى يكفيه ضيح وعلبه والضيح اللبن الممزوج بالماء والعلبة قدح من جلد يشرب فيه اللبن يقول : انه لشحه ولؤمه اذا نزل به ضيف قتله ليتخلص من قراه ولو كان هذا الضيف صعلوكا يكتفى بقليل من الضيح فى علبه . ويجوز أن يكون المعنى : أنه لما طبع عليه من الغدر يقتل كل من ألم به ولو كان صعلوكا لا مال معه يطمع فيه (٤) وخوف عطف على قاتلا فى البيت السابق أى ويا خوف كل رفيق الخ يقول : هو من الغدر بحيث اذا بايته رفيق فى السفر لا يأمن أن يغدر به إذا نام (٥) يقول : ان الله خلقك مجبولا على الغدر والسفال ومن ثم لا يزال على ماجبله الله عليه لايستطيع الناس تهذيبه لأن الله جل شأنه لا يغالب (٦) و (٧) السربة الجماعة من الخيل وفعولها كناية عن غرمولها والسنبه الحين والقطعة من الزمان (٨) الأحيراح تصغير احراح جمع حر وأصله حرح ـ الفرج (٩) القنب وعاء القضيب من ذوات الحافر

فَسَلْ فُؤَادَكَ يَاضَبـــــــبُ أَيْنَ خَلَّفَ عُجْبَهُ (١)

وَإِنْ يَخُنْكَ نَعَمْرِى لَطَالَمَا خَانَ صَحْبَهُ (٢)

وَكَيْفَ تَرْغَبُ فِيهِ وَقَدْ تَبَيَّنْتَ رُعْبَهُ (٣)

مَا كُنْتَ إِلاَّ ذُبَابًا نَفَتْكَ عَنَّا مِذَبَّهُ (٤)

وَكُنْتَ تَفْخَرُ تِيهًا فَصِرْتَ تَضْرِطُ رَهْبَهْ

وَإِنْ بَعُدْنَا قَلِيلاً حَمَلْتَ رُمْحًا وَحَرْبَهُ (٥)

وَقُلْتَ لَيْتَ بِكَفِّى عِنَانَ جَرْدَاءَ شَطْبَهْ (٦)

إِنْ أَوْحَشَتْكَ الْمَعَالِى فَإِنَّهَا دَارُ غُرْبَهْ (٧)

أَوْ آنَسَتْكَ الْمَخَازِى فَإِنَّهَا لَكَ نِسْبَهْ (٨)

وَإِنْ عَرَفْتَ مُرَادِى تَكَشَّفَتْ عَنْكَ كُرْبَهْ (٩)

---

(١) ضب ترخيم ضبة يقول : اسأل فؤادك ياضبة أين ترك ما كان فيه من العجب والكبر ؟ يعنى حين اختبأ وامتنع منهم بالحصن وهو يسمع الشتم فلا يخرج اليهم

(٢) و (٣) يقول: ان خانك فؤادك أى خذلك فى هذا الموقف فلم يطاوعك على الاقدام علينا خوفا ورعبا فلست أول من خانه قلبه لأنه تعود خيانة اصحابه (٤) يقول : انك حين اختبأت وتحصنت منا جبنا ما كنت إلا ذبابا طردناه بمذبتنا فهرب

(٥) يقول : وإذا بعدنا عنك فأمنت عاودك العجب فحملت السلاح وهذا مثل قوله

واذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا

(٦) العنان سير اللجام والجرداء من الخيل القصيرة الشعر والشطبة الطويلة

(٧) و (٨) يقول : اذا استوحشت من المعالى فلا بدع فى ذلك لأنك غريب عنها أما المخازى فانك تستأنس بها لما بينك وبينها من النسب والقرابة (٩) يقول: ان مرادى أن أنبه إلى ما فيك من الغدر والشح فان عرفت مرادى هذا سررت بما قلت لأنه لايقصدك انسان بسؤال أو قرى بعد ما أشعت من خلالك

وَإِنْ جَهِلْتَ مُرَادِى فَإِنَّهُ بِكَ أَشْبَهُ (١)

وقال يعزى أبا شجاع عضد الدولة بعمته

آخِرُ مَا المَلْكُ مُعَزًّى بِهِ هَذَا الَّذِى أَثَّرَ فى قَلْبِهِ (٢)

لَا جَزَعًا بَلْ أَنَفًا شَابَهُ أَنْ يَقْدِرَ الدَّهْرُ عَلَى غَصْبِهِ (٣)

لَوْ دَرَتِ الدُّنْيَا بِمَا عِنْدَهُ لَاسْتَحْيَتِ الأَيَّامُ مِنْ عَتْبِهِ (٤)

لَعَلَّهَا تَحْسَبُ أَنَّ الَّذِى لَيْسَ لَدَيْهِ لَيْسَ مِنْ حِزْبِهِ (٥)

وَأَنَّ مَنْ بَغْدَادُ دَارٌ لَهُ لَيْسَ مُقِيمًا فى ذَرَى عَضْبِهِ (٦)

وَأَنَّ جَدَّ المَرْءِ أَوْطَانُهُ مَنْ لَيْسَ مِنْهَا لَيْسَ مِنْ صُلْبِهِ (٧)

---

(١) فإن الجهل بك أشبه لانك لست ممن يفهم (٢) هذا خبر معناه الدعاء يقول : جعل الله هـذا الحادث آخر ما يعزى به الملك فلا يصاب بشىء بعده. والملك تخفيف الملك . وهذا مبتدا مؤخر وآخر خبر مقدم (٣) شابه خالطه يقول : لم يؤثر هذا الحادث فى قلبه لانه جزع له فانه شجاع لاعهد له بالجزع ولكنه أخذته الحمية والانفة حين رأى الدهر قد استطاع أن يتطرق حماه ويستبيح حريمه ويغتصبه من يعز عليه

(٤) يقول : لو كانت الدنيا تدرى ما يحوزه من الفضل لأخذها الحياء من عتبه عليها ولكفت عنه أذاها وقيل أن المعنى : لو كانت الدنيا تدرى من غاب عن حضرته من أهله وأسرته لما عرضت له بدليل بيته التالى (٥) يقول : لعل الدنيا ظنت أن عمته — وقد توفيت فى بغداد بعيدة عنه — لما لم تكن عنده لم تكن من أسرته فسطت عليها

(٦) الذرى الكنف والعضب السيف القاطع يقول : ولعل الدنيا ظنت أن عمتك لما كانت ببغداد ولم تكن بحضرتك لم تكن ممن يحميه سيفك فلذلك عرضت لها وأخذتها

(٧) وان جد المرء أوطانه أى وظنت أن أقاربه الذين يساكنونه فى الوطن هم عشيرته وأن البعيد عنه وطنا لايكون من عشيرته يقول : ولعلها ظنت أنها لما لم تكن مستوطنة معه فى بلده لم تكن من صلب جده ومن ثم اجترأت عليها ويروى وأن حد المرء بالحاء وهو ظاهر

أَخَافُ أَنْ تَفْطُنَ أَعْدَاؤُهُ ... فَيُجْفِلُوا خَوْفًا إِلَى قُرْبِهِ (١)

لَا بُدَّ لِلإِنْسَانِ مِنْ ضَجْعَةٍ ... لَا تَقْلِبُ الْمُضْجَعَ عَنْ جَنْبِهِ (٢)

يَنْسَى بِهَا مَا كَانَ مِنْ عُجْبِهِ ... وَمَا أَذَاقَ الْمَوْتُ مِنْ كَرْبِهِ (٣)

نَحْنُ بَنُو الْمَوْتَى فَمَا بَالُنَا ... نَعَافُ مَا لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ (٤)

تَبْخَلُ أَيْدِينَا بِأَرْوَاحِنَا ... عَلَى زَمَانٍ هِيَ مِنْ كَسْبِهِ (٥)

---

(١) أجفل أسرع فى الهرب يقول : انى أخاف — إذ قلت هـذا — أن تفطن أعداؤه إلى أن الايام لاتترك أحدا من كان فى حماه وقربه فيسرعوا الى حضرته خوفا من الايام وطلبا للسلامة بحصولهم فى ذمته واشتمالهم بعزه (٢) يقول : لابد للانسان من اضطجاع فى القبر لاينقلب معه المضطجع أى يبقى كذلك أبد الدهر ولو قال لن يدل لا لكان أحسن لأن لن تدل على التأبيد (٣) يقول : ينسى الانسان بتلك الضجعة تيهه واعجابه بنفسه وما أذاقه الموت من البرح والكرب عند احتضاره، أى ينسى بتلك الضجعة كل مالاقاه فى حياته وفى مماته (٤) يقول : نحن أبناء الموتى لأن آباءنا كلهم ماتوا فلا بد لنا من أن نرد الموت كما وردوه فما بالنا نكره مالابد منه . وهذا ينظر إلى قول أبى نواس

أَلَا يَا ابْنَ الَّذِينَ فَنُوا وَبَادُوا ... أَمَا وَاللهِ مَا بَادُوا لِتَبْقَى

وأصله قول متمم بن نويرة :

فَعَدَدْتُ آبَائِي إِلَى عِرْقِ الثَّرَى ... فَدَعَوْتُهُمْ فَعَلِمْتُ أَنْ لَمْ يَسْمَعُوا

وَلَقَدْ عَلِمْتُ وَلَا مَحَالَةَ أَنَّنِي ... لِلْحَادِثَاتِ فَهَلْ تَرَانِي أَجْزَعُ

وروى ان عمر بن عبد العزيز كتب إلى عمرو بن عبيد يعزيه عن أبيه : «أما بعد» فانا أناس من أهل الآخرة أسكنا فى الدنيا أمواتا آباء أموات وأبناء أموات . فالعجب لميت يكتب إلى ميت يعزيه عن ميت والسلام (٥) يقول : أننا نحرص على أرواحنا ضنا بها على الزمان مع أنها مما كسب الزمان لا من كسبنا نحن وقد فسر ذلك فى البيت التالى قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : اذا كان تناشؤ الأرواح من كرور الأيام فما لنا نعاف رجوعها الى أماكنها

فَهٰذِهِ الأَرْوَاحُ مِنْ جَوِّهِ ... وَهٰذِهِ الأَجْسَامُ مِنْ تُرْبِهِ (١)

لَوْ فَكَّرَ العَاشِقُ فِى مُنْتَهَى ... حُسْنِ الَّذِى يَسْبِيهِ لَمْ يَسْبِهِ (٢)

لَمْ يُرَ قَرْنُ الشَّمْسِ فِى شَرْقِهِ ... فَشَكَّتِ الأَنْفُسُ فِى غَرْبِهِ (٣)

يَمُوتُ رَاعِى الضَّأْنِ فِى جَهْلِهِ ... مَوْتَةَ جَالِينُوسَ فِى طِبِّهِ (٤)

وَرُبَّمَا زَادَ عَلَى عُمْرِهِ ... وَزَادَ فِى الأَمْنِ عَلَى سِرْبِهِ (٥)

وَغَايَةُ المُفْرِطِ فِى سِلْمِهِ ... كَغَايَةِ المُفْرِطِ فِى حَرْبِهِ (٦)

---

(١) يريد أن الانسان مركب من جوهر لطيف وهو الروح ، وجوهر كثيف وهو البدن ، فجعل اللطيف من الهواء والكثيف من التراب . قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : اللطائف سماوية والكثائف أرضية ، وكل عنصر عائد إلى عنصره « هـذا » وليس ثم مجال للـكلام على الروح وذكر المذاهب الفلسفية فيه لأن هذا انما هو تفسير لشعر المتنبى حسب (٢) يقول : لو فكر العاشق المستهام فيما تصير اليه محاسن معشوقه من البلى والفناء لأقلع عن عشقه ولم تملك تلك المحاسن قلبه ، ولك أن تجعل هذا مطردا فى كل معنى من معانى الحياة فتقول : لو فكر الحريص المتهالك على جمع المال فى منتهى ذلك وأن مصير هذا المال الى الزوال أو أنه مائت عنه لامحالة لما تهالك على جمعه ، وهلم . قال العكبرى : وهو من قول الحكيم : النظر فى عواقب الاشياء يزيد فى حقائقها والعشق عمى الحس عن درك رؤية المعشوق (٣) قرن الشمس أول مايبدو منها . وهذا مثل معناه أن كل حادث لابد أن ينتهى إلى الزوال كالشمس من رآها طالعة لم يشك فى غروبها (٤) قوله فى جهله وفى طبه حالان يقول : ان الموت حتم على رقاب العباد لاينجو منه انسان أكان شريفا أم وضيعا عاقلا أم جاهلا فيموت الراعى الجاهل كما يموت الطبيب الحاذق (٥) السرب النفس يقول : وربما زاد راعى الضأن عمرا على عمر جالينوس وكان آمن على نفسه منه لان الطبيب لعلمه وتقديره لشكول الا دواء وارتباط الاسباب بالمسببات يبقى دائما قلقا خائفا كثير الوسواس (٦) يقول من بالغ فى السلم والمودة كمن بالغ فى الحرب والمعاداة والتحرش بالخطر ، كلاهما إلى الموت قال العكبرى : وهذا من قول الحـكيم : آخر أفراط التوقى أول موارد الخوف

فَلَا قَضَى حَاجَتَهُ طَالِبٌ ... فُؤَادُهُ يَخْفِقُ فِي رُعْبِهِ (١)

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِشَخْصٍ مَضَى ... كَانَ نَدَاهُ مُنْتَهَى ذَنْبِهِ (٢)

وَكَانَ مَنْ عَدَّدَ إِحْسَانَهُ ... كَأَنَّهُ أَفْرَطَ فِي سَبِّهِ (٣)

يُرِيدُ مِنْ حُبِّ الْعُلَى عَيْشَهُ ... وَلَا يُرِيدُ الْعَيْشَ مِنْ حُبِّهِ (٤)

يَحْسَبُهُ دَافِنُهُ وَحْدَهُ ... وَمَجْدُهُ فِي الْقَبْرِ مِنْ صَحْبِهِ (٥)

وَيُظْهِرُ التَّذْكِيرُ فِي ذِكْرِهِ ... وَيُسْتَرُ التَّأْنِيثُ فِي حُجْبِهِ (٦)

أُخْتُ أَبِي خَيْرِ أَمِيرٍ دَعَا ... فَقَالَ جَيْشٌ لِلْقَنَا لَبِّهِ (٧)

يَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ مَنْ رُكْنُهَا ... أَبُوهُ وَالْقَلْبُ أَبُو لُبِّهِ (٨)

---

(١) يقول : لا أدرك حاجته من يرهب الموت ، يعنى اذا كان لامندوحة عن الموت فلم تخافه الانسان ؟ يحث على الشجاعة والاقدام ويدعو على الهيابة الجبان

(٢) هذا ضرب من المدح الذى يشبه الذم يقول : استغفر الله لشخص مضى كان جوده هو غاية ذنبه أى لاذنب له استغفر الله له لأجله الا جوده يعنى المرثية عمة عضد الدولة (٣) يقول : وكان يكره ذكر احسانه تناسيا للمعروف فمن أحصى فواضله وأياديه كان عنده كمن أسرف في سبه (٤) يقول : أنه كان يحب أن يعيش لكسب المعالى لالحب العيش فالضمير فى عيشه للمرثى والتقدير يريد عيشه من حب العلى ولا يريد العيش من حب العيش (٥) يقول : ان الذى يدفنه يظن أنه يدفنه وحده وهو قد دفن معه المجد والعفاف والبر وسائر فضائله التى هي أصحابه لانفارقه (٦) يقول : انها فى حجبها وخدرها أنثى على الحقيقة وليس ثم الا الصون والعفاف وما اليهما مما هو شيمة المخدرات أما اذا ذكرت أفعالها ومساعيها من طلب المعالى وإيثار المعروف وأغاثة الملهوف فهناك التذكير حقا لأن مثل هـذه الافعال انما هى من شيم الرجال (٧) يقول : هى أخت ركن الدولة الذى هو أبو عضد الدولة خير أمير دعا الى نفسه فقال الجيش للرماح أجيبيه أى يدعو الجيش فيجيبه بالسلاح، ويجوز أن يكون المعنى : أن عضد الدولة خير أمير دعاه جيش فقال للقنا لب الجيش يعنى أنه يجيب الصارخ ويغيث المستغيث

(٨) يريد أن عضد الدولة أفضل من أبيه ركن الدولة وضرب لهما المثل بالقلب واللب

وَمَنْ بَنُوهُ زَيْنُ آبَائِهِ كَأَنَّهَا النَّوْرُ عَلَى قُضْبِهِ (١)

فَخْرًا لِدَهْرٍ أَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَمُنْجِبٍ أَصْبَحْتَ مِنْ عَقْبِهِ (٢)

إِنَّ الأَسَى الْقِرْنُ فَلَا تُحْيِهِ وَسَيْفُكَ الصَّبْرُ فَلَا تُنْبِهِ (٣)

مَا كَانَ عِنْدِى أَنَّ بَدْرَ الدُّجَى يُوحِشُهُ الْمَفْقُودُ مِنْ شُهْبِهِ (٤)

حَاشَاكَ أَنْ تَضْعُفَ عَنْ حَمْلِ مَا تَحَمَّلَ السَّائِرُ فِى كُتْبِهِ (٥)

وَقَدْ حَمَلْتَ الثِّقْلَ مِنْ قَبْلِهِ فَأَغْنَتِ الشِّدَّةُ عَنْ سَحْبِهِ (٦)

— أى العقل — فجعل اللب مثلا له والقلب مثلا لابيه ، والقلب وان كان أبا اللب أى مصدره الا أن اللب أشرف من القلب ، فكذلك عضد الدولة أفضل من أبيه ركن الدولة وان كان ركن الدولة أباه . قال ابن جنى : لولا حذق المتنبى ما جرأ على هذا . . .

(١) النور الزهر والقضب جمع قضيب يقول: ان أبناء عضد الدولة زين لآبائه وليسوا بزين له هو لاستغنائه بمزية علائه عن أن يتزين بأبنائه يعني أن أبناءك يزينون اباءك كما يزين النور القضب (٢) المنجب الذى يلد النجباء وعقب الرجل أولاده يقول ليفتخر الدهر بكونك من أهله ، وليفخر أبوك الذى صار منجبا بكونك من عقبه

(٣) يقول : ان الحزن — أى حزن عضد الدولة على عمته — بمنزلة القرن المغالب لك فلا تحيه باعانته على نفسك ، وأن الصبر الذى تغالب به الحزن بمنزلة السيف فلا تجعله نابيا كليلا أى لاتضعفه فيغلبك الحزن (٤) جعله كالبدر وأهله وعشيرته كالنجوم حول البدر يقول : ما كان ينبغى أن تفتقم لفقد أحدهم لان البدر يستغنى بنوره عن الكواكب (٥) أراد بالسائر الذى حمل اليه الكتاب بوفاتها . يقول : حاشاك أن تضعف عن حمل ما أطاق حمله الرسول ، أي اذا كان الرسول أطاق حمل ذكر وفاتها فأنت أشد أطاقة له : قال الواحدى : وهذا فى الحقيقة ضرب من المغالطة وإنما أراد تسكينه فتوصل الى ذلك من كل وجه (٦) يقول : أنك قد حملت الثقيل من الامور قبل هذا الحادث فأغنتك قوتك عن جر ذلك الثقل — وذلك أن حامل الثقل اذا عجز عن حمله جره على الارض كما قال عتاب بن ورقاء

وَجَرَّهُ إِذْ كَلَّ عَنْ حَمْلِهِ ونفسُهُ مِن حتفِهِ على شفا

يَدْخُلُ صَبْرُ المَرْءِ فِي مَدْحِهِ ... وَيَدْخُلُ الإِشْفَاقُ فِي ثَلْبِهِ (١)

مِثْلُكَ يَثْنِي الحُزْنَ عَنْ صَوْبِهِ ... وَيَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ عَنْ غَرْبِهِ (٢)

إِنَّمَا لِلأَبْقَاءِ عَلَى فَضْلِهِ ... إِنَّمَا لِتَسْلِيمٍ إِلَى رَبِّهِ (٣)

وَلَمْ أَقُلْ مِثْلُكَ أَعْنِي بِهِ ... سِوَاكَ يَافَرْدًا بِلَا مُشْبِهِ (٤)

وقال فى صباه يهجو القاضى الذهبى

لَمَّا نُسِبْتَ فَكُنْتَ ابْنًا لِغَيْرِ أَبِ ... ثُمَّ امْتُحِنْتَ فَلَمْ تَرْجِعْ إِلَى أَدَبِ

سُمِّيتَ بِالذَّهَبِيِّ الْيَوْمَ تَسْمِيَةً ... مُشْتَقَّةً مِنْ ذَهَابِ الْعَقْلِ لَا الذَّهَبِ (٥)

مُلَقَّبٌ بِكَ مَا لُقِّبْتَ وَيْكَ بِهِ ... يَا أَيُّهَا اللَّقَبُ الْمُلْقَى عَلَى اللَّقَبِ (٦)

والمعنى : أنك صبور على تحمل الشدائد فلا تجزع عن حمل هذا الرزء

(١) الاشفاق الخوف والجزع والثلب الذم ، ثلبه ذامه وعابه يقول : ان الصبر مما يمدح به الانسان والجزع مما يعاب به ، يريد أن يحسن الصبر لديه ليرغب فيه ويقبح الجزع ليجتنبه (٢) الصوب القصد والناحية والغرب مجرى الدمع يقول : مثلك يقدر على صرف الحزن والتغلب عليه بالصبر إذا قصدك ، ومثلك يسترد الدمع عن مجراه إلى قراره (٣) إنما لغة فى أما يقول : يفعل ذلك إما إبقاء على فضله لئلا يضيع فضله بالجزع وإما لتسليم الأمر إلى الله ورعا وتقوى (٤) يقول: لم أعن بقولى مثلك يثنى الحزن عن صوبه — انسانا آخر غيرك لأنك الفرد الذى لا مثل له ، ولكن المثل قد يذكر فى الكلام صلة ويراد به عين ما أضيف اليه كقوله تعالى : ليس كمثله شىء ... يريد إنما أردت نفسك لاغيرك (٥) هذا البيت جواب لما فى البيت الأول يقول : لما لم يعرف لك أب ولم يكن لك أدب تعرف به سميت اليوم بالذهبى ، أى أن هذه النسبة مستحدثة لك ليست بموروثة واشتقاقها من ذهاب العقل لا من الذهب ، أى إنما قيل لك الذهبى لذهاب عقلك (٦) ويك هى ويلك حذفت اللام لكثرة الاستعمال يقول : إن الذى لقبت به هو ملقب بك ، أى أنت شين وعار للقبك فلقبك ملقى على لقب أى على عار وخزى ، قال الواحدى : ومثل هذا الكلام لايستحسن ولا يستحق التفسير ولا يساوى

وقال يهجو وردان بن ربيعة الطائى وقد كان أبو الطيب نزل به فى أرض حِسْمَى مُنْصَرَفه من مصر فاستغوى وردان عبيداً أبى الطيب ، فجعلوا يسرقون له من أمتعته . فلما شعر أبو الطيب بذلك ضرب أحد عبيده بالسيف فأصاب وجهه وأمر الغلمان فأجهزوا عليه

لحا اللهُ وَرْدَانًا وَأُمًّا أَتَتْ بِهِ ... لَهُ كَسَبُ خِنْزِيرٍ وَخُرْطُومُ ثُعْلَبِ (١)

فما كانَ فيهِ الغَدْرُ إلاّ دَلالَةً ... على أَنَّهُ فِيهِ مِنَ الأُمِّ والأَبِ (٢)

إِذَا كَسَبَ الإِنْسَانُ مِنْ هَنِ عِرْسِهِ ... فَيَالُؤْمَ إِنْسَانٍ وَيَالُؤْمَ مَكْسَبِ (٣)

أَهَذَا اللَّذَيَّا بِنْتُ وَرْدَانَ بِنْتُهُ ... هُمَا الطَّالِبَانِ الرِّزْقَ مِنْ شَرِّ مَطْلَبِ (٤)

لَقَدْ كُنْتُ أَنْفِي الْغَدْرَ عَنْ تُوسِ طَيِّئٍ ... فَلاَ تَعْذِلانِي رُبَّ صِدْقٍ مُكَذَّبِ (٥)

الشرح، ولو طرح أبو الطيب شعر صباه من ديوانه كان أولى به! وأكثر الناس لم يرو هذه القطعة ولا القطعة التى أولها

لقد أصبح الجرذ المستغير ... أسير المنايا صريع العطب

(١) الخنزير يأكل العذرة وكذلك بنات وردان وهى دويبة كريهة الريح تألف الأماكن القذرة فى البيوت — ولاتفاق الاسمين جعله كالخنزير فى أكل العذرة ، ويريد بقوله له خرطوم ثعلب أنه ناتىء الوجه فوجهه كخرطوم الثعلب وهو أنفه وفمه ولحاه الله قبحه ولعنه (٢) يقول : أن غدره بى دلالة على أنه ورث الغدر من أمه وأبيه . وأحسن من هذا مارواه ابن جنى * على أنه فيه من الأم بالأب * أى أن غدره بى دلالة على أن أمه غدرت فيه بأبيه فجاءت به لغير رشدة (٣) الهن الفرج — قرفه بأنه ديوث يقود إلى امرأته ويجعل ذلك كسبا له (٤) يقول — تجاهلا واستهزاء — : أهذا هو الذى تنسب اليه بنت وردان — هذه الحشرة الحقيرة القذرة — ثم قال : هو وهى يلتمسان الرزق من شر مطلب — هى تطلبه من الحشوش — أما كن العذرة — وهو يطلبه من هن عرسه (٥) التوس والسوس الأصل يقول : لقد كنت أقول أن